Library
BIRZEIT UNIVERSITY

شاقل

العـــــدد
سابع والثمانون
تموز ١٩٨٧

الكاتب ٨٧

للثقافة الإنسانية والتقدم .

- رابطة الكتاب الاردنيين، هدف جديد للسلطة الاردنية .
- لماذا الشطر الجنوبي من اليمن
- الطاقة الكهربائية في الضفة والقطاع، الواقع والبدائل .
- لمحة تاريخية عن حياة المجدل الزراعية .
- بعض مزاعم ووقائع كثيرة عن الاشتراكية .

انسان العمل في العالم المعاصر .
" بعث" تحليل لرواية تولستوى .
- تجاور المعاصرة والقرون الوسطى
- حوار مع طاقم تغريب العبيـــد .
- بمناسبة الذكرى العشرين للاحتلال لقاء في تل ابيب، ضد الاحتلال ومن اجل حرية التعبير والابداع .

عشرون عامًا من الاحتلال
عشرون عامًا من الصمود والتصدّي

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز ـ المدير المسؤول

أسعد الأسعد

القدس

AL-KATEB

For human culture and progress

Editor -

Asa'd Al-Asa'd

P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel:856931

رئيس التحرير

أسعد الأسعد

مدير التحرير : نظام غطايا

مجلس التحرير

بسّام الصالحي — تيسير العاروري

جميل السلحوت — د. سمير عبدالله

فضل البورنو — محمد البطراوي

محمود الشيخ

صف وتنضيد : جمبر أبو غوش

الاشتراكات :

بالبريد أو مايعادلها لمدة سنة واحدة

محليًا ٢٥ دولار

بلدان أخرى ٦٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار

بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد بتصرف الضرورات الفنية

لا ترد المواد المرسلة إذا لم تنشر

المراسلات :

الكاتب ـ ص.ب: ٢٠٤٨٩ القدس

تلفون ٨٥٦٩٣١

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

العدد السابع والثمانون، السنة الثامنة تموز ١٩٨٧ م.

جامعة بيرزيت
27-07-1987
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

سياسة :

٣	عشرون عاما من الاحتلال ، عشرون عاما من الصمود والتصدي	بشير البرغوثي

مداخلات ومتابعات :

١٤	رابطة الكتاب الاردنيين ، هدف جديد للسلطة الاردنية	أسعد الاسعد
١٦	لماذا الشطر الجنوبي من اليمن ؟	د . زياد ابو عمر
٣٥	الطاقة الكهربائية في الضفة والقطاع ، الواقع والبدائل .	د . عفيف حسن
٤٤	لمحة تاريخية عن حياة المجدل الزراعية	محمود محمد صالحة
٥٢	بعض مزاعم ووقائع كثيرة عن الاشتراكية.	
٥٧	انسان العمل في العالم المعاصر .	
٦٨	" بعث " تحليل لرواية تولستوى	ميخائيل باختين ترجمة : محمد برادة
٨٦	تجاور المعاصرة والقرون الوسطى	محسن عبدالله
١٠٧	العاجزون والقادرون في قبل الظهيرة وبعد المساء ـ للحرب الرشيقة قبل ان تنام	وضاح السعد

حوار

٩٣	حوار مع طاقم تغريب العبيد .	

قصة قصيرة

١١٦	اقصوصتان ، خطوة الى الامام والافق البعيد	ناجي الظاهر

الاراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير .

Digitized by Birzeit University Library

قصـــــــة

١١٣ شتـــــاء — أشـــرف غيطـــان

شعـــــــر

١١٨ أنـا وأنـت وهذا المستنقـع اللـزج — عطاالله قطـــوش
١١٩ رفيـــق الخريـــف — محمـد شريـــم

متفرقـــــات :

١٢٠ بمناسبة الذكرى العشرين للاحتـــلال
لقاء في تل ابيب ، ضد الاحتلال ومـن
أجـل حرية التعبيـر والابـــداع
١٢٤ أخبـــار ثقافيـــة

Digitized by Birzeit University Library

عشرون عاماً من الاحتلال
عشرون عاماً من الصمود والتصدي

بشير البرغوثي

ليس هناك من جديد في القول بان جميع الاطراف التي واجهت قضية الاحتلال الاسرائيلي لاراض عربية في حزيران عام ١٩٦٧ لم تحقق البرامج التي وضعتها لنفسها لحل هذه القضية،ففيما كان الطرف الاسرائيلي يعتقد بأن وضع الحل النهائي للقضية الفلسطينية ومشكلة الصراع العربي الاسرائيلي بانتصاره على الجيوش العربية المجاورة، كان الطرف الامريكي يعتقد ان بامكانه نتيجة هذه الهزيمة تصفية حساباته القديمة مع حركة التحرر العربية باجهاضها وسلب مكتسباتها التاريخية واحكام سيطرة الاستعمار الجديد على العالم العربي وبالذات على البلدان التي كانت تناضل للتخلص من مخلفات السيطرة الاستعمارية القديمة .

وكان الاحتلال الاسرائيلي اهم الاوراق التي كانت تلوح بها الامبريالية الامريكية في محاولاتها لتصفية تلك الحسابات مع حركة التحرر العربية .

وقد اتخذت هذه المحاولات اشكالا متعددة . ففي حين واصلت واشنطن دعم اسرائيل في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، قامت بعرقلة مختلف المبادرات والمشاريع لتحقيق تسوية سلمية عادلة على اساس الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة . واعطت لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تفسيرا مغايرا لمختلف التوضيحات التي سبقت اقراره من قبل المجلس المذكور . وللوعود التي قدمها جونسون للملك حسين، كما ذكر كيسنجر في مذكراته " سنوات البيت الابيض" بانسحاب اسرائيلي كامل الى حدود عام ٦٧ لقاء موافقة الملك على قرار ٢٤٢.

ويعترف كيسنجر في مذكراته الانفة الذكر بانه كان يعطل اية محاولة للوصول الى تسوية قبل ان تقطع مصر وسوريا علاقاتهما مع

Digitized by Birzeit University Library

الاتحاد السوفييتي، وتتوقفا عن استيراد الاسلحة، وترتبطا بعلاقة وثيقة مع واشنطن .

ولقد ترجم السادات هذه الشروط الامريكية بشعار " العلاقات المتوازنة" بين الشرق والغرب " وتبع سياسة " الاستقطاب الدولي" الذى طالماطالب به الملك حسين في معرض انتقاده لعلاقات التعاون القائمة بين سوريا والاتحاد السوفييتي وخاصة بعد توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بينهما . وراقت ذلك حملة من الاشاعات والادعاءات التي كانت تغذّيها وسائل الاعلام الغربية عن وجود مطحة مزعومة للاتحاد السوفييتي في بقاء " حالة اللاسلم واللاحرب " .

ولكن فيما كان اصحاب هذه الشعارات يستمعون للشروط الامريكية في مقابلاتهم مع المسؤولين الامريكيين لم يكونوا يطرحون ذلك التناقض في الموقف الامريكي حيث هو اكثر تصلبا فيما يتعلق بالضفة الغربية مما هو في سيناء رغم ان الملك حسين لا تنطبق عليه تلك الشروط ،وسياسته منسجمة مع المواصفات الامريكية . كما لم يتّعظالسادات من حقيقة ان الانظمة العربية الموالية للولايات المتحدة لم تستفد من هذه الموالاة في محاولاتها لاسترداد الاراضي التي احتلت منها . وحكام هذه الانظمة ، مثلما الحال بالنسبة للسادات لم يدركوا انه كلما ازدادوا ارتباطا بواشنطن كلما فقدوا امكانية التأثير على موقفها لصالحهم . وظلوا يطلقون التلميحات وحتى التصريحات التي تحمّل الاتحاد السوفييتي مسؤولية استمرار الاحتلال، واحيانا " الدول الكبرى" دون تحديد ،رغم انه في معرض تبريرهم للارتماء في احضان واشنطن كانوا يقولون ان اوراق القضية بيدها !!.

ان هذه السنوات العشرين قد اوضحت بما لا يقبل الشك ان سياسة الاعتماد على الامبريالية مهما كانت الذرائع والتخريجات التي تتخفى وراءها وماضى وحاضر الشخصيات التي تتبنّاها ، او تحاول ذلك، قد منيت بالافلاس، وانها لا تقود الا الى المزيد من التراجعات والاخلال في ميزان القوى لصالح استمرار الاحتلال وتكريسه فوق الارض العربية .

ولكن وضوح هذا الافلاس لا يشكل سببا كافيا للانظمة العربية الموالية للولايات المتحدة لتفك اواصر هذه الموالاة ، لان لديها اسبابا اكثر وجاهة وحيوية للابقاء على هذه الموالاة بل وتعزيزها ، وهناك العديد من الشواهد على ذلك ، منها المناورات واللجان العسكرية المشتركة مع عدد من هذه الانظمة كمصر والاردن والمغرب ، ومنها القواعد والتسهيلات العسكرية كما في منطقة الخليج . فضلا عن علاقات التبعية الاقتصادية والسياسيّة المتعددة الاشكال والتي بلغت حد تمويل العصابات المضادة للثورة في نيكاراغوا وانغولا وافغانستان، وقد نقلت "هيرالدتريبيون " ٨٧/٦/٢٢ تقريرا لستيفن روبرتس عن الدور السعودى في تمويل اهداف السياسة الخارجية الامريكية جاء فيه على لسان ديبلوماسي امريكي سابق وصفه بانه ذو خبرة واسعة في شؤون الشرق قوله عن " حكام السعودية" لقد كانوا رائعين في العديد من الاماكن . وفي كل مرة كنا نحتاج للدفع من اجل شيء ما ، كنا نتجه للسعوديين ، لقد كنا ننظر اليهم كبقرة حلوب عظيمة .

ويقول صاحب التقرير : " ان المسؤولين في البلدين" امريكا والسعودية" يصرّون على

Digitized by Birzeit University Library

ان علاقاتهم لم تكن تتضمن المعاملة بالمثل" اى ان السعوديين لم يطلبوا شيئا مقابل ذلك التمويل ، ولم يمتنعوا عنه او يخففوا منه حتى عندما منع الكونغرس عنهم اكثر من مرّة السلاح الذى كانوا يطلبونه .

وعلق الامير بنـــدر سلطان ، سفير السعودية في واشنطن ، بنوع من المباهاة على حقيقة الاستغلال الامريكي للسعودية بقوله " علينا ان نظهر للولايات المتحدة بأن بامكاننا ان نكون مفيدين لهم ايضا ، اننا في الحقيقة مفيدون لهم اكثر من الاسرائيليين" . وكل ذلك طبعا ، بدون مقابل وبدون امل في مساعدة امريكية لاستعادة الاراضي العربية المحتلة، بل في ظل اصرار امريكي على مساعدة الذين يريدون الاحتفاظ بهـــذه الاراضـــي !!.

ان هذا الواقع يطرح سؤالا اساسيا وهو كيف يمكن ان تعزز دول عربية علاقاتها بالولايات المتحدة في الوقت الذى تدعم فيه هذه الدولة الكبرى الاحتلال الاسرائيلي بمختلف اشكال الدعم وتتبنى الشروط الاسرائيلية الداعية الى فرض الامر الواقع ، واقع الاحتلال على العالم العربي ؟!.

ان الذين يتمكسون بمفهوم مثالي عن العامل القومـــي العربي في الصراع القائم يجيبون على هذا السؤال بالتباكي على " الزمن العربي الرديء " ، ويقفزون لدى ظهور اية بادرة مهما كانت باهتة وعابرة ليقنعوا انفسهم بامكانية " صحوة " او لئك الحكام المرتبطين بالولايات المتحدة من " غفلة " الانقياد وراء سياسات واشنطن ومشاريعها .

غير ان هذا المفهوم المثالي عن العامل العربي خضع لامتحان عسير خلال العشرين سنة الماضية ، وظهر خلالها قصوره التام عن تفسير مثابرة بعض الانظمة والقوى السياسية في العالم العربي على الارتباط بسياسة الولايات المتحدة ، وعلى نثر الامال بجدوى الاعتماد على الدور الامريكي في حل ما يسمى بالنزاع في منطقة الشرق الاوسط .

ان مجمل التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي تحققت خلال السنوات الماضية ، وخاصة خلال العقدين الاخيريـــن في عدد من الدول العربية ، عمّق الخصوصيّة الاقليمية للطبقات والفئات الاجتماعية التي استفادت من هذه التطورات ، وقلّص العامل القومي الى حجم استفادتها من الثروات النفطية ، او توزيع جزء منها ، وعلى اساس ذلك اعتبرت السعودية ودول الخليج تقوم بكامل مسؤوليتها القومية طالما ظلت توزع المساعدات المالية ، رغم انها كانت تتصرف في مجالات عديدة اخرى ضد المصالح القومية العربية ، وفي مقدمة ذلك خدمة المصالح الاستراتيجية للامبريالية الامريكية في المنطقة وخارجها على الاصعدة السياسية والعسكرية والمالية .

ولكن تعميق الخصوصية الاقليمية لم يلغ العامل القومي ، واذا كان خطر التوسع الاسرائيلي قد ظل يرفد هذا العامل ويغذّيه ، فان نفس المعطيات التي عمّقت الخصوصية لدى الاوساط الحاكمة العربية ساعدت بالمقابل في تعميق دور العامل القومي لدى الطبقات والفئات الاجتماعية التي عانت وتعاني من سياسات تلك الاوساط .

Digitized by Birzeit University Library

ان العشرين سنة الماضية منذ احتلال عام ٦٧ حملت الكثير من الادلة على ان الانظمة العربية الموالية للولايات المتحدة لا تسعى لتعزيز القدرات العربية ، ولا تفي بمستلزمات التضامن الكفاحي العربي ، وهي تفعل ذلك من منطلق تغليب مصالحها الطبقية الضيّقة على المصالح الوطنية والقوميّة لشعبها والشعوب العربيـــة .

ووقفها هذا يدخل كأحد عناصر ابقاء ميزان القوى في المنطقة لصالح السياسة الاسرائيلية الامريكية واستمرار الاحتلال الاسرائيلي لجزء من الارض العربية ، ولهذا كانت لاسرائيل مصلحة ثابتة في الدفاع عن تلك الانظمة وحمايتها من شعوبها والتهديد بالتدخل او التدخل الفعلي لخلق الصعوبات والعراقيل امام قوى التقدم العربية مثلما جرى عند انتصار ثورة تموز في العراق بالنسبة للاردن ، وفي ايلول الاسود ، ولبنان ، وضد مصر وسوريا في حزيران ٦٧ وفيما بعد .

ان مراهنة امريكا واسرائيل على الانظمة العربية الرجعية وبالتالي على ابقاء حالة التخلف والتبعية ، وقيامها بالدعم الفعلي لهذه الانظمة ، اعطتا لدور العامل القومي في الصراع معهما بعدا اجتماعيا ، بحيث لم يعد هذا الدور مجرد تضامن مع الشعب الفلسطيني تحفز اليه وحدة اللغة والتاريخ والمصالح والاخطار المشتركة بل وكذلك الطموحات المشروعة للجماهير العربية في التحرر والتقدم الاجتماعي والديموقراطية .

ان هذا التداخل الجدلي بين المهام القومية والاجتماعية لفصائل حركة التحرر العربي التقدمية يشكل موضوعيا اساسا راسخا لغنى وقوة تأثير العامل القومي ضمن عملية نمو بطيئة نسبيا بسبب الدور الذى لعبته اموال النفط في اشاعة الذهنية الاستهلاكية والفردية في المجتمعات العربية ، وتعاظم نفوذ البرجوازية البيروقراطية في بعض انظمة الحكم العربية الوطنية ، وتمكنها من بناء جهاز دولة حديث يجمع بين القمع الفكرى والجسدى والديماغوجية القائمة على التظاهر بمواصلة التمسك بالشعارات الاساسية لحركة التحرر العربيـــة .

غير ان هذه الانظمة ، انظمة البرجوازية البيروقراطية ، باتت تقترب في ازمتها من ازمة انظمة كبار الملاكين العقاريين والبرجوازية الكومبرادورية سواء على الصعيد الداخلي

او على صعيد المسؤولية تجاه القضايا القومية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية ، ومع الاعتراف بالفارق الجوهرى في موقف هذين الصنفين من الانظمة في الساحة العربية من حيث المنطلقات والاداء ، الا ان النتائج الظاهرة خصوصا فيما يتعلق باستمرار الاحتلال تطمس شيئا فشيئا هذا الفارق في وعي الجماهير ، وهو امر ينعكس خاصة لدى البرجوازية الصغيرة التي كانت تعتبر انظمة البرجوازية ، الصغيرة انظمتها ، وما زالت اوساط منها تعتبرها كذلك ، في توجه فئات منها الى الفكر السلفي بسبب خيبة املها في تلك الانظمة وقصورها لاسباب عدة عن تجاوز الحدود الايديولوجية السائدة ، واستكشاف افاق اخرى للتغيير الثورى ، وتوجه فئات اخرى منها الى الفكر الماركسي كمرشد اثبتت الحياة والتجارب كفاءته في التطبيق الثورى .

واذا كان هذا ليس مجال مناقشة هذا

Digitized by Birzeit University Library

الانعطاف في اتجاه تفكير بعض هذه الفئات ، الا ان الامر البارز الذي يمكن استنتاجه هو ان النهج الذي تسير عليه الغالبية الساحقة من انظمة الحكم العربية بغض النظر عن اختلاف منطلقاتها وتركيبها الطبقي وموقفها من الامبريالية لا يرضي الغالبية العظمى من الجماهير العربية، مع الاقرار بالتفاوت في عدم الرضى تجاه هذا النظام او ذاك .

ان عشرين عاما من الاحتلال الاسرائيلي لاجزاء من الاراضي العربية تعني في وعي الجماهير الشعبية عشرين عاما من حالة العجز والتهاون في استعادة الارض والكرامة العربية من قبل الانظمة العربية، وهو ما لا يمكن ان يجلب التأييد لتلك الانظمة

وهذه حقيقة يدركها حكام هذه الانظمة على اختلاف توجهاتهم السياسية، ولذلك واظبوا بمختلف الوسائل الدعائية والاقتصادية لصرف انظار الجماهير عنها بتغذية النزعة الاستهلاكية والمشاعر الاقليمية، ووضع قضية

التقدم الاجتماعي في تعارض مع المسؤولية القومية، وتحديد مفهوم هذا التقدم على اساس فردي، والغاء تهمة التقصير على الاخرين، وافتعال معارك جانبية في غير مكانها ودون مبرر لها ، وهناك من الامثلة الكثير على مثل هذا التوجه في الكيفية التي جرت بها عملية انفاق اموال النفط ، وفي مغزى مؤتمر القمة العربي في عمان الذي سمي مؤتمر التنمية حتى عام ٢٠٠٠ ، وفي خطة التنمية الاردنية للاراضي المحتلة التي جاءت ترجمة لدعوة شولتز ، وزير الخارجية الامريكية، لما اسماه " تحسين نوعية الحياة " في الاراضي المحتلة ، وفي المبادرة لشن الحرب ضد ايران ومسارعة انظمة معروفة النزعة الاستسلامية مثل انظمة الاردن ومصر والسعودية والخليج لدعم وتشجيع النظام العراقي لمواصلة تلك الحرب.

لقد فشل هذا التوجه في تحقيق اهدافه والمصاعب الاقتصادية التي تواجهها هذه الانظمة، في الوقت الحاضر، وتعمّق حالة الاستقطاب الطبقي الناجمة عن الانفاق الاستهلاكي ونمو الرأسمالية الطفيلية خلال الطفرة النفطية، تزيد حالة عدم الرضى لدى الجماهير عن الانظمة القائمة وتعزز اتهامها بالعجز والقصور، وتوثق، في نفس الوقت، الترابط بين المشكلة القومية والاجتماعية، وتقوّي مشاعر العداء لكل الاطراف المسؤولة عن بقائهما دون حل .

واذا كانت الامبريالية الامريكية واسرائيل هما المسؤولتان عن تفاقم هاتين المشكلتين ، بسبب الاحتلال والتهديدات العسكرية المستمرة وما تستنزفه من طاقات وموارد لمواجهتها، فان ذلك لا يعفي الانظمة العربية من المسؤولية، ذلك لان الامر لا يتعلق بكمّية الموارد المتاحة وحسب بل بكيفية استخدامها وقد توفرت موارد ضخمة بعد ارتفاع اسعار النفط ولكن استخدامها جرى في اتجاه معاكس للحاجة لبناء القاعدة المادية والبشرية اللازمة للتطور في مختلف المجالات ، وكانت النتيجة " استهلاك " هذه الموارد في مجالات كمالية ، أو بذخية ومعاناة الجماهير لاحقا لمضاعفات ذلك ، اي من التضخم النقدي، وارتفاع الاسعار ونقص المواد الاستهلاكية وضمور فرص العمل وبكلمة اخرى تعمّق واتساع الارتباط بالسوق الرأسمالي العالمي وما يتبع ذلك من نتائج

Digitized by Birzeit University Library

ومضاعفات سلبية يقع عبئها الاكبر على الجماهير الشعبية ، وقد ساعدت هذه النتائج والمضاعفات في تعميق وتوسيع العداء للامبريالية الامريكية نظرا لانها حصلت وتفاقمت في اثر ازدياد الاعتماد على السياسة الامريكية باسم حل " النزاع في الشرق الاوسط و"تحسين شروط المعيشة" او الانفتاح حسب تعبير السادات .

لقد اسقطت هذه النتائج ذريعة قوى الاستسلام العربية القائلة بأن السير على نهج كامب ديفيد يوفر الفرصة لتحسين مستوى معيشة الجماهيـــر .

وفي الوضع الاقتصادي المتفاقم السوء الذي تعاني منه الجماهير المصرية ما يؤكد ان الاستسلام ليس مدخلا للتقدم وتحسين احوال معيشة الجماهير، بل سبيل لتحقيق البرجوازية الطفيلية مزيدا من اثراء نفسها، والارتباط بحماتها الامرياليين ، على حساب القضية الوطنية ومصالح الجماهير الكادحة ـ

ان هذه الحقيقة الناصعة الوضوح في تدهور الاوضاع المعيشية للجماهير المصرية بعد اتفاقيات كامب ديفيد تؤكد البعد الاجتماعي لسياسة رفض المشاريع الاستسلامية ويوثق علاقته الجدليةمع البعد القومي .

وفيما كانت شرائح اجتماعية من البرجوازية الوطنية المتوسطة والصغيرة خاصة ، من كان منها في السلطة او خارجها ، تعلق الامال على الدور الامريكي ، وتتنهز اية بادرة من جانب الولايات المتحدة كي تقترب منها مهما كانت درجة الخلاف، وتظهر تذبذبا واضحا في سياستها الخارجية، لم يعد بالامكان القول ان هذه الشرائح ما زالت قادرة على تسويق مواقفها تلك كما كان الحال في السابق كما يمكن القول ايضا ان نفوذ هذه الشرائح وحتى قوتها العددية قد تقلصت بالقياس للسابق، وان القاعدة الاجتماعية لسياسة العداء للامبريالية الامريكية ومشاريعها قد اتسعت عما كان عليه الحال قبل سنوات قليلة ماضيـــة

وبالمقابل ، وفي مجرى هذه السنوات العشرين تعزز الوعي بأهمية بناء علاقات التعاون مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى، وبالحاجة الى استقطاب التأييد لقضية الشعب الفلسطيني على المستوى العالمي، ويمكن ملاحظة ذلك في تطور النظرة الى دور العامل الدولي والحاجة الى التحالف مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى والقوى والحركات الثورية والديموقراطية في البلدان الرأسمالية والنامية في قرارات دورات المجلس الوطني الفلسطيني المتعاقبة ، ولعل الدورة الثامنة عشرةكانت اكثر تلك الدورات وضوحا في التطابق بين التأكيد على التعاون مع الاتحاد السوفييتي والقوى الثورية العالمية وبين تبنّي سياسة تضمن تعزيز هذا التعاون .

ان السياسة التي اقرّها المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثامنة عشرة ،وفي الدورات القليلة التي سبقتها بخصوص حل القضية الوطنية وتحقيق السلام في الشرق الاوسط توفّر القاسم المشترك مع القوى الديموقراطية والمحبة للسلام في العالم، وتنسجم مع مقررات الامم المتحدة في دورات جمعيتها العامّة منذ عام ١٩٧٤ ،، وهي، بالتالي، تقف على قاعدة صلبة توفرها لها عدالة وواقعية مضمونها وتأييد اوساط واسعة من

Digitized by Birzeit University Library

الرأي العالمي لها، وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى والقوى الديموقراطية في البلدان الرأسمالية المتطورة والبلدان النامية .

ويمكن القول ان العام العشرين للاحتلال الاسرائيلي يشهد وضعا تتمتع فيه الحركة الوطنية الفلسطينية بوحدة قواها الاساسية وبمستوى عال من التأييد والتعاون معها على الصعيد الدولي بينما تعاني سياسة الولايات المتحدة واسرائيل رغم مناورات شمعون بيرس ، وزير الخارجية الاسرائيلية من العزلة وعدم التأييد في اوساط الرأي العام العالمي، وهو واقع دفع الاوساط الحاكمة الاسرائيلية والامريكية الى محاولة الالتفاف عليه بتصريحات ومواقف مزدوجة تميل الى عقد مؤتمر دولي، وتحاول، في نفس الوقت، تفريغ هذا المؤتمر من اي مضمون، وجعله مجرد مظلة لترسياستها الاساسية وتمريرها من بوابة ذلك المؤتمر الى مائدة الصفقات المنفـــردة .

ومع ذلك فان هذه المناورات ليست قادرة على طمس الحقيقة الاساسية وهي ان البرنامج الاسرائيلي الامريكي لتصفية القضية الفلسطينية وحركتها الوطنية، وفرض الهيمنة الامبريالية الامريكية على بلدان المنطقة قد منى بالفشل بوجه عام رغم بعض النجاحات وحتى نجاحه الكبير في مصر اصبح في ظل تفاقم الاوضاع الراهنة هناك، واهتزاز النظام وعزلته الداخلية والعربية، غير قادر على القيام بدوره، ضمن المخططات الاستراتيجية الامريكية، الذي كانت واشنطن تراهن عليه.

لقد كانت واشنطن تأمل في ان تكسب مصر بجبهتها الداخلية ومركزها العربي، كما كان عليه في عهد عبد الناصر، الى معسكرها، ولكنها كسبت نظاما معزولا يعاني من المصاعب الاقتصادية والسياسية، وضئيل التأثير في الساحة العربية. وقد تجلى ذلك في محاولة هذا النظام بعد الغزو الاسرائيلي للبنان وخروج منظمة التحرير من بيروت ، لاستثمار الوضع الناشئ لفك عزلته العربية وتسويق خطة ريغان لتصفية القضية الفلسطينية ، غير ان فشل هذه المحاولة، كما تجلى ذلك في الغاء اتفاق عمان، وفي استعادة وحدة منظمة التحرير والتأكيد في دورة المجلس الوطني الفلسطيني الثامنة عشرة على مقاطعة ذلك النظام يعطي الدليل على ان مراهنة واشنطن على دور مصر كامب ديفيد في خدمة مشاريعها في المنطقة كان فيها قدر كبير من المبالغة والاسراف في التفاؤل .

ومع ذلك لا يجوز التقليل من خطر التحركات التي يقوم بها النظام المصري لصالح مشاريع التصفية الامريكية للقضية الفلسطينية ، خصوصا وان هذه التحركات تشكل المواجهة الخارجية لتحرك قوى الاستسلام العربية، وتتلقى التشجيع والتعاطف والموافقة الخفية من جانب عدة انظمة عربية، مثلما تتلقى الموافقة العلنية والتنسيق المشترك من قبل حكام الاردن

وتتركز تحركات هذه الاوساط المتساوقة مع النظام المصري ومع السياسة الامريكية في محاولات الدفاع عن هذه السياسة، وتثير الوعود بوجود بوادر ايجابية مزعومة لدى الادارة الامريكية ، وفي محاولة خلق بديل لمنظمة التحرير في الاراضي المحتلة من خلال لجان " التنمية" والاجراءات الادارية والمالية الموجهة للضغط على الحركة الوطنية ولرشوة

Digitized by Birzeit University Library

بعض الاوساط من ممثلي البرجوازية الكبيرة والملاكين العقاريين والبيروقراطية، وتتضافر لخدمة هذه المحاولة الجهود الامريكية والاسرائيلية والمصرية والاردنية، وتتخذ شكل " التقاسم الوظيفي" في التطبيق العملي . وتكفي الاشارة في هذا المجال الى ان كبار الموظفين العرب في " الادارة المدنية" الاسرائيلية هم رؤساء لجان التنمية الاردنية في الاراضي المحتلة، وهم يمارسون عملهم في الناحيتين بموافقة السلطتين الاسرائيلية والاردنية ، والامر كذلك بالنسبة لرؤساء البلديات المعيّنين الذّين حصلوا على الموافقة الاردنية قبل تعيينهم لرئاسةوعضوية البلديات من قبل السلطاتالاسرائيلية .

وتسير مع هذه النشاطات اجراءات قمعية مكثفة تقوم بها سلطات الاحتلال وتستهدف الارض والانسان والثقافة الوطنية، ومحاولة ضرب الحركة الوطنية الفلسطينية وتوفير المناخ المناسب للبيروقراطية الاردنية وزلم وزارة شؤون الارض المحتلة الاردنية، للعمل ضد منظمة التحرير والتشكيك في قدرتها على تمثيل الشعب الفلسطيني، ومعارضة قرارات الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني والتمسك باتفاق عمان الذى الغته منظمة التحرير عشية انعقاد دورة الجزائر الاخيرة .

واذا كانت اسرائيل تحاول استخدام المؤتمر الدولي المقترح كمظلة للمفاوضات الثنائية وعقد الصفقات المنفردة، فان كلا من مصر والاردن يتفق مع اسرائيل وامريكا على ضرورة استبعاد منظمة التحرير وتقديم ممثلين فلسطينيين آخرين يتمتعون برضى الولايات المتحدة واسرائيل .

وفي سبيل هذا الهدف تحاول هاتان الدولتان، الاردن ومصر، تصوير المؤتمر الدولي وكأنه هدف في حد ذاته يستحق ان يضحى بمنظمة التحرير والتمثيل المستقل من اجل الوصول اليه .

ان الفصل بين المؤتمر الدولي وبين اشتراك منظمة التحرير فيه يعني فصلا للاهداف الوطنية عن وسائل بلوغها. ، واستعدادا للتنازل عن هذه الاهداف ، ذلك لان مؤتمرا دوليا يعقد تحت شرط عدم اشتراك منظمة التحرير، وبممثلين تختارهم حكومتا الاردن ومصر وتقبل بهم حكومتا اسرائيل والولايات المتحدة لن تكون نتائجه افضل من نتائج كامب ديفيد .

ان القبول باستبعاد منظمة التحرير عن المؤتمر الدولي يعني موافقة مسبقة على التخلي عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير واقامة الدولة المستقلة .

وفيالسنوات الاخيرة دخل عامل الزمن كمحور في الصراع الايديولوجي والسياسي حول السبل والاهداف للقوى المختلفة في منطقة الشرق الاوسط .

واذا كانت اسرائيل تستغل طول فترة احتلالها لاجزاء من الاراضي العربية لتكريس الامر الواقع والزعم بنجاح سياستها، فان الانظمة اليمينية الاستسلامية العربية تحاول استغلال مرور الزمن لتخويف الجماهير الفلسطينية في الاراضي العربية المحتلة وخارجها بخطر ضياع هذه الاراضي وتكريس الامر الواقع ، وهي بموقفها هذا تعترف ان ليس لديها اى بديل سوى الاستسلام للمشيئة الامريكية الاسرائيلية تحت شعار " انقاذ ما يمكن انقاذه " و" الفرصة الاخيرة " !.

Digitized by Birzeit University Library

ومن الواضح ان هذا الزعم يمثّل هروبا الى الخلف عن الاهداف والحقوق العربية، واستسلاما للامر الواقع، واعلانا صريحا بان هذه الانظمة ليست مستعدة للمشاركة في النضال العربي لاسترداد الاراضي العربية المحتلة والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني على اساس سلام عادل بموجب القرارات الدولية وشرعة الامم المتحدة .

غير ان هناك اوساطا عربية وفلسطينية تحاول الهروب الى امام بالترفع عن النضال السياسي الجاري وبتبرير موقف عدم الاكتراث بعامل الزمن بالشعارات غير الواقعية التي تطرحها وبايراد الامثلة التاريخية عن الصليبيين وغيرهم .

وبغض النظر عن الاهداف التي تحددها هذه الاطراف لنفسها، والمنطلقات المختلفة التي تنطلق منها الا ان التجربة السياسية العملية، وخاصة تجربة كامب ديفيد، اكدت حقيقة جوهرية وهي الارتباط الجدلي بين الوسائل والاهداف في المسيرة النضالية .

واذا كان اسلوب الاعتماد على واشنطن قد قاد الى كامب ديفيد، فان اهدافا مهما بدت " ثورية" لا يتوفر لها حلفاء ثوريون على الصعيد الدولي، ولا تأخذ في الاعتبار ترابط المصالح وتبادل التأثير في العملية الثورية العالمية الواحدة تصبح منعزلة عن واقع العملية الثورية، وتفتقر الى مقومات اساسية لتحقيقها .

وفي الاراضي المحتلة تشهد بعض من محاولات "الهروب الى امام " باسمُ الدولة الثنائية القومية، ومن خلال ما يسمى" النضال بالتكاثر "، ووفقا لاصحاب هذه المحاولات سيكون الامتداد الزمني وسيلة للتكاثر الذى يجعل العربي، كما يقولون ، اكثرية في عام ٢٠٤٠ ، وبالتالي الى اقامة دولة ثنائية القومية وبهذا يريحون " ضميرهم " القومي!!

مثل هذا التوجه مفرط في السذاجة اذا ما بالغنا في حسن النية ، ولكن هناك من بين اصحابه من هو سيء النيّة ولا يمكن اتّهامه بالسذاجة ، والمسألة بالنسبة لهذا الصنف الاخير من هؤلاء هي ايجاد مدخل وغطاء لعملية الاندماج في اسرائيل والقبول بالامر الواقع ، وفي جميع الحالات فان " مناضلي التكاثر " هؤلاء يفرطون في الظن بان الصهيونية تحترم الديموقراطية حتى لو كانت تؤدّي الى القضاء عليها وتصفية كل اهدافها . وهذا امر لا يمكن تصوّره لا من باب التقدير ولا استنادا الى واقع الممارسة الصهيونية في الماضي والحاضر ، وهناك من القوانين والاساليب لدى الصهيونية التي تستهدف الحفاظ على الطابع " اليهودى " لدولة اسرائيل، وعرقلة اي احتمال بتطور يمكن ان يغيُر او حتى يضعف بروز هذا الطابع، ومصادرات الاراضي والضرائب الباهظة ، وعرقلة منح رخص البناء في مدينة القدس العربية امثلة بسيطة على ذلك، وقد اثيرت ضجة كبيرة، وصدرت احتجاجات في الكنيست الاسرائيلية بسبب توسيع حدود بلدية نابلس بضعة كيلومترات مربعة في اراض عربية بحجة ان ذلك سيزيد من مساحة البناء وتكاثر السكان!

ومن المفارقات الغريبة ان اصحاب هذا التوجه يقولون في الصهيونية ما لم يقله مالك في الخمر، ولكنهم مع ذلك يبدون الاستعداد

Digitized by Birzeit University Library

لرهن مصيرهم الوطني لمدة ستين عاما قادمة بيد الصهيونية !!.

وتحت هذا التوجه تندرج الدعوة الى المشاركة في الانتخابات لبلدية القدس الموحدة بالضم، واقامة " اللوبي" العربي للتأثير في سياسات المؤسسة الصهيونية الحاكمة .

ان اصحاب هذا التوجه لا يتمتعون بنفوذ ملموس ، لكن من الخطأ الركون الى التأييد الضئيل جدا الذي لقيته دعوتهم .

ان موقفهم افراز من افرازات عملية جارية منذ زمن وتتلخص في السعي للتكيف مع الواقع الراهن باسم" انقاذ ما يمكن انقاذه". وهذا الموقف مرتبط بعلاقة نسب مباشرة مع قبول التعيين في البلديات وفتح بنك القاهرة – عمان في نابلس ، والترحيب بخطة " التنمية الاردنية، والتهالك على دعوات المسؤولين الاسرائيليين .

صحيح ان مرور عشرين عاما على الاحتلال الاسرائيلي لم يخلق قاعدة اجتماعية في الاراضي المحتلة لبقائه ولتأييد سياساته ، غير ان واقع الالحاق الاقتصادي وتزايد الارتباط بالسوق الاسرائيلية على مدى هذه السنوات ، والمعاناة الناجمة عن مختلف الممارسات الاسرائيلية، وما يقابلها من " امتيازات" لحاملي الجنسية الاسرائيلية جعلت البعض، في ظل الوضع العربي الراهن ، وعدم وجود افاق لخلاص سريع من الاحتلال ، يرى في طرح الاندماج، والنضال عن طريق التكاثر فرصة للتخلص من تلك المعاناة .

ان ضيق المساحة الجغرافية والالتصاق السكاني وحاجات التعامل اليومي وخاصة في المجال الاقتصادي فرضت على العرب بعض اشكال الاحتجاج التي تمارسها ، في العادة، الاقليات القومية ،لكن ذلك ما كان ولا يجب ان يكون من منطلق التسليم بوضع الاقلية القومية على حساب السمة الاساسية لواقع الشعب الفلسطيني كشعب خاضع لاحتلال اجنبي ويناضل من اجل حقه في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة .

وهناك فرق جوهري بين الاحتجاج على ضرائب تفرضها البلدية الاسرائيلية على ابناء مدينة القدس العربية، دون الاعتراف بالضم ومن موقع التمسك بالسيادة العربية، وبين الدعوة للمشاركة في انتخابات هذه البلدية بما يعنيه ذلك من اعتراف بالضم الاسرائيلي وتسليم بالسيادة الاسرائيلية على هذه المدينة .

ولهذا فان الخلط بين بعض جوانب الظاهرة وجوهرها وبهدف طمس هذا الجوهر لحساب تلك الجوانب ،يعني القبول بوضع الاقلية القومية في ظل السيادة الاسرائيلية والتخلّي عن اهداف الشعب الفلسطيني .

ان قضية الشعب الفلسطيني هي قضية استقلال وطني ومن هذا الاعتبار يجرى رفض كافة المحاولات الرامية الى تقزيمها لقضية " تحسين شروط المعيشة " او " الادارة الذاتية " او التقاسم الوظيفي .

وفي مجرى السنوات العشرين الماضية من عمر الاحتلال ، جرت عدة محاولات لثني الشعب الفلسطيني عن تمسكه بحقه في تقرير مصيره . كان منها محاولة الترويج لمشروع اسرائيلي باسم " الادارة المدنية" وبعد ذلك الحكم الادارى الذاتي كما نصت على ذلك اتفاقات كامب ، وقد فشلت هذه المحاولات

Digitized by Birzeit University Library

وما تفرّع عنها فيما بعد،سعيا وراء تنفيذ خطة ريغان .

وقد تأكد خلال ذلك كله، وعبر تضحيات هائله ومعاناة شديدة شملت الغالبية الساحقة من ابناء الشعب الفلسطيني اصالة الهوية الوطنية الفلسطينية ورسوخ التمسك بها ، وموضوعية وجود منظمة التحرير وشرعيتها في تمثيل الشعب الفلسطيني . لكن القوى المعادية للشعب الفلسطيني لم تيأس من مواصلة التآمر ضد الاهداف الوطنية الفلسطينية، وهناك فيما تقدم، وفي غيره ايضا، امثلة على محاولات اغتيال هذه الاهداف .

واذا كانت مختلف القوى الرسمية العاملة ضمن دائرة الصراع قد جرّبت برامجها لانهائه فان برنامجا واحدا اثبتت الحياة صحته وهو برنامج الوحدة الوطنية الفلسطينية القائمة على تفاعل حيمع الجماهير ومع قوى حركة التحرر العربية،والتضامن الكفاحي العربي المعادى للامبريالية، والتعاون الوثيق مع الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الاخرى.

ان التمسك بهذا البرنامج والعمل على اساسه كفيل بايجاد وضع ملائم لعقد المؤتمر الدولي وتحقيقتسوية عادلة تقوم على الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة في عام ٦٧، وتؤمن حق تقرير المصير والعودة للشعب الفلسطيني، وترسي اسس سلام عادل ووطيد في هذه المنطقة من العالم .

Digitized by Birzeit University Library

رابطة الكتاب الأردنيين
هدف جديد للسلطة الأردنية

اسعد الاسعد

دأبت السلطات الاردنية منذ عهدناها على استخدام اساليب وطرق مختلفة، للوصول الى غايتها في كم الافواه، ومنع تطور البنية الفكرية والثقافية للشعب الاردني ، ولان التطور والتقدم سنة الحياة، فقد كان المثقفون الاردنيون وكذلك ابناء شعبنا الفلسطيني الذين يعيشون في الاردن ، يواصلون سعيهم نحو بناء قاعدة ثقافية تتناسب وتطلعات الشعب الاردني الى الانعتاق من ربقة الجمود ، وفتح الطريق امام المبدع والخلاق من الفن والادب على اختلاف انواعه واجناسه .

وكانت رابطة الكتاب الاردنيين منذ تأسيسها الاطار الذي يجمع هؤلاء ، وقد نجحت في ابراز الكاتب الاردني، وتطوير قدراته ، ومساعدته على النهوض بسموؤلياته، والاقتراب به من قضايا شعبه ، وهمومه العامة .

وكان من الطبيعي ان ينحى الكتاب منحى تقدميا في شكله ومضمونه ،الامر الذي لم يرق للسلطة ان تراه ينمو ويتطور ، وتمتد تأثيراته على الحركة الادبية الناشئة واتجاهاتها الفكرية والنقدية، بحيث بدأت تتبلور حركة أدبية وثقافية ذات اتجاهات وطنية وتقدمية، تعبر عن هموم جماهيرها، بشكل او بآخر ، ويبدو ان الممارسات القمعية المختلفة، ضد الثقافة والمثقفين ، على مدار السنوات السابقة ، لم تجد نفعا فيوقف نماء هذا التيار ، ولم تنجح في منع امتداده الى الشارع الاردني نفسه

واذا كنا ننظر الى الامور ليس بمعزل عن بعضها ، فلا مناص من ربط قرار حكومة زيد الرفاعي باغلاق مكاتب وفروع رابطة الكتاب الاردنيين ، بما يجرى الاعداد له على الصعيد السياسي والوطني، فاذا كان الحديث يدور حول احتمال دخول الاردن في مفاوضات مباشرة مع الحكومة الاسرائيلية، سواء عبر مؤتمر دولي او بدونه، فان الامر يتطلب

Digitized by Birzeit University Library

تهيأة الاجواء قبل البدء بتنفيذ ذلك الاتفاق ، والحكومة الاردنية ، تدرك المصادر التي قد تشكل ازعاجا وقلقا لها ، وهي جادة في تحجيمها ، والغاء اى دور لها . من شأنه ان يعرقل تنفيذ مخططاتها .

ولا شك ان اغلاق مكاتب وفروع رابطة الكتاب الاردنيين ، والغاء ترخيصها ، جاء عشية الانتخابات النيابية الاردنية المقرر اجراؤها في آب القادم ، والتي يسعى النظام من خلالها ، الى اضفاء صفة الشرعية على سياسته ، وماسوف يتمخض عنها ، حيث يسعى النظام الى ايصال عدد من النواب الفلسطينيين كممثلين عن المخيمات الفلسطينية في الاردن ، فيستكمل بذلك ما قام به من اختيار نواب لمجلس النواب الاردني عن مناطق الضفة الغربية ، من المقيمين فيها ، وبذلك يمكن للنظام ان يتقدم بممثلين للشعب الفلسطيني بالشكل الذى يسعى اليه . لتقديمهم كبديل للممثلين الحقيقيين .

واذا كانت السنوات السابقة ، شهدت تصعيد السلطة الاردنية لممارساتها القمعية ضد القوى الوطنية والتقدمية في الاردن ، الامر الذى يبدو للوهلة الاولى انه امتداد لنفس النهج الذى دأبت على اتباعه السلطة منذ بداية الخمسينات ، على اختلاف اشكال ذلك القمع ، واختلاف مدته من حين الى آخر ، الا ان تزامن هذا القمع مع ما يجرى الاعداد له من صفقات وتسويات ، يجعل من غير الممكن عدم ربط قرار الحكومة الاردنية الاخير بالاهداف التي سبق ذكرها .

الا ان الجديد في هذه الخطوة ، ما ورد على لسان بعض المسؤولين الاردنيين لتبرير قرارا حكومتهم ، واعني الاشارة الى سعي الحكومة الاردنية الى ايجاد اطار بديل يعاد صياغة نظامه الداخلي ، بحيث يستوعب حلقة اوسع تشمل الاكاديميين من اساتذة الجامعات الاردنية ، وكلبات المجتمع والمعاهد العليا في الاردن ، واذا كنا نعي التوجه الفكرى العام لهؤلاء ، وارتباطاتهم العائلية والوظيفية ، مع عدم اغفال حقيقة كون استمرار هؤلاء في وظائفهم ، مرهون بموافقة جهاز المخابرات الاردنية . نستطيع عندئذ ادراك مغزى القرار وابعاده ، وبالتالي مضمون الشكل الجديد الذى تسعى الحكومة الاردنية الى ايجاده ، كبديل لرابطة الكتاب الاردنيين .

Digitized by Birzeit University Library

لماذا الشطر الجنوبي من اليمن؟

بقلم :د. زياد ابو عمرو

السؤال المطروح والذى يحتاج الى اجابة هو كيف نفسر قيام نظام حكم ماركسي في الشطر الجنوبي من اليمن او ما كان يعرف باليمن الجنوبي، هذا البلد الفقير جدا في موارده الطبيعية ؟ لماذا اليمن الديمقراطي من دون الاقطار العربية الاخرى ؟.

ان الفرضية التي اسوقها للاجابة على هذا التساؤل هي ان مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية التقت في لحظة تاريخية ملائمة فجعلت من تطور الوضع القائم في اليمن الديمقراطي الى ما هو عليه اليوم امرا ممكنا .

وسأتناول في البداية بالعرض والتحليل العوامل الموضوعية التي اسهمت في خلق المناخ الملائم والمشجع لحدوث التحول من مجتمع مستعمر تسوده علاقات اجتماعية شبه اقطاعية او ما قبل رأسمالية بما افرزته مثل هذه العلاقات من اشكال السلطة السياسية ، الى مجتمع متحرر بدأ بعد تحقيق الاستقلال الوطني يبتعد عن طريق التطور الرأسمالي ويسعى بشكل تدريجي نحو تبني التوجه الاشتراكي وصولا الى الوضع الراهن، حيث يقف على سدة السلطة حزب ماركسي ـ لينيني هو الحزب الاشتراكي اليمنـــي .

بعد ذلك سوف اتناول ايضا بالعرض والتحليل العوامل الذاتية التي استطاعت ان تستغل العوامل الموضوعية احسن استغلال وتخلق بها ومعها واقعا اجتماعيـا جديدا .

Digitized by Birzeit University Library

أولا : الظـــروف الموضوعيـــة

==========

١ ـ الميـنـــــاء :

لعب ميناء عدن دورا بارزا على اكثر من صعيد . فمن ناحية وفر الميناء العمل لحوالي ١٠ بالمئة من مجموع قوة العمل في عدن وكان بمثابة الحاضنة التي انبثقت منها الاتحادات النقابية ومجموعات التجار والصناعيين والمتعهدين فوفر بذلك اساسا لقيام علاقات اجتماعية تحمل في طياتها بذور الاستغلال ، ومن ثم الصراع الطبقي . من ناحية اخرى وفر الميناء مكان التقاء لليمنيين من كافة انحاء اليمن بشطريه الشمالي والجنوبي ووفر لهم فرص التعرض للمؤثرات الخارجية المادية والبشرية .

كما لعبت مصفاة عدن دورا هاما حيث وفرت الاف الوظائف للعمال وشجعت قيام صناعات مصاحبة لصناعة تكرير النفط استخدمت بدورها اعداداً وفيرة من العمال . ومن بين هؤلاء العمال جميعا برزت النقابات العمالية الرئيسية التي قامت عليها الطبقة العاملة التي لعبت دورا بارزا في تحديد توجه البلاد السياسي والاقتصادي . اسهم ميناء عدن الحر ايضا في توفير بعض آليات التوعية الاجتماعية المعروفة . كانت اجهزة الراديو مثلا متوفرة ورخيصة وفي متناول السكان المحليين فأسهمت بذلك في التوعية السياسية الجماهيرية في مواجهة الوجود الاستعماري البريطاني . يقول هارولد انجرامز ، المندوب السامي البريطاني في عدن : " اخبرني احد الضباط في عدن بانه عندما كان يتنقل في ارجاء المحمية ويشاهد مجموعات البدو بقطعانهم ، كان يجدهم جالسين بالقرب من شجيرات معلق على احداها جهاز راديو، وهم بالطبع يستمعون الى " صوت العرب" وهو يندد بالظلم الواقع على مستعمرات الانجليز " (١) .

لقد وفر الميناء قدرا من حرية انتقال الافكار والاشخاص . فقد زار مدينة عدن واقام فيها عدد من الشخصيات البارزة العربية والاجنبية من امثال سعد زغلول ، زعيم ثورة عام ١٩١٩ في مصر ، وراميو الذي شارك في كومونة باريس عام ١٨٧١ والذي يقال بانه امضى ٤ سنوات في عدن . وقد كتب احد الرحالة عام ١٩٣٧ يقول : " في ازقة سوق عدن قابلت لاجئين (سياسيين) من كافة البلدان العربية تقريبا ، سوريا ، تونس، ليبيا ، مصر، العربية السعودية ، وفلسطين . ولقد استمعت الى محاضرة للاجئ تونسي هاجم فيها الاستعمار الفرنسي " (٢) .

وبسبب الجفاف والحروب القبلية هاجر الاف اليمنيين الجنوبيين عبر الميناء الى مناطق اخرى من العالم . فقبل الحرب العالمية الاولى هاجر من المحمية الشرقية لوحدها ١٠٠ الف يمني. ذهب ٧٠ الف منهم الى جزر الهند الشرقية (East Indies) (٣) . وعند عودتهم الى اليمن جلب هؤلاء المهاجرون معهم افكارا جديدة .

٢ ـ الحركـة العماليـة والنقابيـة :

لعبت الحركة العمالية والنقابية دورا

Digitized by Birzeit University Library

محوريا في تطور الشطر الجنوبي من اليمن باتجاه الماركسية ـ اللينينية . وفي عام ١٩٥٨ وصف" مؤتمر عدن العمالي " × (ATUS) بانه اكثر الحركات العمالية تطورا في الشرق الاوسط (٤). كان نشوء مثل هذا الوضع ممكنا بسبب وجود ميناء عدن ومصفاتها والاستعمار البريطاني بشكل عام .

وقد انشأت السلطات البريطانية مكتبا للعمل" في المستعمرة عام ١٩٤٢ صدر قانون يسمح بانشاء الاتحادات النقابية . ولكن هذا القانون ظل حتى عام ١٩٥٢ مقتصرا على الاوروبيين في عدن . وفي شهر ديسمبر عام ١٩٥٦ وصل عدد النقابات المسجلة الى ٢١ نقابة . وكانت هذه النقابات جميعها تنضوى تحت لواء " المؤتمر العمالي " الذى جرى تأسيسه في شهر مارس (آذار) عام ١٩٥٦ . وقد وصلت العضوية في هذه النقابات في حينه الى ٢٢ الف نقابي . وبعد تأسيس " " المؤتمر " بدأت الحركة العمالية والنقابية بتنظيم الاضرابات والمظاهرات والانتفاضات من اجل مطالب عمالية وسياسية ، مشكلة بذلك اهم مصدر للدعم المنظم للحركة الوطنية في عدن . تعرض العمال للافكار التقدمية التي ساعد في تعميمها الزعيم الماركسي عبدالله باذيب مؤسس " الاتحاد الشعبي الديمقراطي" والذى رفض مبدأ المصالحة الطبقية الذى دعت اليه البرجوازية العربية (٥) . وقد اسهم الكفاح المسلح الذى كانت تخوضه الحركة الوطنية في تشكيل التوجهات الوطنية والتقدمية لدى الحركة العمالية والنقابية ، وفي دفعها الى التخلص من قيادتها التقليديـــة .

كانت الحركة العمالية النقابية في عدن شديدة التسيس والوطنية . وقد كانت السياسة الاهتمام الرئيسي لمن قادوا هذه الحركة بعد عام ١٩٥٦ . كان هؤلاء القادة في حقيقة الامر هم ايضا قادة في " الجبهة الوطنيـــة المتحدة" وقد قرنوا منذالبداية نضالهم النقابي بالنضال السياسي(٦) . ولقد وصل انغماس الحركة النقابية وقيادتها في العمل السياسي الى اوجه بتشكيل حزب سياسي خاص بالحركة هو " حزب الشعب الاشتراكي". وكانت هناك مجموعة من العوامل التي اعطت الحركة العمالية والنقابية في الشطر الجنوبي من اليمن سماتها المميزة .ومن هذه العوامل الاوضاع الاقتصادية الخاصة لعدن ، والتركيب الاجتماعي للقوة العاملة، ووجهة النقابات السياسية ذات الميول القومية العربية ، وعدم خضوع هذه النقابات للسيطرة المباشرة للحكومة كما كانت حال النقابات في الاقطار العربية الاخرى، ما عدا لبنان (٧).

٣ ـ التنظيمات والاحزاب السياسية .

رغم قيام الحركة الوطنية المنظمة في جنوب اليون في وقت متأخر نسبيا (بعد الحرب العالمية الثانية) يلاحظ انها لعبت دورا هاما في اغناء الحياة السياسية في البلاد مما ادى تطور الوعي السياسي بشكل متزايد كما تجلى ذلك في الفترة التي واكبت مرحلة الكفاح من اجل تحقيق الاستقلال الوطني .

تزامنت نشأت التنظيمات والاحزاب السياسية محليا مع قيام النقابات والحركة العمالية كقوة منظمة. وشهدت هذه المرحلة على الصعيد العربي بداية بروز حركة التحرر الوطني العربية كما تجسد ذلك في قيام ثورة

Digitized by Birzeit University Library

يوليو (تموز) المصرية عام ١٩٥٢ ونيل عدد من الاقطار العربية لاستقلالها الوطني . وعلى صعيد عالمي شهدت هذه المرحلة انحسار الوجود الاستعماري عن عدد من دول العالم الثالث وهزيمة النازية وقيام الاتحاد السوفياتي كدولة عظمى تشكل سندا قويا لحركات التحرر العالمية. واصبح المعسكر الاشتراكي يشكل قوة تواجه النفوذ الغربي الرأسمالي .

وبالاضافة الى ذلك كانت عدن من اواخر المستعمرات البريطانية في الشرق بعد ارغام بريطانيا على التخلي عن وجودها المباشر في عدد من الاقطار الاخرى .

في ظل هذا السياق بدأت المجموعات والاحزاب اسياسية في جنوب اليمن في البروز الى حيز الوجود . لعبت هذه المجموعات والاحزاب السياسية على اختلاف انواعها واتجاهاتها السياسية والايديولوجية دورا في تعميم الفكر الوطني والسياسي . فقد كان لها اثر استقطاب الاتباع من حولها او خلق الاتجاهات المعارضة وكان نتيجة ذلك كله ان تبلورت حالة من الوعي الوطني والسياسي.

عرفت عدن منذ عام ١٩٤٩ وحتى تاريخ الاستقلال عام ١٩٦٧ اكثر من ١٢ تنظيما وحزبا سياسيا xxx علنيا او سريا . ولكن مستقبل هذه التنظيمات والاحزاب السياسية ارتهن بمدى صحة وجدية مواقفها الايديولوجية وممارساتها على صعيد قضية التحرر الوطني او الاجتماعي . يلاحظ مثلا ان عددا من التنظيمات والاحزاب التي ربطت بعدها بال وجود البريطاني أو هادنت مصالحه او دافعت عن مصالح الطبقات او الشرائح المتحالفة معه قد اندثرت . بينما تحققت السيد السيادة للجبهة القومية التي اعتمدت الكفاح المسلح اسلوبا لمواجهة الاستعمار والتي لقيت الدعم والتأييد من الاتحاد الشعبي الديموقراطي . وفي مرحلة لاحقة من حزب الطليعة الشعبية (البعث سابقا) .

٤ ـ التعليم والنوادي والصحافة :

كان للتعليم والنوادي والصحافة اهمية واثر واضحان كآليات لخلق الوعي الاجتماعي والسياسي . كان التعليم في الشطر الجنوبي من اليمن محدود الانتشار . ولذلك فقد قدم اليمنيون من داخل البلاد. وكذلك من الشطر الشمالي لليمن الى عدن حيث توفر في البداية عدد قليل من المدارس بحثا عن التعليم ولم يتغير مثل هذا الوضع الا في عام ١٩٦٣ حيث ازداد عدد المدارس وعدد التلاميذ الملتحقين بها على المستويات المختلفة . وقد جاء اقدام بريطانيا على زيادة عدد المدارس لامتصاص نقمة الشعب من خلال تحسين الاوضاع التعليمية وكذلك من اجل تخريج الكوادر لسد احتياجات الادارة والشركات البريطانية في عدن . اسهم التعليم في خلق درجات من الادراك السياسي والاجتماعي ليس فقط لدى من تلقوه مباشرة، بل ايضا لدى من تسنى له الاحتكاك او الاتصال بهؤلاء الشبان المتعلمين" وعلى الرغم من تركيز الادارة البريطانية على تدريس المواد التعليمية المحايدة كالعلوم والتكنولوجيا، وعلى الرغم من استخدامها لمدرسين غير خطرين، جاءوا من الاردن والسودان ، فان الطلاب في مدارس عدن سرعان ما تنبهوا للحركات السياسية في الشرق

Digitized by Birzeit University Library

الاوسط والعالم بشكل عام وبدأوا في تداول الافكار الوطنية المعادية للنظام القائم في عدن . وقد اضرب هؤلاء الطلاب عام ١٩٤٦ احتجاجا على عدم جعل يوم تأسيس الجامعة العربية عطلة رسمية . وكان ذلك تعبيرا تطور الوعي السياسي لدى جمهور الطلاب الذي كان في تزايد عددي مستمر " (**) .

لعبت النوادي الثقافية دورا هاما في بلورة الوعي الاجتماعي . بدأت هذه النوادي بالظهور في عدن منذ عام ١٩٢٥ . وقد شغل اعضاؤها انفسهم بنشاطات اجتماعية وثقافية متنوعة .ومن بين هذه النوادي كان هناك جمعيتان اكتسبتا اهمية خاصة، " الجمعية المتحدة للشباب اليمني" و"الرابطة القومية للكتاب العرب" . اصبحت الجمعية الاولى فيما بعد منظمة سياسية ترأسها رجل ماركسي هوعبدالله عبد المجيد السلفي، وكانت هذه المنظمة وثيقة الصلة" بالاتحاد الشعبي الديمقراطي" (٩) اما الجمعية الثانية فقد جرى تأسيسها عام ١٩٦٢ من قبل عدد من الكتاب اليمنيين المعروفين بعلاقتهم " بحركة القوميين العرب" التي تحولت فيما بعد الى " الجبهة القومية " .

وفي ظل غياب المؤسسات التعليمية لعبت النوادي الادبية والثقافية في عدن دورا في نشر المعرفة والادراك السياسي والوطني بشكل عام .

أما الصحافة فقد بدأت في الشطر الجنوبي من اليمن في مرحلة متأخرة . ومع ذلك فقد اسهمت فيتعميم الوعي الوطني والاجتماعي ولعبت دورا في تطور الحركة الوطنية في اليمن . كانت " فتاة الجزيرة" التي بدأت في الظهور عام ١٩٤٠ احدى الصحف العربية التي طبعت في عدن . دعت هذه الصحيفة في مقالاتها الى الاصلاح الاجتماعي وتحرر المرأة وتحسين الاحوال الصحية والتعليمية . كما عكست الصحيفة وجهات النظر السياسية للجمعية العدنية" وقيادتها . وفي اواخر الاربعينات ظهرت في عدن مجموعة اخرى من الصحف تختلف عن " فتاة الجزيرة" من حيث الشكل والمضمون. وكان الوضع السياسي لجنوب اليمن ومستقبله ،كما رأته الجماعات السياسية المختلفة ، أحد اهم الموضوعات التي تناولتها هذه الصحف .

من ناحية اخرى كانت عدن مركزا لصحف المعارضة لحكم الامامة في شمال اليمن . ففي عام ١٩٤٦ اصدرت حركة " الاحرار اليمنيين" المعارضة صحيفة " صوت اليمن " الاسبوعية والذى رأس تحريرها الشاعر اليمني المعروف محمد محمود الزبيرى . كانت " صوت اليمن" تعتبر نموذجا للصحافة الوطنيـة . .

واكب النشاط الوطني في جنوب اليمن في الستينات نشاط صحفي مواز وذلك على الرغم من القيود التي فرضها البريطانيون . ففي عام ١٩٦٣ كانت تصدر في البلاد ٢٣ صحيفة محلية (١٠) .

٥ ـ الطـلاب والمهاجـرون :

منذ اوائل الخمسينات تم ارسال اعداد من الطلاب اليمنيين لتلقي التعليم في الخارج . واثناء تواجدهم هناك تيسر لهم الاطلاع على كتابات قومية وماركسية . ولدى عودتهم الى اليمن حاولوا تطبيق ما تعلموه في مجال التنظيم والتعبئة السياسية على

Digitized by Birzeit University Library

السياق اليمني . لعب هؤلاء الطلاب دورا اساسيا في تهيئة الظروف للانتفاضة التي قامت في ردفان وقد اصبح عدد منهم فيما بعد قادة وكوادر في صفوف " الجبهة القومية ".

واسهم المهاجرون العائدون في احداث حالة من الانفتاح الاجتماعي والسياسي في المجتمع اليمني المحافظ . وكان اهل حضرموت من اوائل المهاجرين اليمنيين العائدين الذين جلبوا معهم خبرات وافكارا جديدة وخاصة في ميدان النضال الوطنـــي والاجتماعي . وبعد عودتهم الى البلاد قاموا بالتردد على النوادي والجمعيات والحديث عن تجاربهم في المهجر . اسهم تعميم هذه التجارب في زيادة الاستعداد لدى المواطنين لتقبل الافكار الوطنية والاجتماعية الجديدة وخاصة بين الفئات العمالية (١١) . وعن دور المهاجرين من جنوبي اليمن يقول فرد هاليدي : " الوطنيون الاوائل تشكلوا من مجموعات المهاجرين الحضرميين في اندونيسيا وبريطانيا . وقد تأثر المهاجرون في الدولة الاولى بنمو الحركة القومية الاندونيسية ، في حين اكتسب المهاجرون الى بريطانيا الاراء التنظيمية والاصلاحية من حزب العمال البريطاني . ومنذ ١٩٢٧ عقد منفيون حضرميون عادوا الى البلاد مؤتمرا في المكلا واصدروا نداءات لم تصب نجاحا ، لسلطاني الغيطي والكثيري بانشاء جمعية وطنية وتوحيد السلطنتين . وعقدت اجتماعات مماثلة في سنغافورة . وفي ١٩٣٩ ناشدت لجنة اصلاح حضرمية في اندونيسيا البريطانيين الاعتراف بوحدة واستقلال حضرموت ، ولكن مناشدتهم ذهبت ادراج الرياح كذلك . وبعد ان دمرت الحرب العالمية الثانية اساس الازدهار الحضاري ، (التمويلات من الخارج) عادت مجموعات حضرمية عديدة الى البلاد وحاولت الضغط على السلاطين " (١٢) .

٦ـ حرب التحرير (الكفاح المسلح) .

شهدت عدن حياة سياسية نشطة منذ اوائل الخمسينات حيث قامت الاحزاب السياسية بتوفير الاطر التنظيمية وتعبئة الجماهير مما ساعد على زيادة الوعي السياسي وبالاضافة الى ذلك ، جاء الكفاح المسلح ضد الوجود البريطاني والذي بادرت به " الجبهة القومية" عام ١٩٦٣ في جبال ردفان وعام ١٩٦٤ في عدن ليحدث المزيد من التعبئة الجماهيرية وكذلك التحولات المجتمعية . وبينما جاءت بعض هذه التحولات نتيجة لجهود مدركة في سياق احداث التغيير الاجتماعي ، حدثت بعض التحولات كنتيجة طبيعية مصاحبة للكفاح المسلح من اجل الاستقلال . ان حرب العصابات لها اثر تحويلي بسبب الطريقة التي تحارب بها ويرتبط هذا النوع من الحروب بعدة متغيرات كالتعبئة الاجتماعية والاعداد الايديولوجي وكذلك تراجع طبقات اجتماعية امام طبقات اخرى وقلب نظام اجتماعي باكمله واقامة نظام آخر مكانـــه .

لقد اثرت حرب الاستقلال في الشطر الجنوبي من اليمن في حياة الالاف من ابناء الشعب ان لم نقل في حياة الشعب باكمله . فعلى سبيل المثال كان هناك حوالي ٨٠ الفا من افراد القبائل المتنقلة ممن ارتبط مصيرهم " بالجبهة القومية" حيث كانت " الجبهة "

Digitized by Birzeit University Library

مسؤولة عن تنظيم حياتهم في النواحي المادية والسياسية والايديولوجية (١٣) . وعلى صعيد اشمل كان للكفاح المسلح والمظاهرات والقلاقل المصاحبة اثر واضح على حياة السكان في أرجاء البلاد المختلفة، حيث شاركت قطاعات واسعة في شكل او آخر من اشكال النضال الوطني . وفي التحليل النهائي لعبت حرب التحرير والكفاح المسلح دورا رئيسيا في زيادة وبلورة الادراك الوطني وفي تهيئة المناخ لعملية التحول الاجتماعي ، بل وفي احداث هذه العملية بالفعل .

٧ـ المؤثرات الخارجية :

كان للدور الذى لعبه الشطر الشمالي من اليمن وخاصة بعد ثورة سبتمبر عام ١٩٦٢ وكذلك الدور الذى لعبته مصر عبد الناصر عظيم الاثر في نجاح ثورة ١٤ اكتوبر (تشرين اول) عام ١٩٦٣ في تحقيق الاستقلال من السيطرة البريطانية . وكان لثورة سبتمبر اهميتها الخاصة في قيام وتطور حرب التحرير فقد خلقت هذه الثورة حماسا بالغا لدى سكان الشطر الجنوبي من اليمن . عبر هذا الحماس عن نفسه في قيام العديد من الجماعات بالتطوع لنصرة الثورة وحمل السلاح لحمايتها من المؤامرات الرجعية والامبريالية . وقد خلقت ثورة سبتمبر ظروفا " مواتية للانتفاضة الثورية في الجنوب ..." (١٤) . قدم النظام الجديد في الشمال للثورة في الجنوب الدعم السياسي اللازم لاستمرار الكفاح من اجل الاستقلال .

من ناحية اخرى اسهمت ثورة سبتمبر (ايلول) في الشمال في احداث او ابراز نوع من التمايز بين معسكر " المحافظين" و معسكر " الثوريين" في الجنوب : " كان اهل الجريدة يجلسون الى اجهزة الراديو عند ساعات بعد الظهر يستمعون الى آخر الاخبار كان انصار النظام الجمهوري يصغون الى اذاعة صنعاء ، بينما يصغي المتعاطفون مع الملكية الى محطة سرية تابعة للامام . وفي المساء كان الجمهوريون يستمعون الى اذاعة " صوت العرب" بينما يستمع انصار الامام الى نشرات راديو عدن واذاعة السعودية، وهيئة الاذاعة البريطانية وحتى راديو اسرائيل من اجل سماع اخبار مغايرة لتلك التي يبثها الجمهوريون" (١٥).

وبذلك اصبحت الثورة في الشمال تمثل ، لانصار الثورة واعدائها على حد سواء رمزا للتغيير القادم . فقد كانت مؤشرا لبداية تغيير مدرك من واقع اجتماعي تقليدى الى واقع جديد تحكمه قيم ومبادئ جديدة كانت في تلك الفترة مستلهمة من فكرة القومية العربية (١٦).

ان ثورة سبتمبر لعام ١٩٦٢ التي كان قيامها شرطا ضروريا لاندلاع واستمرار الثورة المسلحة في جنوب اليمن لم تكن نفسها لتستمر لولا دعم مصر عبد الناصر لها . وعلى الرغم من عدم قيام حزب ناصرى في الجنوب اليمني فقد كان " للناصرية " اثر غيرمباشر على كافة التنظيمات الوطنية في البلاد . (١٧) وشكل الوجود المصرى في الشمال مصدرا رئيسيا من مصادر دعم الكفاح التحررى في الجنوب . فقد قامت القوات المصرية هناك بتوفير وسائل التدريب العسكرى لافراد

Digitized by Birzeit University Library

" الجبهة القومية"، فوفرت لهم مراكز التدريب والسلاح والمدربين . وساعد الضباط المصريون المتواجدون في "تعز" اعضاء " الجبهة القومية" في تنظيم اعمال المقاومة المسلحة داخل الجنوب اليمني .

ان التواجد المصرى المكثف في الشمال، لغرض دعم الثورة هناك، اخل بموازين القوى في المنطقة وخلق ظروفا مواتية لتفجير العمل الثورى في الجنوب كما تجلى ذلك في انطلاقة ١٤ اكتوبر (تشرين اول) عام ١٩٦٣ (١٨).

تجلى الاثر الايديولوجي الناصرى على حركة القوميين العرب الام منذ عام ١٩٥٨ وقد انعكس هذا التأثير على فرع الحركة في جنوب اليمن حيث تم اخذ العديد من الافكار والمفاهيم الاشتراكية عن التجربة الناصرية . كان عبد الناصر والناصرية بمثابة مصدر الهام ايديولوجي وسياسي لقادة " الحركة " . وقد وصل تأثير عبد الناصر الى صفوف الحركة العمالية والنقابية التي وقفت بحزم الى جانب مصر عندما تعرضت للعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ . وقد كان للنصر السياسي والدبلوماسي الذى احرزه عبد الناصر، بالاضافة الى بداية حرب التحرير الجزائرية اثر في " خلق حالة من الادراك السياسي القومي لاول مرة في جنوب اليمن هذه الحالة التي جاءت لتواكب حالة الادراك الوطني التي كانت قائمة بالفعل (١٩).

وعلى الرغم من ان الدعم المصرى او اليمني الشمالي كان في بعض الاحيان محكوما ببعض المعادلات السياسية الداخلية ، او التحالفات المتغيرة بين القوى السياسية المختلفة في جنوب اليمن، الا انه كان دعما ذا اهمية قصوى بالنسبة لمستقبل الثورة ونجاحها . وان محاولات التدخل المصرية او اليمنية الشمالية في الاوضاع السياسية المحلية في الجنوب كان لها اثر ايجابي هام في الحركة الثورية وقيادتها الى تطوير درجة من الاعتماد على الذات ، لقد ادت المواجهات والضغوط السياسية الى شد القيادة الثورية وتقوية عزيمتها، كما تجلى ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، في خروج (الجبهة القومية" منتصرة في المواجهة مع جبهة التحرير التي حظيت قبيل الاستقلال بالدعم الرسمي لكل من مصر وشمال اليمن .

ثانيا : العامل الذاتي
(دور وخيارات القيادة الثورية)

يقدم اليمن الديموقراطي نموذجا للدور الهام . الذى يمكن للقيادة الثورية ان تلعبه في سياق تحديد اتجاه مسار الدولة والمجتمع بشكل عام في قطر من الاقطار . وهو يقدم نموذجا واضحا للنمط اللينيني في عملية التغيير ولدور العامل الذاتي في تحديد الخيارات السياسية . ومع ذلك فانه لا بد من التأكيد بأن العامل الذاتي لم يكن كافيا وحده لافراز النظام القائم اليوم في اليمن الديموقراطي لولا توفر الظروف الموضوعية المناسبة . وبالمقابل فانه لولا توفر العامل الذاتي لما امكن الاستفادة من الظروف الموضوعية الناضجة ، ولضاعت فرصة تاريخية لا تعوض . وربما قدمت كل من سوريا ومصر والعراق والجزائر نماذج لدول كانت الظروف الموضوعية فيها مهيئة لخيارات جذرية من

Digitized by Birzeit University Library

قبل قياداتها نحو التوجه الاشتراكي لو ان هذه القيادات اقدمت على تبني مثل هذه الخيارات .

ان الخيارات السياسية والايديولوجية لقيادة " الجبهة القومية" لم تتراجع امام التحديات التي واجهتها . فقد اخذت قيادة الجبهة على عاتقها الالتزام بالدفاع عن هذه الخيارات وبعد خروجها منتصرة من حرب الاستقلال لم تواجه هذه القيادة اية مقاومة فعلية ، داخلية او خارجية ، للاجراءات الجذرية التي بدأت باتخاذها . وبعكس سوريا والعراق ومصر لم يكن في جنوب اليمن طبقات مكتملة البناء تاريخيا ، وخاصة بعد حروب السلاطين والامراء الاقطاعيين واركان البرجوازية الكمبرادورية اثناء وبعدحرب الاستقلال كان المجتمع في جنوب اليمن يمثل اشكالا مشوهة او بقايا انماط انتاج وتشكيلات اجتماعية مختلفة في ذات الوقت كنمط الانتاج الاقطاعي او شبه الاقطاعي ونمط الانتاج الرأسمالي او ما قبل الرأسمالي ، بالاضافة الى بعض مظاهر مجتمع البداوة كانت الطبقتان الاقطاعية والبرجوازية في الاساس ضعيفتين ، واصبحتا اكثر ضعفا بعد بداية الثورة المسلحة . ولم تطور اى من هاتين الطبقتين ايديولوجية محددة اومؤسسات قوية خاصة بها . وحيث ان بروز البرجوازية الوطنية جاء متأخرا وظل دورها خاضعا للشركات والاحتكارات الاجنبية ، فانها لم تتمكن من غرس جذور لها في المجتمع . ولم يكن في الواقع من السهل اطلاق تعبير " برجوازية وطنية" على هذه الطبقة لان عددا كبيرا من اعضائها كانوا من الاجانب او انحدروا من اصول اجنبية .ونتيجة لذلك فقد التقت مصالح هذه الطبقة مع استمرار الوجود الاستعماري في البلاد . وكانت الطبقة الاقطاعية وامراؤها تلقى الدعم من الاستعمار البريطاني وتعتمد عليه اعتمادا مباشرا . اما القبيلة، التي شكلت ركيزة اساسية من ركائز المجتمع اليمني التقليدي، فقد بدأت تتهاوى كمؤسسة اجتماعية واقتصادية وسياسية منذ ما قبل الاستقلال . ان ضعف البرجوازية الوطنية والاقطاع والقبيلة مهد السبيل لبروز مجموعات اجتماعية ووطنية جديدة. ولكن الطبقات الجديدة ايضا (البرجوازية الصغيرة والعمال والفلاحين) لم تكن مكتملة النمو . فالطبقة العاملة مثلا برزت قبل، وبمعزل عن ، بروز برجوازية وطنية حقيقية ومتطورة .

وكان الدين ، كمؤسسة ، ايضا ضعيفا . ان البنية الاجتماعية ما قبل الاقطاعية وغياب طبقة اقطاعية قوية، والتي يرتبط وجودها عادة بتعزيز دور الدين ، ساعد في اضعاف المؤسسة الدينية . ولذلك لم يلعب الدين دورا رئيسيا في النضال من اجل الاستقلال . وقد آثر رجال الدين عدم التدخل في السياسة . ولم تكن المجموعات الدينية منظمة او مؤطرة بشكل يسمح لها باستخدام الدين للتعبير عن اهتمامات سياسية او اجتماعية كما كانت الحال بالنسبة للحركة المهدية في السودان او جماعة الاخوان المسلمين في مصر.

اما مجتمع البداوة فكان قليل التنظيم وكذلك قليل التدين . ان حياة البداوة والتنقل المستمر تتطلب قدرا وافرا من الخشونة والقسوة . وان التعلق بالدين والتبحر فيه من شانه تليين القلوب وتهذيب النفوس .

Digitized by Birzeit University Library

ومثل هذا الوضع لا يتوافق ومقتضيات حياة الصحراء .وربما اسهم عدم تدين مجتمع البداوة من ناحية ومشاعية المراعي من ناحية اخرى في تسهيل تقبل وانتشار الافكار الاشتراكية في جنوب اليمن . ويتوجب الاشارة ايضا الىان المجتمع اليمني جسد في يوم من الايام نموذجا لنمط الانتاج الاسيوى الذى لم تعرف فيه الملكية الخاصة للارض (٢٠) وربما ساعد على تقبل الافكار الاشتراكية تراث دولة القرامطة التي قامت في اليمن في اواخر القرن التاسع والقرن العاشر والتي اكدت على مبادئ العدالة الاجتماعية والحياة الجماعية والملكية العامة لوسائل الانتاج . وقد جرى في الدولة القرمطية الاستيلاء على الارض المروية التي يملكها الاقطاعيون واعادة توزيعها على الفلاحين بدون مقابل (٢١).

وربما كان فقر جنوب اليمن وقلة مواردها الطبيعية ووقوعها ضمن دول المحيط في المنطقة له جانب ايجابي . فقد ابعد مثل هذا الوضع اليمن عن انظار الدول الطامعة ومحاولات التدخل الخارجي، وبذلك استفادت من حالة العزلة النسبية فيالتركيز على الاهتمام بشؤونها الداخلية .

يمكن ان يصبحالقادة السياسيون والعسكريون فالكارزماتيون منهم على وجه الخصوص في دول " العالم الثالث " العامل الاهم في تحديد اتجاه الدولة اوالمجتمع . ويمكن ان تفوق اهمية الدور الذى يلعبه هؤلاء دور اى طبقةمن الطبقات الاجتماعية . وعندما يكون مثل هذا الوضع قائما يكون من الصعب تحديد اثرالعوامل الاجتماعية ــ الاقتصادية الاخرى في تقرير التغيرات . ونورد للتدليل على ذلك مثال غانا في ظل حكم نكروما والصومال تحت حكم سياد برى . فعندما حدث انقلاب اطاح بطريق التطور اللا رأسمالي الذى كان يقوده نكروما وتبنى طريق تطور رأسمالي لم يكن بمقدور الجماهير افشال هذا التغيير المفاجئ .وكذلك كانت الحال بالنسبة للصومال عندما قرر سياد برى التحول من طريق التطور الرأسمالي الى طريق التطور اللارأسمالي وبعد ذلك العودة مرة اخرى الى طريق التطور الرأسمالي . ان مثل هذه المواقف المتبدلة في الحالتين كانت ممكنة بسبب غياب مؤسسات وقوى ثورية لعدم وجود طبقة عاملة فاعلة او طبقة برجوازية صغيرة ذات شرائح ثورية .

بدأ العامل الذاتي في اليمن بعد الاستقلال يمارس دورا مباشرا مدركا ونشطا في توجيه دفة الاحداث وصولا الى قيام نظام حكم ماركسي . فقد قام قادة " الجبهة القومية"، مستفيدين من شرعيتهم كقادة تحرر وطني، باحداث عدد من التغييرات الجذرية . لم يكن هؤلاء قادة اقوى تنظيم سياسي في جنوب اليمن فحسب، بل كانوا ايضا قادة شعبيين ومجربين وظلوا على اتصال بالجماهير . ولم تكن الجماهير لتمانع في اعطائهم الفرصة للايفاء بوعودهم بخلق نظام سياسي ومجتمع افضل .

كانت قيادة " الجبهة" ماهرة في استغلال مشاعر العداء لبريطانيا من اجل هدم البنية السياسية القديمة التي كانت قائمة في البلاد حتى وقت الاستقلال عام ١٩٦٧.

وكانت هذه القيادة تدرك من البداية ايضا انه لا يمكن للثقافة السياسية المرتبطة

Digitized by Birzeit University Library

بالنظام الاجتماعي القديم ان تتعايش والواقع الثورى الجديد . فقد كان الواقع الجديد بحاجة الى ثقافة جديدة تنسجم والتوجه الاشتراكي ومنذ الاستقلال جرى البدء في عملية تعبئة سياسية استلهمت في الاساس الفكر الاشتراكي فقد اصبحت المدارس ادوات هامة لمثل هذه التعبئة . وجرى في هذا السياق اعداد نصوص ومقررات مدرسية جديدة تهدف الى تهيئة الطلبة نحو القيم والمواقف القومية والتقدمية والاشتراكية . فالكتاب المقرر لطلبة الصف السادس الابتدائي في مادة " التاريخ العربي المعاصر" يتناول مواضيع في التاريخ العربي والاستعمار الاوروبي للعالم العربي، وتطور الحركة القومية العربية وقيام حركات التحرر الوطني، وقد ارتكز منهج دراسة هذه الموضوعات على اساس من التحليل الطبقي (٢٢).

ويشرح مدرسو مادة الجغرافيا لطلاب الصف السادس الابتدائي ايضا دور الولايات المتحدة الامريكية كقائدة للامبريالية العالمية وكعدوة للقوى التقدمية والتحررية في العالم .

وتطلب التوجيهات الاتية من وزارة التربية والتعليم ، الى المدرسين التأكيد على الدور الفعال الذى يلعبه الاتحاد السوفياتي في دعم القوى التحررية والتقدمية في العالم (٢٣) . ويدرس طلاب الصف السابع والثامن والتاسع من المرحلة المتوسطة موضوعات مثل الاشكال التاريخية للمجتمع الانساني، الدولة في النظامين الرأسمالي والاشتراكي طريق التطور اللارأسمالي، الامة والقومية، الوحدة العربية، والثورة في الخليج العربي (٢٤). اما في المدرسة الثانوية فتدرس موضوعات انماط الانتاج ، التشكيلات الاجتماعية، علاقات الانتاج، والثورتان البرجوازية والاشتراكية (٢٥).

وجرى تعميم الافكار الاشتراكية من خلال حملات محو الامية التي نظمت في طول البلاد وعرضها . وقامت التنظيمات العمالية والنقابية والمنظمات الجماهيرية باستلهام فلسفة التنظيم السياسي للجبهة القومية ، والحزب بعد تأسيسه، في اداء مهامها اليومية . وبذلك تكون اغلبية المجتمع قد تعرضت لشكل أو آخر من اشكال التعبئة الاجتماعية. ومن الجدير بالذكر ان ٥٠ بالمئة من السكان كانوا ولدوا بعد الاستقلال وتلقوا تعبئة مخططة ومنتظمة . وكان لمثل هذه التعبئة المكثفة والتي لم تواجه بمؤثرات مضادة من نفس النوع ، اثر اضعاف الثقافة السياسية والوطنية التقليدية .

كانت قيادة " الجبهة القومية" تدرك من ناحية اخرى اهمية استغلال المجتمع التقليدى لصالح عملية التغيير الطلابي . وهي لذلك اتبعت عددا من الاساليب الذكية. فمنذ البداية اخذ قادة " الجبهة" الواقع اليمني بعين الاعتبار واتبعوا سياسات حكيمة في تعاملهم مع المتغيرات الفاعلة فيه .

في سياق محاولة القضاء على اجهزة الدولة القديمة يلاحظ مثلا انهم تعايشوا مرحليا مع هذه الاجهزة . وكانت الطريقة التي تعاملوا بها مع مسألة الدين بعيدة عن اثارة الحساسيات وكذلك الحال بالنسبة للقبيلة التي تم القضاء على اساسها المادى من خلال قوانين الاصلاح الزراعي، وانشاء التعاونيات ومزارع الدولة، ومجمل مكونات النظام الاجتماعي القديم الذى تعاملوا معه بحذر شديد دون ان ينسوا هدفهم الرئيسي

Digitized by Birzeit University Library

وهو قلب هذا النظام رأسا على عقب وكانت قيادة " الجبهة " حريصة على احترام مشاعر الشعب وقيمه ومعتقداته وفي سياق عملية التغيير لم يجر تحد هذه المشاعر او القيم او المعتقدات بشكل صارخ يصعب التحكم فيه وادارته بالشكل اللائق . ولم يتم الاعلان عن تبني الاشتراكية العلمية، وفيما بعد قيام الحزب الماركسي ـ اللينيني ، الحزب الاشتراكي اليمني، الا بعد ادراك القيادة اليمنية بامكانية نجاح هذه القرارات التاريخية وذلك بعد ان اصبحت الظروف الموضوعية مواتية نسبيا واصبحت السلطة في الدولة والمجتمع ، تتمركز في يد " الجبهة القومية" والقوى الثورية المتحالفة معها والتي شكلت جميعا، وانصهرت في، الحزب الاشتراكي اليمني .

لقد استطاعت " الجبهة القومية" وفيما بعد الحزب الاشتراكي اليمني تحاشي بعض المشكلات التي واجهت الاحزاب الشيوعية في العالم العربي . استطاع قادة الجبهة والحزب تحقيق ذلك بالتخطيط الحذر والمدرك وبسبب توفر الظروف التاريخية المناسبة . فبعكس معظم الاحزاب الشيوعية العربية لم يجر تأسيس الحزب الاشتراكي اليمني من قبل اقلية عرقية او دينية. ولم يجر النظر للحزب على انه مجرد تابع للاتحاد السوفياتي ، وهي التهمة الكلاسيكية التي توجه للاحزاب الشيوعية من قبل الدوائر المعادية xxx وفوق ذلك فان " الجبهة القومية" او الحزب لم يكونا في يوم من الايام تنظيم او حزب معارض لانظمة قائمة، كما هي الحال بالنسبة للاحزاب الشيوعية العربية، وبذلك لم تتعرض " الجبهة القومية " او الحزب الاشتراكي اليمني لحملات القمع والتنكيل والملاحقة التي تعرضت لها هذه الاحزاب ولم تتمكن بسببها من التقاط الانفاس . ولم يكن من السهل اطلاق الاتهامات التقليدية المتوجهة الى الاحزاب الشيوعية العربية على قادة الجبهة او الحزب فمن المعروف ان اتهامات بالالحاد والاباحية ومعاداة الدين والقومية العربية تطلق بشكل تقليدي على الاحزاب الشيوعية العربية . لم يكن من السهل الصاق مثل هذه التهم بالجبهة او الحزب وذلك لان الجبهة القومية قد تحولت تدريجا من حركة معادية للشيوعية الى حزب ماركسي ـ لينيني بشكل سمح لها بتجاوز آثار مثل هذه التهم . وحتى يومنا هذا لا يزال الحزب يتصرف بحذر نحو السعي لتحقيق اهدافه . فهو يتحاشى استخدام لغة يمكن ان تسيء الى الثقافة او التراث الوطني المحلي ، وفي كثير من الاحيان تجرى الاشارة الى رئيس الجمهورية والامين العام للحزب في اجهزة الاعلام الجماهيرية باللقب " اخ" وليس " رفيق" ويبدأ راديو عدن بث برامجه اليومية بقراءة الايات القرآنية ويقوم باذاعة صلاة يوم الجمعة على الهواء مباشرة ومع ذلك فان الخطب التي تلقى في المساجد تخضع لمراقبة وزارة الاوقاف ، ويذكر دستور البلاد ان الاسلام هو دين الدولة . ويدرس تلاميذ المدارس الصغار مادة الدين الاسلامي في مدارسهم . ويجرى تفسير القرآن بطريقة تقدمية وتجرى مقارنة تعاليمية بالمبادئ الاشتراكية. ويقوم الحزب بالدفاع عن العديد من المواقف والاجراءات الاشتراكية من خلال الاشارة الى تعاليم الاسلام كفكرة القطاع العام والتأميم والاصلاح الزراعي والقضاء على الاستغلال وتحقيق العدالة الاجتماعية (٢٦)

Digitized by Birzeit University Library

ويجرى النظر الى مسألة الدين في جنوب اليمن على انها مسألة شخصية بعكس الدولة المجاورة المحافظة والتي تنظم الممارسات الدينية من خلال التشريع . وقد اظهرت القيادة الثورية في اليمن ان الشيوعية والاسلام يمكن ان يتعايشا مرحليا اثناء عملية احلال الاولى محل الثاني وسيظهر المستقبل مدى نجاح هذه العملية .

وقد استغل الحزب الاوضاع السياسية والاجتماعية القائمة في بعض دول منطقة الخليج وخاصة السعودية لصالحه لا سيما وان اليمنيين في شطرى البلاد لا يكنون مشاعر المودةللنظام القائم هناك . فاليمنيون يعتقدون بان السعودية تحتل اجزاءا من اليمن ولديها مطامع توسعية نحوها . وبالاضافة الى ذلك يخشى اليمنيون الهيمنة السعودية وانتشار تأثيرها الاجتماعي والسياسي في بلادهم ، وكذلك اعمال التخريب التي يمكن ان تنطلق من الاراضي السعودية حيث تتمركز بقايا منظمات معادية كرابطة الجنوب العربي او

جبهة التحرير وبالرغم من ان هذه المنظمات تفتقد الدعم او التأييد الشعبيين داخل اليمن الا انها يمكن ان تستخدم كواجهة للتدخل الخارجي ومحاولات الابتزاز السياسي ومن اهم ما قامت به هذه المنظمات الهامشية المعارضة محاولة التسلل والتخريب التي قام بها ١٣ متسللا عام ١٩٨٢ . وغير ذلك ظلت اعمال المعارضة الخارجية تقتصر على النشاطات الدعائية .

اقدمت قيادة اليمن الديموقراطي ، على اتخاذ اربعة خيارات رئيسية كانت ذات اهمية قصوى في تحديد وجهة البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وهذه الخيارات هي القيام بالحركة التصحيحية لعام ١٩٦٩ ، والتخلص من سالم ربيع علي عام ١٩٧٨ ، وتبني طريق " التقدم الاجتماعي" او " التوجه الاشتراكي" كطريق للتطور في البلاد ، واخيرا قيام الحزب الاشتراكي اليمني . وعلى الرغم من ان هذه الخيارات الاربعة كانت نتيجة تخطيط واع فان عنصر الصدفة التاريخية لعب بدوره دورا هاما ، فقد كان من الممكن ، فيظل موازين القوى السياسية والاجتماعية القائمة داخل " الجبهة القومية" في تلك الفترة ، ان تحسم نتيجة الصراع لصالح التيار الذى يقوده فحطان الشعبي . ومن المؤكد انه لوتم ذلك لما سارت الامور في البلاد على النحو الذى هي عليه اليوم . كان من الممكن مثلا ان ينشأ وضع مشابه للاوضاع القائمة اليوم في سوريا او العراق او الجزائر لقد اوصلت الحركة التصحيحية باليسار الى سدة السلطـــة .

من ناحية اخرى ادى سقوط سالم ربيع علي الى خلق المزيد من التجانس الايديولوجي في اطار الجبهة القومية نفسها وبينها وبين التنظيمات الاخرى المتعاقدة معها على تأسيس الحزب الاشتراكي اليمني . لقد ادى التخلص من سالم ربيع علي الى وضع حد للنزعات الماوية داخل الحزب ، او ما يصفه اليمنيون باتجاه " اليسار الانتهازى" (٢٧) وكان التأسيس الناجح للحزب الطليعي ، الحزب الاشتراكي اليمني، التزاما نهائيا وقاطعا بالماركسية ـ اللينينية كايديولوجية معتمدة للدولة والمجتمع . وجاء تبني طريق " التوجه الاشتراكي " عام ١٩٧٢ ليوفر المناخ الملائم للتحول في هذاالاتجاه .

وبالاضافة الى الخيارات الرئيسية

Digitized by Birzeit University Library

الداخلية الاربعة الانفة الذكر قام قادة اليمن الثوريون بتبني خيار خامس على نفس القدر من الاهمية ويتعلق بطبيعة العلاقة مع الاتحاد السوفياتي . لقد انحاز هؤلاء القادة الى تأسيس علاقة وطيدة مع الاتحاد السوفياتي انطلاقا من الاعتقاد بأن مثل هذه العلاقة ستساعد على تحقيق التطور والاستقلال الحقيقيين لليمن الديموقراطي . فمنذ عام ١٩٦٧ بدأت العلاقات اليمنية السوفياتية تتطور بثبات واضطراد وذلك على الرغم من التغيرات التي طرأت في صفوف القيادة السياسية للحزب والدولة . وربما امكن الجزم بانه ما كان لنظام اشتراكي ان يقوم ويستمر في اليمن دون الدعم السوفياتي المستمر ، وخاصة في ظل موارد البلاد وامكاناتها المادية والبشرية الضئيلة وكذلك وجودها جغرافيا وسط محيط معاد . فمنذ البداية قدم السوفيات الارشاد الايديولوجي والفكري لقادة وعناصر الجبهة القومية الذين بدأوا يشعرون بجمود الفكر القومي وعجزه عن حل قضايا البلاد

الملحة ـ وقد تبلور مثل هذا الشعور بشكل واضح بعد الهزيمة التي منيت بها الانظمة القومية ، وخاصة نظام عبد الناصر، في حرب عام ١٩٦٧ . وكان السوفيات من طرفهم حريصين على ترك زمام المبادرة للقادة اليمنيين انفسهم . ومع ذلك فقد وقفوا بثبات الى جانب النظام التقدمي كلما تعرض للحصار اوالمقاطعة . ولم تعكر التجربة السلبية للسوفيات مع بعض الانظمة العربية الوطنية، في مراحل زمنية محددة، صفو او صلابة العلاقة السوفياتية ـ اليمنية .وقام الاتحاد السوفياتي بتقديم كافة اشكال الدعم المادي والمعنوي وقد تطور هذا الدعم بمقدار ما خطا اليمن الديموقراطي خطى واضحة نحو الاشتراكية . وكان حريصا على ان لا يتم اخضاع اليمن لابتزازات بعض الدول العربية والاجنبية . وبتأسيس الحزب الاشتراكي اليمني تم ترسيخ العلاقة اليمنية ـ السوفياتية ووضع الاساس الصلب لتحالف استراتيجي ثابت .ففي عام ١٩٧٩ ، وبعد سنة واحدة من تأسيس الحزب، اصبح اليمن الديموقراطي عضوا مراقبا في منظمة " الكوميكون"، وفي نفس العام جرى التوقيع على اتفاقية للصداقة والتعاون مدتها ٢٠ عاما بين البلدين . واصبح طموح القادة اليمنيين يتجه الى تطوير علاقة كتلك القائمة بين كوبا او فيتنام مع الاتحاد السوفياتي .

وفي الختام اود ان اورد عددا من التفسيرات او وجهات النظر حول الاجابة على السؤال موضوع هذه الدراسة : " لماذا الشطر الجنوبي من اليمن ؟" . ان احد هذه التفسيرات هو ما يقدمه المنظرون والمثقفون اليمنيون ، وهو تفسير قائم على المنهج الماركسي المعتمد في دراسة الثورة او عملية التغيير بشكل عام . يعتقد هؤلاء ان تحول الشطر الجنوبي من اليمن الى الماركسية ـ اللينينية جاء نتيجة لالتقاء الظروف الموضوعية الملائمة مع العامل الذاتي الفاعل الذي استطاع تطويع الظروف الموضوعية لخدمة التغيير المطلوب (٢٨). واني اعتقد شخصيا بصواب مثل هذا التحليل مع ضرورة التأكيد على الاهمية الخاصة والقصوى لدور العامل الذاتي المتمثل في الدور المحوري الذي لعبته قيادة البلاد الثورية في اختيار " التوجه الاشتراكي" طريقا للتطور . وفي

Digitized by Birzeit University Library

اعتقادى ايضا انه كان بمقدور قيادة حازمة وقوية الشكيمة كالقيادة اليمنية المجربة ان تقيم نظاما ماركسيا في ظل ظروف موضوعية اقل مواتاة من الظروف التي كانت سائدة في البلاد ، ويمكن دعم مثل هذا الاعتقاد بالاشارة الى التجربتين الاثيوبية والافغانية فلولا الخيارات الثورية لكلتا القيادتين لما كان للظروف الموضوعية ان تؤدى بالضرورة الى الوضع القائم وتفرز توجها اشتراكيا في هذين البلدين .

وواقع الامر هو ان معظم الاجراءات الجذرية والتحولات التي تمت في المرحلة التي اعقبت الاستقلال في اليمن الديموقراطية كانت نتيجة لخيارات القيادة الثورية . يقول احد قادة الجبهة القومية المخضرمين : " " كانت التجربة (اليمنية) فريدة من نوعها ، على الاقل في سياق العالم العربي ، لعدة اسباب : اولا ـ قطعت اليمن الديموقراطية بشكل تام كل علاقة لها بالاستعمار البريطاني ، ثانيا ـ اختيار التنظيم الحاكم ، الجبهة القومية ، ايديولوجية ماركسية لينينية ونظام حكم شعبي ديموقراطي معاد بقوة للامبريالية والاستعمار والاقطاع والرأسمالية . ثالثا ـ قامت الجبهة القومية بتدمير جهاز الدولة الكولونيالي تدميرا شبه كامل ، وخاصة الجيش والشرطة والجهاز البيروقراطي ..... رابعا ـ اتبعت الجبهة القومية سياسة خارجية امية ثورية ومستقلة وبذلك انحازت الى معسكر حركات التحرر الوطني والدول الاشتراكية واحزاب الطبقة العاملة في الدول الرأسمالية" . (٢٩).

هناك تفسير آخر ينتمي صاحبه الى ما يسمى بـ " اليسار الجديد " ويقع من الناحية المنهجية في منزلقات الخلط بين " التحليل الماركسي " و" السياسة الواقعية " يرى صاحب هذا التفسير ان عددا من العوامل فعلت فعلها في القيادة اليمنية واثرت على خياراتها الايديولوجية والسياسية لصالح الماركسية بدلا من الفكر القومي العربي مجسدا في فكر عبد الناصر وحركة القوميين العرب . ويقول ان الفكر القومي العربي كان الخيار الاكثر منطقية لقادة " الجبهة القومية " بسبب انحدارهم من " حركة القوميين العرب " في اليمن الجنوبية . ولكن الخلاف الذى وقع بين مصر وقادة " الجبهة" قبل وبعد الاستقلال والسياسات المصرية تجاه اليمن الشمالي خلق استياءا لدى قادة " الجبهة" وتسبب في خلق توجه راديكالي لديهم . وقد تسبب دعم مصر " لجبهة التحرير" وتفاوضها مع السعودية بشأن مستقبل الثورة في اليمن الشمالي الى اثارة الشكوك حول حقيقة الموقف المصرى، بالاضافة الى ذلك فقد ادى تعطل" الاشتراكية العربية" وهزيمة كل من مصروسوريا في حرب عام ١٩٦٧ الى رفض قادة الجبهة القومية للخيارات العربية فبدأوا بالبحث عن بدائل اكثر اقناعا وجاذبية .

ويذكر صاحب الرأى نفسه ان قادة الجبهة ارادوا البقاء في السلطة وتحاشي كل تدخل خارجي . وقد كان من شأن البديل الاشتراكي الماركسي والتحالف مع الاتحاد السوفياتي ان يحقق مثل هذا الغرض . فقد اعتقد هؤلاء القادة ان هذا الاختيار سيعرضهم لدرجة اقل من التبعية والتهديد ومحاولات تدخل الدول العربية في الشؤون الداخلية لليمن الديموقراطي (٣٠) وطبقا لوجهة النظر هذه فان اختيار الماركسية والتحالف مع الاتحاد

Digitized by Birzeit University Library

السوفياتي كان الطريق لتحقيق الاستقلال من ناحية اخرى يذكر هذا الرأى ان طريق التطور الرأسمالي لم يكن خيارا واقعيا لبلد مثل اليمن الديموقراطي من وجهة نظر قادتها فالنظام السياسي القائم في شمال اليمن ليس لديه ما يقدمه من حوافز او مغريات ، وخاصة ان ما لدى الجنوب من موارد بشرية ومادية هو اقل بكثير مما لدى الشمال • وفي ظل تبني الجنوب للماركسية باضطراد فانه كان من الصعب التراجع عن اجراءات جذرية كالتأميم والاصلاح الزراعي ، وان تبني " طريق التطور اللارأسمالي" في اوائل السبعينات قد اسهم في تعزيز تلك الاجراءات • ويعتقد صاحب هذا الرأى أيضا انه لو كان اليمن الديموقراطي بلدا نفطيا لتسنى لحكومة يرأسها قحطان الشعبي ، وربما بعض القيادات اللاحقة ، ان تنتهج سياسة " اكثر استقلالية " عن الاتحاد السوفياتي ، ولاختارت طريقا للتطور يشبه الى حد كبير ذلك الطريق المتبع اليوم في كل من سوريا والعراق ومصر والجزائر (٣١) •

وهناك رأى ثالث لعضو قيادى سابق في حركة القوميين العرب يقول ان تبي الماركسية من قبل قيادات الصف الثاني للجبهة القومية ، قادة البلاد المستقبليين ، كان نتيجة لتحول معرفي epistemological (break) لقد قامت هذه القيادات بتفسير هزيمة عام ١٩٦٧ واسباب الانفصال وفشل الوحدة المصرية ـ السورية قبل ذلك في عام ١٩٦١ على اساس من التحليل الطبقي واعزت وقوع الحدثين الى اسباب طبقية (٣٢) •

ويذكر صاحب هذا الرأى ان قيادة " " الجبهة القومية" قد افلحت اثناء وجوده في السلطة في توصيل المبادئ والافكار الماركسية بسهولة ومهارة الى مجتمع بدائي ، فاستطاعوا من خلال اسلوبهم السهل في مخاطبة حاجات المجتمع البدائي ان يستحوذوا على تعاطف الجماهير • وقد احسنت قيادة الجبهة الاختيار عندما قامت بالتأكيد على تلك الجوانب من الايديولوجية الماركسية المعادية للاستعمار والامبريالية • وقامت هذه القيادة في نفس الوقت بتوطين تعاليم الماركسية ذات العلاقة بسياق اليمن الديموقراطي • وقد لعبت كتابات ماو الشعبية في البداية دورا لانه كان من السهل فهمها وتقديمها وتداولها باشكال مبسطة • ويشارالى ان حكايات ماو كانت تروى في دروس محو الامية (٣٣) •

ويضيف هذا الرأى ان مسألة الحكم (من يجب ان يحكم ؟) • والتي اصبحت فيما بعد مصدرا رئيسيا من مصادر الخلاف لم تعط في البداية الاهمية القصوى من قبل قادة الجبهة القومية • ويشيرصاحب هذا الرأى الى ان اقصاء قحطان الشعبي عن السلطة عام ١٩٦٩ ينسجم والتحول الراديكالي الذى وقع في صفوف حركة القوميين العرب الام عام ١٩٦٤ فمثلما تحول قادة القوميين العرب من امثال جورج حبش ونايف حواتمة الى الماركسية ـ اللينينية ، تحول رفاقهم في اليمن الجنوبي الى نفس الايديولوجية • وقد كان اقصاء الشعبي مؤشرا واضحا على الحسم لصالح الايديولوجية الماركسية • وعلى الرغم من وجود خلافات ايديولوجية بين المجموعات الماركسية المختلفة في الجبهة القومية تحقق النصر في النهاية لصالح الاتجاه الماركسي اللينيني (٣٤) •

وهكذا يمكن الاستنتاج ان مجموعة من

Digitized by Birzeit University Library

العوامل قد التقت وتشابكت لتفرز نظاما ماركسيا ـ لينينيا في الشطر الجنوبي من اليمن فمن ناحية اسهمت الظروف الموضوعية، التاريخية والسياسية والسياقية المتمثلة في وجود الاستعمار البريطاني والتمايز الطبقي وقيام وتطور الحركة العمالية والنقابية وبروز الحركات السياسية المختلفة وحرب التحرير من اجل الاستقلال الوطني وغير ذلك من العوامل في تهيئة المناخ للعامل الذاتي ليوجه البلاد نحو طريق " التقدم الاجتماعي " ٠ وقد يتمثل العامل الذاتي في السياسات والاجراءات والخيارات التي اقدمت على اتخاذها القيادة الثورية للجبهة القومية والحزب الاشتراكي اليمني ٠

الهوامـــــــــش

1. Harold Ingrams , "The Outlook in South - West Arabia" , Royal Control Asian Society 40 (July - October 1956).

٢) سلطان ناجي، " الثقافة كميدان مواجهة بين التحرر والاستعمار . عدن ١٨٣٩ ـ ١٩٣٧"، المستقبل العربي ٣٢ (اكتوبر ١٩٨١) : ١٠٢٠

3. Doren Ingrams , A survey of Social and Economic Conditions in the Aden Protectorate (Eritrea :Government Printer to the British Administration , 1949) , p.37.

4. Gillian King , Imperial Outpost - Aden : Its Place in British Strategic Policy (London :Oxford university Press, 1964) , P.53.

٥) عبدالله مرشد، نشوء وتطور الحركة النقابية والعمالية في اليمن (بيروت : دار ابن خلدون ، ١٩٧٦)، ص، ١٢٢ ـ ١٢٣٠

6. R.J. Gavin , Aden Under British Rule :1893 - 1967 (New York :Harper and Row Publishers , Inc., 1975) , PP. 329 - 330.

7. D.C.Watt , "Labor Relations and Trades Unionism in Aden , 1952 - 1960" , Middle East Journal 16 (Autumn 1962):443.

8. Gavin , P.325

Digitized by Birzeit University Library

٩) علوى عبدالله طاهر، " النوادى الادبية والثقافية في عدن قبل الاستقلال الوطني"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ٣٦ (اكتوبر ١٩٨٣) : ٠١٩.

10. Joseph Kostiner , The Struggle for South Yemen (New York :St. Martin's Press , 1984), P.13.

11. Joseph Kostiner , "Arab Radical Politics :Al Qawmiyyun al - Arab and the Marxists in the Turmoil of South Yemen, 1963 - 1967,"Middle Eastern Studies 17 (October 1981) :455.

١٢) فرد هاليداى ، للصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية . (بيروت ،دار ابن خلدون ، ١٩٨١. ص ١٣٠ (ترجمة حازم صاغية وسعد محيو) .

13. Kostinen , "Arab Radical Politics ".
14. Fred Halhday , Arbin Without Suffers(London :Berguin Book , 1974) , PP. 193 - 194.

15. A.S.Bufra , "Urban Elites and Colonialism :The Nationalist Elites of Aden and South Arabia", Middle East Studies 3 (July 1967) and 4 (May 1973): P16.
16. Ibid ., P.17.
17. Kostiner , "Arab Radical Politics ,"P.456.
18. Halliday , P.194.
19. Ibid . ,P.181

٢٠) احمد صادق سعد، ست دراسات في نمط الانتاج الاسيوى للانتاج (بيروت : دار الطليعة، ١٩٧٩) ، ص ٥٦ .

٢١) محمد علي الشهارى، اليمن : الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال (بيروت : دار ابن خلدون ، ١٩٧٢) ، ص ١٣٧.

٢٢) جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية . تاريخ العرب الحديث (عدن :وزارة التربية والتعليم ، ١٩٧٣) ص ٦.

٢٣) جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية . جغرافية قارات العالم (عدن : وزارة التربية والتعليم ، ١٩٧٣) ص ٢٨.

٢٤) جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية . المناهج المعدلة للمرحلة الاعدادية (عدن : وزارة التربية والتعليم ، ١٩٧٢) ، ص ص ٢٣ – ٢٥ .

٢٥) جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية . علم الاجتماع (عدن : وزارة التربية والتعليم ، ١٩٧٥ ، ص ص ١٢ – ٢٦.

Digitized by Birzeit University Library

٢٦) عبد الفتاح اسماعيل، حول ثورة الوطنية الديموقراطية وآفاقها الاشتراكية (بيروت : دار الفارابي، ١٩٧٩) ، ص ص ٣٩٤ – ٣٩٥ .

٢٧) نفس المصدر السابق، ص ٤١٧

٢٨) تم استخراج هذا الرأى من خلال حوار جرى بين الكاتب والدكتور سالم بكير ، رئيس جامعة عدن (حاليا سكرتير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني) وعدد من المثقفين اليمنيين في عدن في شهر ديسمبر (كانون ثان) عام ١٩٨٤ .

29. Abdalla Ashtal ,"Politics in command :A case study of the People's Democratic Republic of Yemen , "Monthly Review 27 (February 1976), P.14.

٣٠) مقابلة مع فرد هاليدى، المتخصص في شؤون اليمن . لندن، كانون الثاني ١٩٨٦ .

٣١) نفس المصدر السابق .

٣٢) مقابلة مع وليد قريها ، العضو القيادى السابق في حركة القوميين العرب . بغداد، شباط ١٩٨٦ .

٣٣) نفس المصدر السابق .

٣٤) نفس المصدر السابق .

* يشار الى هذا المؤتمر عادة بـ " المؤتمر العمالي ".

** تجدر الاشارة الى ان الاحزاب الشيوعية العربية والاحزاب الشيوعية عموما تتفاخر بدرجة اقترابها من الاتحاد السوفياتي وتوطيد العلاقات معه . وهي ترى في هذه العلاقة علاقة طبيعية بين احزاب شقيقة تقف في نفس المعسكر وتحارب عدوا واحدا .

xxx هذه التنظيمات والاحزاب السياسية هي الجمعية الاسلامية (١٩٤٩) ، الجمعية العدنية (١٩٥٠) ، حزب المؤتمر الشعبي (١٩٥٤) ، الحزب الوطني الاتحادى (١٩٥٤) ، رابطة الجنوب العربي (١٩٥٠) / ١٩٥١) ، الجبهة الوطنية المتحدة (١٩٥٤) ، حزب الشعب الاشتراكي (١٩٦٢) ، حزب البعث العربي الاشتراكي (١٩٥٦) ، الاتحاد الشعبي الديموقراطي (١٩٥٣) ، وحركة القوميين العرب (١٩٥٩) ، الجبهة القومية (١٩٦٣) وجبهة وجبهة التحرير (١٩٦٤) .

Digitized by Birzeit University Library

1987 الكاتب، العدد 87

الطاقة الكهربائية في الضفة الغربية وقطاع غزة الواقع والبدائل

بقلم : د. عفيف حسن ـ جامعة بيرزيت

انتاج الكهرباء حتى عام ١٩٦٧ :

بدأت شركة كهرباء القدس والخدمات العامة، والتي يمتلكها مافرومايتس اليوناني الاصل، بتشغيل محطة واد الجوز عام ١٩٥٠ في نفس الوقت الذى تنازلت فيه عن امتيازها في القدس الغربية لصالح شركة روتنبرغ. في حين بدئ بتشغيل وحدات صغيرة من الديزل في كل من بيت لحم ورام الله عام ١٩٥٤.

تشكلت شركة كهرباء القدس الاردنية المساهمة المحدودة وتنازلت لها شركة كهرباء القدس والخدمات العامة عن امتيازها عام ١٩٥٧ والذى توسع ليشمل محافظة القدس (بما في ذلك منطقة رام الله وبيت لحم) وفي عام ١٩٦٤ ضمت اريحا الى منطقة امتيازها. حسب قانون سلطة الكهرباء الاردنية لعام ١٩٦٧ اصبحت منطقة الخليل ضمن امتياز الشركة لكن بعد عام ١٩٦٧ لم تعترف السلطات الاسرائيلية بهذا القانون الذى لم يصادق عليه قبل عام ١٩٦٧ من قبل الحكومة الاردنية (١).

أما في محافظة نابلس فقد اسس مشروع مؤسسة كهرباء نابلس باشراف بلدية نابلس عام ١٩٥٨ وجاء قانون سلطة الكهرباء الاردنية لعام ١٩٦٧ لينص على تكوين مؤسسة كهرباء نابلس بمنطقة امتياز تشمل محافظة نابلس لكن هذا لم يعترف به من السلطات كما ذكر اعلاه وبقيت الشركة تغذى فقط مدينة نابلس وبعض القرى المحيطة بها. وبقيت طولكرم تزود من وحدات ديزل صغيرة لحين عام ١٩٦٧ كذلك مدينة قلقيلية وجنين. اما في قطاع غزة فقد كانت ضمن امتياز مشروع روتنبرغ عام ١٩٣٥، وفي عام ١٩٥٠ تأسست شركة كهرباء غزة والتي اصبحت ملكا لبلدية غزة عام ١٩٥٥ ومرت هذه بمراحل من التطور حتى عام ١٩٦٧ (٢).

لقد كانت صناعة توليد الكهرباء تسير نحو التطور والتوسع مواكبة بذلك التطور الاقتصادى

Digitized by Birzeit University Library

والاجتماعي في المنطقة ، فمثلا شركة كهرباء القدس بدأت بقدرة اسمية مقدارها ١١٠٠ كيلو واط عام ١٩٥٩ ارتفعت الى ١١٧٦٠ كيلو واط عام ١٩٦٧ في حين محطة شركة كهرباء نابلس ارتفعت بطاقتها الاسمية من ٩٠٠ كيلو واط عام ١٩٥٧ الى ٣٠١٠ كيلو واط عام ١٩٦٦ كما هو مبين في جدول رقم (١) ، وقد رافق هذا تطور في شبكات النقل وخطوط التوزيع التابعة لهذه الشركات .

جـدول رقم (١)

القدرة الاسمية لكل من شركة كهرباء القـدس

وشركـة كهرباء نابلس حتى عام ١٩٨٠ (٣)

السـنه	شركة كهرباء القـدس الطاقة الاسمية كيلو واط	شركة كهرباء نابلس الطاقـة الاسمية كيلو واط
١٩٥٧	–	٩٠٠
١٩٥٩	١١٠٠	١٣٥٠
١٩٦١	٢٣٤٠	١٣٥٠
١٩٦٣	٣٥٨٠	٣٠١٠
١٩٦٤	٦٠٦٠	٣٠١٠
١٩٦٦	٦٠٦٠	٣٥٤٠
١٩٦٧	١١٧٦٠	٣٥٤٠
١٩٧١	١٦٧٦٠	٣٥٤٠
١٩٧٤	٢١٧٦٠	٨٣٤٠
١٩٧٩	٢١٧٦٠	٩٢٦٠
١٩٨٠	٢١٧٦٠	٢٣٥٤٠

استمر تطوير قدرة شركات الكهرباء العربية بعد عام ١٩٦٧ بالرغم من الصعوبات التي واجهتها فكما هو مبين في جدول رقم (١) فقد اصبحت القدرة الاسمية لشركة كهرباء القدس ٢١٧٦٠ كيلو واط عام ١٩٧٢ . اما شركة كهرباء نابلس فقد وصلت طاقتها الاسمية الى ٢٣٥٤٠ كيلو واط عام ١٩٨٠ .

من جهة ثانية ازداد الطلب على الطاقة الكهربائية بشكل كبير بعد عام ١٩٦٧ نتيجة عدة عوامل من بينها المشتركين الجدد وانارة قرى جديدة مضافا لذلك الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة . كذلك زيادة معدل الاستهلاك بسبب التغير في طريقة ونمط الحياة عند المشتركين والتوجه الى نمط المجتمع الاستهلاكي الغربي بكافة جوانبه، يضاف لها التوسع في القطاع الصناعي . يتبين من جدول رقم (٢) ان الزيادة وصلت في بعض السنين الى حوالي ٢٦٪ وهذا اكثر بكثير من المعدل الطبيعي للزيادة في مجتمع مستقر والتي تقارب من ١٢٪ .

في الوقت الذى كان يزداد فيه استهلاك الطاقة الكهربائية في الضفة وقطاع غزة كانت محطات التوليد القائمة تعاني من نقص في قدراتها الانتاجية بسبب التقادم فيها وعدم توفر قطع لصيانتها في كثير من الاحيان ، فقد انخفضت قدرة شركة كهرباء القدس الانتاجية من ٢٢ ميجا واط عام ١٩٧٢ الى ٨ ميجا واط عام ١٩٨٥ (٥) . وفي احيان اخرى كانت توضع العراقيل والقيود امام توسع المحطات القائمة فمثلا لم تستطع شركة كهرباء القدس حتى الان من تشغيل المولد الجديد ذا القدرة الاسمية ٦ ميجا واط . ومن ناحية اخرى فلم تستطع هذه الشركات العربية من زيادة رقعة

Digitized by Birzeit University Library

امتيازها بعد عام ١٩٦٧ فكما ذكر سابقا لم تعترف السلطات بقانون سلطة الكهرباء الاردنية لعام ١٩٦٧ الذى وسع منطقة امتياز كل من شركة كهرباء القدس وشركة كهرباء نابلس . بل بالعكس من هذا فمناطق امتياز هذه الشركات اخذت تتناقص تدريجيا نتيجة للربط مع الشركة القطرية مما اغلق الطريق نهائيا امام تطور هذه الشركات وتوسعها ، فنجد مثلا ان شركة كهرباء نابلس تعمل حاليا بقدرة حوالي ٣٫٥ ميجا واط رغم ان قدرة الشركة الاسمية هي حوالي ٢٢ ميجا واط وذلك بسبب تقليل الحمل الكهربائي بعد الربطمع الشركة القطرية خلال العامين ١٩٨٤ و ١٩٨٥ (٦) .

ان شركات الكهرباء العربية تتحول تدريجيا من منتج للكهرباء الى موزع لكهرباء الشركة القطرية. فقد كانت نسبة الكهرباء محليا حوالي ٢٦٪ والمشتراه من الشركة القطرية ٧٤ ٪ عام ١٩٧٩ (٧) وقد انخفضت هذه النسبة الى حوالي ١٠ ٪ مولدة و٩٠ مشتراه عام ١٩٨٥ (٨) وهذه النسبة في انخفاض مستمر . جدول رقم (٣) يوضح نسبة الكهرباء المولدةوتلك المشتراه من الشركة القطريـــة .

ان انخفاض الطاقة الكهربائية المولدة من الشركات العربية وزيادة الاعتماد على الشركة القطرية يأتي في سياق سياسة الالحاق والضم الاقتصادى للضفة الغربية وقطاع غزة ، حيث تشكل الطاقة عصب أى برنامج تنموى في المنطقة . فالتحكم في الطاقة الكهربائية يمكنه وقف التطور الصناعي للمنطقة او توجيهه بالطريقةالتي تتلائم مع سياسة الالحاق الاقتصادى . من جهة ثانية فانارة قرى جديدة او البيوت الجديدة يمكن ان تكون وسيلة اخرى للتحكم في التوسع العمراني والانتشار السكاني ومن هنا يقع سكان الضفة الغربيةوالقطاع تحت مزيد من الاستغلال الاقتصادى والقومـــي .

لقد طرأت تغييرات عديدة علىسكان الضفة الغربية وقطاع غزة بعد عام ١٩٦٧ في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية وفي مجملها اثرت على نمط معيشتهم ، وبشكل عام فقد عززت الجانب الاستهلاكي ، وهذا بالتأكيد ينطبق على استهلاك الطاقة الكهربائية ، فمن جهة قل اعتماد الفرد على المصادر التقليدية للطاقة والتي كان فياغلبها من الاخشاب وتحول بدرجة اكبر الى استعمال المدفأة التي تستخدم الكيروسين ومن ثم الكهرباء او التدفئة المركزية التي تحتاج الى الكهرباء

جـــدول رقـم (٢)

الكهرباء المستهلكة في الضفة الغربية وقطاع غزة

مليون كيلـو واط ساعـة (٤)

البيـــة	الضفة الغربية	قطاع غزة	المجموع	نسبة الزيـادة
٧٠ / ٧١	٥٩٫٦	١٥٫٤	٧٥	—
٧١ / ٧٢	٣٥٫٨	١٨٫٨	٩٤٫٦	١٫٢٦ ٪
٧٢ / ٧٣	٩٣٫٩	٢٢٫٦	١١٦٫٥	٢٫٢٣ ٪
٧٣ / ٧٤	١١٥٫٦	٢٦٫٤	١٤٢	٩٫٢١ ٪
٧٤ / ٧٥	١٣٦٫٦	٣٥٫٦	١٧٢٫٢	٣٫٢١ ٪
٧٥ / ٧٦	١٦١٫٨	٣٦٫٢	١٩٨	١٥٪
٧٦ / ٧٧	١٨٧٫٧	٥٣٫٤	٢٤١٫١	٨٫٢١ ٪
٧٧ / ٧٨	٢١٩٫٨	٦٤٫٦	٢٨٤٫٤	١٨ ٪
٧٨ / ٧٩	٢٥٢٫٨	٧٩٫٧	٣٣٢٫٥	١٦٫٩ ٪
٧٩ / ٨٠	٢٧٩٫٩	٩٤	٣٧٣٫٩	١٢٫٥ ٪

Digitized by Birzeit University Library

لتشغيلها ، وبالمثل زاد استعمال الادوات الكهربائية حتى ان تحضير الخبز في كثير من القرى اصبح على الكهرباء . ان زيادة معدل استهلاك الطاقة الكهربائية في وضعنا يجعلنا عرضة للاستغلال من قبل منتجي الكهرباء . ونفس الحديث ينطبق على المؤسسات وورشات الانتاج والمصانع المختلفة فالافران تتحول من وقود الحطب الى الكهرباء والمصانع هجرت مولدات الديزل ومناشير الحجارة ربطت مع شبكة الكهرباء . ان الاعتماد المتزايد على الطاقة الكهربائية كمصدر وحيد في الوضع الحالي يضاعف من خطر الالحاق الاقتصادي ويبتعد بنا عن الاقتصاد الوطني المستقل .

جـدول رقم (٣)

الكهرباء المولدة من الشركات العربية والمشتـراه

من الشركـة القطريـــــة (٩) .

السـنة	نسبة المولدة عربيا	نسبة المشتراه من الشركة القطرية
٧٠ / ٧١	٧٧	٢٣
٧٢ / ٧٣	٥ ر ٦٢	٥ ر ٣٧
٧٤ / ٧٥	٦٠	٤٠
٧٦ / ٧٧	٤٠	٦٠
٧٨ / ٧٩	٥ ر ٢٧	٥ ر ٧٢
٨٠ / ٨١	٢٢	٧٨
٨٤ / ٨٥	أقل من ٥ ر ١٢	أكثر من ٥ ر ٨٧

اقتراحـات وبدائـــــل :

الصورة تبدو قاتمة وصعبة فنمط استهلاكنا يندفع باستمرار نحو الاعتماد على الكهرباء كمصدر رئيسي للطاقة وشبكة الكهرباء وما يولد من الشركات المحلية يقل باستمرار لصالح مزيد من الاعتماد على الشركة القطرية ويأتي هذا مصاحبا لفقدان مزيد من الارض ومصادر المياه مما يفقدنا مقومات الوجود المستقل . كيف من خلال هذه الصورة يمكن الحفاظ على او بناء اقتصاد وطني مستقل ؟! قد يكون الحل، ليس في جانب مصدر الطاقة الاكثر ملائمة من الناحية الاقتصادية (الاقل كلفـــة فهذا قد لا يكون الاصح في مثل وضعنا ، وقد يكمن المخرج في الامور التالية :

أ) اللامركزية في انتاج الطاقة اى العودة الى المحطات الفرعية والمولدات الصغيرة .

ب) البحث في طرق الطاقة البديلة وتقليل الاعتماد على الكهرباء المولدة بالطرق التقليدية .

ج) الحد من الجموح نحو نمط المجتمع الاستهلاكي والمحافظة على بعض انماط الانتاج والاستهلاك التقليديـــة .

١) اللامركزيـة فـي توليـد الكهربـــاء :

من المعروف علميا واقتصاديا ان زيادة حجم الاستثمار وزيادة قدرة محطة التوليد تقلل من كلفة الكهرباء المنتجة . ان الحل الامثل كما وصفه المهندس موسى شومان في بحثه المقدم لمؤتمر التنمية من اجل الصمود عام ١٩٨١ يكون في انشاء محطة بخارية مركزية تزود الضفة الغربية كلها وتربط مع شبكة الكهرباء في قطاع غزة حيث تقام هناك محطة بخارية مماثلة (١٠) . من الواضح ان

Digitized by Birzeit University Library

هذا غير ممكن في ظروفنا الحالية فحتى المحطات القائمة حاليا مثل شركة كهرباء نابلس ذات القدرة التي تصل الى ٢٢ ميجا واط لم يبق لها من الاحمال الكهربائية سوى ٤ ميجا واط حيث ربط الباقي مع الشركة القطرية .

ان انتاج الكهرباء من مولدات ديزل صغيرة موزعة على مناطق مختلفة من الضفة والقطاع بحاجة الى اعادة تقييم من حيث الجدوى الاقتصادية والمشاكل الفنية وكذلك الامور القانونية المرتبطة به ، وقد يكون اسهل تطبيقه في القرى والمدن الصغيرة من المدن الكبيرة . هذا التوجه بحاجة الى دراسة من كافة جوانبه وقد تشكل لجنة مختصة من مهندسين واقتصاديين لدراسته ووضع الاقتراحات والتوصيات الخاصة به .

ب) المحافظة على النمط التقليدي في الانتاج والاستهلاك :

معظم الدارسين لوضع الصناعة والزراعة وطرق تنميتها في الضفة الغربية وقطاع غزة ينصحون بضرورة الحفاظ على نمط الاستهلاك الخاص بمجتمعنا والابتعاد به عن نمط الاستهلاك الغربي (١١) فالصناعات الوطنية مطالبة بانتاج السلع التي تلائم ذوق المستهلك العربي وهي اولى بذلك من شركات اسرائيلية او اجنبية. ونفس الوضع ينطبق على استهلاك الطاقة بأنواعها المختلفة، يجب الحفاظ على الاعتماد على الطاقة التقليدية من الحطب او المخلفات الحيوانية والزراعية الاخرى ، بل يجب تطوير هذه لتصبح سهلة الاستعمال وعملية بحيث تنافس مصادر الطاقة الاخرى. الذين عاشوا في الولايات المتحدة يتوقون الى الجلوس بجانب المدفأة (Fire place) ويعتبر ذلك من مقاييس " التحضر" . بيوتنا القديمة والتي لا زال بعضها قائمة في بعض القرى يوجد فيها الموقدة التي تستعمل للتدفئة ولاغراض اعداد الطعام (تعرف في بعض القرى بالوجاك) وعلى مهندسينا تطوير النموذج الملائم محليا لهذا الغرض ولا حاجة لنا لاستيراد " الفير بليس" من ايطاليا او اوروبا باسعار باهظة تجعلها حكرا على بعض الميسورين فقط .

ان الاستعمال المفرط للتلفزيون وغيره من هذه الاجهزة يزيد من استهلاك الكهرباء . الحفاظ على الطاقة وتقليل الضائع منها او التقليل في استهلاكها امر يجب ان نوليه العناية ، فمعظم الدول تعطي التوجيهات والتوصيات لمواطنيها للتقليل من استهلاك الطاقة، ليس فقط على مستوى الفرد والاسرة بل ايضا من قبل المؤسسات المختلفة . على الجامعات ومراكز البحث وشركات الكهرباء المحلية مسؤولية كبيرة في هذا المجال سواء بعمل الدورات وتقديم التوجيهات او العمل الدعائي من خلال الصحافة المحلية وشتى السبل الاخرى .

نحن بحاجة للبحث عن بدائل وتقييم استعمالنا لمعظم الاجهزة الكهربائية . لماذا نخبز على الافران الكهربائية ؟! اصبحنا نخزن الطعام والمأكولات بطرق التجميد (تفريز) وكأنها الطريقة الوحيدة لذلك !.

ج) مصادر الطاقة البديلة :

المقصود هنا بمصادر الطاقة البديلة تلك المصادر التي لا تعتمد على الوقود الحجري التقليدي من الفحم والبترول ، ويدخل ضمن هذه المصادر : الطاقة الشمسية، طاقة الرياح ، طاقة المد

Digitized by Birzeit University Library

والجزر الطاقة المنتجة من النفايات البشرية او الصناعية او الزراعية . وقد تستعمل هذه مباشرة كطاقة حرارية او تستعمل لتوليد الطاقة الميكانيكية او الكهربائية . هناك اهتمام عالمي بمصادر الطاقة البديلة نظرا لارتفاع اسعار المصادر التقليدية والتناقص المتزايد في احتياطها .

١ ـ الاخشاب والنفايات :

استعمال الاخشاب كوقود يعتبر من اوائل مصادر الطاقة والذى ما يزال يستعمل ربما بشكل محدود في بعض المناطق البعيدة . كذلك استعمال البقايا الزراعية فالقش مثلا (بقايا الحصاد من القمح والشعير والذى يعرف بالقصول) استعمل لتغذية " الطوابين" بالوقود . اما الجفت ـ بقايا الزيتون بعد استخراج الزيت ـ فقد استعمل لنفس الغرض اعلاه كما واستعمل للتدفئة (وقود الكانون) ، وتنتج الضفة الغربية كميات كبيرة من الزيتون وتبعا لذلك كميات كبيرة من الجفت والتي تحتوى على كميات كبيرة من الطاقة التي يمكن استخلاصها من خلال حرقها .ولا شك ان هذا الوقود بحاجة لتصنيع بسيط يلائم طرق الاستهلاك الحالية مع تحسين صفاتها من سرعة للاحتراق من خلال اضافة مواد اخرى . روث الحيوانات والنفايات البشرية يمكن تخميرها لاستخراج غاز الميثان منها والذى يمكن استعماله كوقود ، ومن المعروف ان الهند و عدد من الدول النامية قد قطعت شوطا طويلا في هذا المجال .

٢ ـ الطاقـــة الشمسيـــة :

تنعم بلادنا بمعدل مرتفع نسبيا من الاشعاع الشمسي يصل الى ٨٠٠ ـ ١٠٠٠ واط / م٢ وهذا يجعل من الممكن اقتصاديا استغلال هذه الطاقة لاستعمالات واشكال مختلفة . الاستعمال الاكثر انتشارا هو تسخين المياه باستعمال المجمعات المسطحة للاستخدام المنزلي . وهناك محاولات لاستفادة من الطاقة الشمسية في تدفئة البيوت سواء بالجمع بينها وبين التدفئة المركزية او من خلال الاستعمال المباشر للطاقة الشمسية بوضع تصاميم معمارية ملائمة تعمل على الاستفادة القصوى من الاشعة الشمسية لاغراض التدفئة بواسطة نظام التدفئة الشمسي الايجابي ( ) ويقع على عاتق المهندسين والباحثين المحليين تطوير هذا النمط من البناء ، ومع ان هذا قد يزيد من تكلفة البناء بنسبة ١٠ ـ ٢٠ ٪ الا انه قد يوفر حتى ٧٠ ٪ من الطاقة اللازمة للتدفئة شتاءا (١٢) كذلك يمكن توليد البخار ذا الضغط المنخفض باستعمال الطاقة الشمسية وباستعمال مجمعات مقعرة خاصة لهذا الغرض ،والذى يمكن ان يستعمل في بعض المؤسسات والمصانع مما يقلل من استهلاك الطاقة الكهربائية لهذا الغرض (١٣)

من جهة ثانية يمكن توليد الطاقة الكهربائية مباشرة بواسطة الخلايا الضوئية ، ومع ان هذه ذات تكلفة مرتفعة تصل الى حوالي ٥ دولار واط (١٤ة الانها قد تكون ضرورية في بعض التجمعات البعيدة والتي تحتاج الى كميات صغيرة من الطاقة الكهربائية مثل القرى الصغيرة وتجمعات البدو . بالاضافة الى هذا فهناك استعمالات اخرى للطاقة الشمسية مثل تجفيف الخضروات والفواكه وتحلية المياه المالحة ، كثير من هذه الاستعمالات للطاقة الشمسية بحاجة الى مزيد من البحث والتطوير الا انه يمكننا الاستفادة من التكنولوجيا الاسرائيلية المتطورة في هذا المجال .

Digitized by Birzeit University Library

٣ ـ طاقة الريـــــاح :

تتمتع كثيرا من المناطق في الضفة الغربية بمعدل مرتفع نسبيا بسرعة الرياح مما يجعل توليد الكهرباء من هذه الرياح ممكنا اقتصاديا ، فمن المعروف ان معدل سرعة الريح ٦م /ث او اعلى ضرورى لتوليد اقتصادى للكهرباء من الرياح ، في حين تتمتع مناطق المرتفعات مثل رام الله والقدس والخليل والتي يزيد ارتفاعها عن ٨٥٠ م عن سطح البحر بمعدل سرعة الريح يساوى او يزيد عن ٦ م / ث (١٥) . وتشير الدراسات الى انه يمكن توليد الكهرباء من الرياح بتكلفة تتراوح بين ٣ر٨ ـ ١٢ سنت / كيلو واط ساعة وبمعدل يساوى ٦ر٥ سنت / كيلو واط ساعة (١٦) . وهذا اقل من تكلفة الكهرباء المولدة من شركة كهرباء القدس مثلا . ويمكن توليد هذه الكهرباء من وحدات ذات قدرة صغيرة حوالي ١٠٠ كيلو واط او من مولدات كبيرة ذات قدرة تزيد عن ٢ ميجا واط . ومن الجدير بالذكر ان طاقة الرياح تكون في اشدها عند المساء حيث يتوافق هذا مع الحمل العالـــي المطلوب من الكهرباء في ساعات المساء .

من جهة اخرى يمكن استغلال طاقة الرياح لضخ المياه بواسطة مضخات خاصة لذلك وخصوصا في المناطق الساحلية مثل غزة حيث منسوب المياه الجوفية قريبا من سطح الارض (١٧) .

يجب ان تولي استخدام مصادر الطاقة البديلة الاهمية الكبرى من حيث دراسة امكانية ذلك وتطوير السبل الملائمة لذلك حيث ان هناك وفرة في هذه المصادر ويوضح جدول رقم ٤ التخطيط الاسرائيلي للاستفادة من هذه المصادر خلال الاعوام القادمة .

جـــدول رقـــم (٤)

استخدام مصادر الطاقـة البديلـة في اسرائيـل (١٨)

مليون كيلوا واط ساعـة : للسنـــة

نوع الطاقة	عام ١٩٩٠	عام ١٩٩٥	عام ٢٠٠٠
الريـــاح	١٥٠	٤٠٠	١٠٠٠
الشمسيـــة	١٠	٢٠	٥٠
الزيت الصخرى	٥٠	٧٠٠	٣٦٠٠
النفايـات ×	١٠٠	٢٠٠	٤٠٠

× البقايا العضوية من مخلفات زراعية وبشرية .

الخاتمـــــة :

حتى نستطيع الوقوف امام الدمج الكامل للاقتصاد المحلي وعلى صعيد الطاقة لا بد من وقف هذا الاندفاع القوى نحو الاستهلاك المتزايد في الطاقة الكهربائية والتمسك بنمط الاستهلاك المحلي ـ وان كان بحاجة لتطوير ليتلائم مع التطور الاقتصادى والاجتماعي الذى نعيشه ـ . هذا التوجه

Digitized by Birzeit University Library

يجب ان يترافق مع اعادة النظر في الاحمال الكهربائية المطلوبة خلال اليوم (منحنى الحمل اليومي) ودراسة كيفية اعادة توزيعها بحيث نقلل من الاستهلاك في ساعات الحمل العالي والذي يحدث في الغالب عند المساء(١٩) حيث تكون الانارة واستعمال كثير من الادوات الكهربائية المنزلية ، وهذا يتطلب التعاون الوثيق بين شركة الكهرباء وكبار المستهلكين للطاقة الكهربائية من صناعات يتطلب التعاون الوثيق بين شركات الكهرباء وكبار المستهلكين للطاقة الكهربائية من صناعات وورش كبيرة ، فمثلا محطات ضخ المياه يمكن ان تعيد النظر في معدل ضخها للماء ووقت ذلك (٢٠) ومن جهة ثانية قد يتطلب هذا وضع تسعيرة (تعرفة) خاصة باستهلاك الكهرباء في اوقات الحمل العالي وتشجيع الاستهلاك في الاوقات الاخرى من اليوم ، ان هذا من شأنه ان يجنب شركات الكهرباء المحلية من الضغط في الطلب العالي على الكهرباء في بعض الاوقات ويجنبها الانقطاعات المتعددة التي نعاني منها خاصة في ساعات المساء في الشتاء .

ان المقصود من هذه الدراسة هو وضع القارئ ــ دون الدخول في التفاصيل خاصة العلمية منها ــ امام وضع انتاج واستهلاك الطاقة الكهربائية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وفي نفس الوقت ايجاد نوع من الامل ضمن هذا الواقع الصعب الذي تعيشه شركاتنا العربية من ضعف في قدراتها الانتاجية ومصادرة لمناطق امتيازها لصالح الشركة القطرية . مضافا لهذا فتح مجالات للدراسة والبحث امام الدارسين والباحثين والمؤسسات والجهات المعينة على طريق الخروج من هذه الازمة الحقيقيـــة .

الهوامـــــش :

١) موسى شومان ، " الطاقة الكهربائية في الضفة والقطاع ، مؤتمر التنمية من اجل الصمود ، الملتقى الفكري العربي ــ القدس ١٩٨١.

٢) شومان م.م.س .

٣) مشتق من جدول رقم (١ــ١) وجدول رقم ١ ــ ٢) . شومان م.م.س . باستثناء عام ١٩٨٠ لشركة كهرباء نابلس مأخوذ عن مرجع ٦ أدناه .

٤) مشتق من جدول رقم (١ ــ ٢) شومان م.م.س .

٥) ناديا الهدمي ، " تقرير عن شركة كهرباء القدس" ، المهندس. عدد ١٧ . نقابة اصحاب المهن الهندسية ١٩٨٥ .

٦) توفيق نصار ، " محطة توليد كهرباء نابلس ، " المهندس، عدد ١٨ . نقابة اصحاب المهن الهندسية ، ١٩٨٦ .

٧) شومان م.م.س.

٨) التقرير لشركة كهرباء القدس مأخوذ من مصدر ٥ اعلاه .

٩) مشتق من شكل رقم (٥ ــ ٢) ، شومان م.م.س. اما تقدير عام ٨٥/٨٤ فمبني على اسس احمال شركة كهرباء القدس وشركة كهرباء نابلس من كمية الطاقة الكهربائية المستهلكة في منطقة امتيازهما. للاطلاع على نسبة الكهرباء المولدة والمشتراه لمنطقة امتياز شركة كهرباء القدس فقط يرجى الرجوع الى شكل رقم (١) في مقال علي حمودة " شركة كهرباء القدس" المهندس عدد ١٣ نقابة اصحاب المهن الهندسية ١٩٨١.

Digitized by Birzeit University Library

١٠) شومان ٠م٠س٠

١١) انظر الاوراق المقدمة لمؤتمر التنمية من اجل الصمود ، الملتقى الفكرى العربي ١٩٨١ مثل زنحو برنامج تنموى من اجل الصمود، ابراهيم الدقاق . كذلك يمكن الرجوع الى مقال عفيف حسن " التصنيع في الضفة الغربية واقعه وامكانية تطويره " الكاتب عدد ٦٩ / ١٩٨٦٠

١٢) "Passive Solar Builders" Israel Energy News No. 6 The Israel Economist July 1986.

١٣) "Pimat . Solar Steam ", Israel Energy News No. 4 The Israel Economist Jan. 1986.

١٤) "Photo Voltaic Cells," April 1986.

١٥) عفيف حسن ."استغلال طاقة الرياح في الضفة الغربية وقطاع غزة" ندوةالطاقة المتجددة جامعة حلب ١٩٨٦٠

١٦) " Reaping The Wind ", Israel Energy News No. 3 - The Israel Economist Oct. 1985.

١٧) هاني نجم ،" امكانية استخدام المضخاتالهوائية للرى في منطقة المواصي جنوب غزة" ، ندوة التعليم الهندسي والتكنولوجيا الملائمةالمنعقدة في الجامعة الاردنية ١٩٨٥٠

١٨) Israel Energy News No. 3 - The Israel Economist Oct. 1985 . P.5

١٩) انظر شكل (٤ ــ ٢) منحنى الحمل اليومي ٠ شومان ٠ م٠س، منحنى الحمل اليومي يمثل معدل الطاقة الكهربائية المستهلكة لكل ساعة من ساعات اليوم ٠

٢٠) انظر محاولة تطبيق ذلك على نظام تزويد الماء في اسرائيل ، في مقال ٠

"The National Water - Supply System and Efficient Electricity Production ", Israel Energy News No. 7. The Israel Economist Oct. 1986.

Digitized by Birzeit University Library

لمحة تاريخية عن حياة المجدل الزراعية

بقلم : محمود محمد صالحة

تمهيد :

من اقدم الاعمال الرئيسية التي عرفتها بلادنا منذ العهد الكنعاني الزراعة،وكان الاهتمام بالزراعةمن اهم الانشطة التي مارسها السكان.

في بادئ الامر كان يتم بذار الحبوب باليد ثم توسعوا في الزراعة اكثر عندما عرفوا المحراث بعد ان ادخل اليهم من جنوب فلسطين عن طريق مصر ـ ولقد وجدت بقايا الادوات الزراعية الكنعانية في فلسطين ما بين عام ١٥٠٠ ـ ١٣٠٠ قبل الميلاد وفي عام الالف قبل الميلاد عرفت البلاد المنجل المصنوع من الحديد ولقداكتشفت آثار طرف محراث حديدى في فلسطين الوسطى وبالتحديد في بلدة جبع ".

والحصاد كان يتم بواسطة المنجل المصنوعه اسنانه من الصوان وقبضته من العظم او الخشب. اما درس الحبوب فكانت تتم بواسطة لوح خشبي مصنوع من شجر الجميّز الذي يشتهر بضخامة جذعه وخفّة وزنه بعد جفافه، وكان يوضع في اسفله حجارة صغيرة ، وعرفتالمذراه المصنوعة من الخشب.لها عصا طويلة وفي آخرها خمسة اصابع يتم بواسطتها فصل الحبوب عن القش بعد درسه ، وكان الفلاح يقوم بذلك مع طلوع الفجر عندما يهب ريح "الصبا" واثناء عمله كان يردّد المثل الشعبي القائل ثلاثة لا يعوّضون،ابن الضّأن،ومال الضّبا.بكسر الضّاد وريح الضَّبا بفتح الضاد. ولهذا يدعو الى الزواج المبكر لانه ادرك ان الزراعة عمل شاق ويحتاج الى عمل جماعي ولا يستطيع بمفرده ان يقوم بهذا ومن أقرب الناس اليه ؟ لا شك بأنهم اولاده .

Digitized by Birzeit University Library

لذلك كان يتزوج وهو دون العشرين من عمره وان جمع المال في الصّبا ينفعه في السيخوخة اما ربح الصّبا فلا يعوّض الا اذا نهض مبكرا قبل شروق الشمس ويكون الجو معتدلا. ثم يستطرد القول منشدا اثناء تذريته للحبوب متمنّيا عليها ان تزيد على الفيّ اردب "فيقول

ألفين اردبّ بهذا الحَبّ

ان خس الكيل إوفى يـا رب.

و الاردب هو مكيال مصري يساوي ٢٤ صاع فلسطيني والصاع يساوي ستّة ارطال والرطل يساوى ٢٫٨٨٠ كم والمكاييل التي كان يستعملها الفلاح الى جانب الصّاع " المكسحة وتساوي خمسة ارطال "التصّية" وتساوي رطلين ونصف .

ولقد فطن الفلاح الى اعوام الجفاف لذلك عمل على تكييف الزراعة بمقتضى عدم كفاية الامطار الى اساليب الزراعة الجافة ، وهو التناوب السنوى الى زرع الارض عاما بعد عام والارض التي كان يزرعها يسمّيها " الشلف اما التي يتركها يحرثها ولا يزرعها الا مزروعات صيفية ويطلق عليها اسم "كراب".

اما المحاصيل النموذجية التي كان يزرعها الفلاح القمح. الشعير. الذرة. الفاصوليا . الجلسانة ،الكرسنة ، التوت، شجرة الزيتون.وتعتبر شجرة الزيتون من اقدم العصور من الاشجار المثمرة التي تزرع على نطاق واسع لانها تستطيع مقاومة الجفاف وهي لا تحتاج الا للقليل من العناية وتعطي الشيء الكثير وثمرها احد المصادر الرئيسية لغذاء الطبقات الفقيرة الى جانب ذلك يستعمل زيتها للانارة قبل اكتشاف البترول ولصنع الروائح الزكية و لاغراض الطبية، اما فضلات عصير الزيتون كانت تستعل وقودا يسمى " الجفت".

وعرفوا ايضا تربية الحيوان قبل الابقار، الجمال، الخيول، الحمير ،الاغنام يطلق عليها اسم " الحلال"، لانهاتشاركه العمل ومصدرا لغذائه .

وعرفت البلاد الطواحين المصنوعة من الصخر الصلب وهي على شكل دائرة من حجرين منقوشين من الداخل، قطر كل منهما خمسون سنتمترا و سمك كل حجر خمسة سنتمترات تقريبا.ويوجد في الوسط فتحة صغيرة لادخال الحبوب وعلى الطرف يوجد اصبع من الخشب تدار به الطاحونة ولا يزال بعضها موجودا حتى الان .

وعرفوا الخبز ،وكان يخبز في افران مصنوعةمن الطين وهي ايضا موجودة حتى الان.

الزراعـــة فـــي المجـــدل

==========

لا بد من القاء نظرة سريعة على العلاقات الاقتصاديةفي فلسطين منذ اواخر الاحتلال العثماني قبل ان نكتب عن العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في المجدل .

كانت العلاقات الاقتصادية السائدة لتلك المرحلة هي سيادة اصحاب الاراضي الكبار من فلسطين المرتبطين مصلحيا وطبقيا بالحكم العثماني ،وكان اسياد الاراضي الكبار هؤلاء يسيطرون على اهم وسائل الانتاج وهي الارض.

وفي ظل هذا النمط من العلاقات الانتاجية ،كانت غالبيّة الشعب ،يخضع طبقيا لحكم المالكين الكبار لظلم الحكم العثماني والى اقتصاد متخلف يعتمد سكانه على الزراعة .

Digitized by Birzeit University Library

وتعتبر ملكية الارض المفتاح الرئيسي في تحديد الموقع الطبقي والعلاقات الاجتماعية

اذ كان نظام الملكية السائد حتى اواسط القرن التاسع عشريقوم على اساس تأجير اراضي الدولة وتسمى " الارض الميرية" للفلاحين وكان تأجير الاراضي مصدر دخل هام للدولة ، اذ كانت تتقاضى ضريبة " "العشر" وكان الفلاحون يستأجرون الاراضي " الميرية" وبهذا كان يضمن لهم الحق في زراعة هذه الاراضي المستأجرة والمحدّدة، وكان هذا الحق يتوارثه الابناء عن الاباء .

ولم تكن الدولة العثمانية او كبار الملاك من مؤ جري الاراضي اية مصلحة طبقية في اعاقة استئجار الفلاح للارض ،لان هَمّ الدولة وملاك الاراضي هو جباية الضرائب وريع الارض .

وبهذا تكون الاراضي ورقة سياسية رابحة في ايدى الحكم العثماني والمرتبطين معه من كبار الملاك المحليين، حتى يضمنوا الاستقرار لهم للضغط على الفلاحين وزيادة استغلالهم

الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المجدل

المجدل ،كان وضعها يختلف الى حد ما عن باقي المدن والقرى الفلسطينية لانها لم تكن بلدا اقطاعيا ،فلم يوجد فيها طبقة من الاقطاعيين لان مجموع ما تملكه من الاراضي لا يتجاوز ٤٣ الف دونم تقريبا ، وكان اصغر اقطاعي في فلسطين يملك هذا الرقم الى جانب ذلك كانت تعتمد في حياتها الاقتصادية على صناعة النسيج .

فهي بهذا التكوين تعتبر بلدا شبه صناعي، شبه زراعي ،وكثيرا ما كنت تجد في البيت الواحد من يعمل في صناعة النسيج وآخر يعمل في الزراعة .

وصناعة النسيج بمفهومها الحديث لم تنشأ بعد، والمنشآت التي نمت كانت صناعات بدائية بوسائلها البسيطة ، ولكن هي التي حددت ملامح المجتمع المجدلي ، ورسمت خريطته الاجتماعية، وحسمت مجريات تطوره .

لان الطبقة العاملة في نفس الحقبة الزمنية لم تكن قوية او ناضجة فكريا بحيث تؤثر في تطور المجتمع بشكل واضح .

الى ان قامت الحرب العالمية الثانية، على اثرها ازدهرت صناعة النسيج وزاد عدد العمال الى حد كبير، حيث اسسوا لهم جمعيات عمالية تدافع عن حقوقهم، وكانت من انشط الجمعيات في فلسطين، وكان لها دور بارز في الاحداث السياسية في ذلك الوقت .

ونمت التجارة ، وبدأت تظهر فئات برجوازية صغيرة ومتوسطة، وعلى ضوء هذا، نؤكد التعريف العلمي الماركسي ، والاصح العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في المجدل على انها شبه زراعية، شبه صناعية، وان هذا الوضع يعكس سلوكيات البرجوازية الصغيرة في تطلعاتها .

النشـــاط الزراعـــي

كان المزارع المجدلي من انشط المزارعين وكأنه خليّة نحل ، يعمل ليل نهار .لا يعرف الملل على مدار العام . يخرج الى عمله قبل طلوع الفجر ولايعود الا بعد غروب الشمس لبعد ارضه عن بيتـــه .

اما أيام الحصاد فكانت عندهم أشبه

Digitized by Birzeit University Library

بالاعراس يغنون ويرقصون وهم ذاهبون الى محاصدهم .

واراضي المجدل تقع على الساحل الجنوبي من فلسطين وهي سهلية تشتهر بخصوبة تربتها . وكانت تعتمد في زراعتها على مياه الامطار ،الى جانب مياه الابار الارتوازية المتوفـــــرة.

الاراضي الغربية من البلدة ،كانت تزرع بالفواكه والاشجار،وهي اشبه ماتكون بالغابات الكثيفة من اشجار البرتقال وكروم العنب ، التين ، الرمّان ، التوت ، المشمش، البرقوق الى جانب ذلك اشجار الزيتون المزروعة معظمهامنذ العهد الروماني ، ويطلق عليها اسم الزيتون " الرومي" وهو من اجود انواع الزيتون في العالم ويسمّى "السّرى" وهذا النوع يوجد فيه اعلى نسبة من الزيت ونسبته من ١ — ٣ وكانت الشجرة الواحدة تثمر اكثر من ٣٠٠ كغم في اعوام الخصب،ولقدمها كان جذعها اجوفا لدرجة ان الانسان كان يتمنى في داخله اذا فاجأته الامطار .

وكان يوجد في المجدل خمسة عشر"بئرا" لعصر الزيتون مما يدل على غزارة الانتاج والبدّ مصنوع من الصخر الصلب ارتفاعه حوالي ١٢٠ سم وسمكه ٦٠ سم تقريبا على شكل

مدحلة الزلط يدار بواسطة الجمل او البغل او الحمار وكانت تغطى عيونها خوفا من الدوخة لانه يدور في حلقة ضيقة " .

ولكن الدولة العثمانية اقتلعت من اشجار الزيتون اثناء الحرب العالمية الاولى ما يزيد على ٦٠٪ لاستعماله وقودا في تسيير القطارات عوضا عن الفحم ، الى جانب ذلك كانت تقوم بزراعة جميع انواع الخضروات وتصديرها الى البلدان الاخرى .

وهذه الاراضي كانت تدعى اراضي البلد المشجرة وهي مسجلة على اصحابها في "الطابو" لدى الدولة العثمانية .

اما الاراضي البعيدة عن البلدة كانت في الاساس ملكا للدولة وتسمّى اراضي البور" "الميرّية" .

ولكن الدولة العثمانية اصدرت قانوناً بالاصلاح الزراعي سنة ١٨٥٢ — ١٨٥٦ م حددّت الى جانبه نظام التزام الضرائب. وكان مضمون هذا الاصلاح وقوانينه ،إرساء القواعد القانونيّة لملكية الارض،كملكية خاصة بشكل كامل وقابلة للتصرف .

وكان الهدف من اتباع هذا الاصلاح هو احكام السيطرة على الاقاليم ، واستغلال القوانين الجديدة كوسيلة ناجعة لزيادة درجة الاستغلال للفلاحين ، وجباية الضرائب لسد نفقات خزانة السلطنة .

ومن اهم هذه القوانين التي استعطها الاصلاح تسجيل الاراضي باسم الافراد والجماعات في الطابو .

ولقد قامت الدولة العثمانية بتقسيم هذه الاراضي الميرّية على أهل البلد ستة ارباع وجعلتها مشاعا فيما بينهم ، وكان المالك لا يعرف حصّته في الربع ، واذا اراد البيع او الشراء يبيع ويشتري ارضاً مشاع ،والقصد من ذلك هو سيطرة الدولة على الارض .

والارباع ثلاثة منها شماليّة ،وسميّت باسم اكبر العائلات في الربع ،وهي ربع زقوت ، شقورة ، المدهون ، والربع يساوي ١٢ سكة

والسكة تساوى ٢٤ قيراط والقيراط ٢٠ دونما .

ويوجد فيها الخِرَب الآتية ،بشّة ، برّة، خسّة الحلقة ، قعّوس .

Digitized by Birzeit University Library

اما الارباع الجنوبيّة فهي ربع ابو شرخ، ابو مرسه، الطلسة، ويوجد فيها الخرب الاتية : قتوّن، قماس، عجس، وهذه الخرب تشمل مجموعة "موارس" هي: الوربة، القصاب، الجبل، العريض، وادي ابو عمر، الغرش، حميد السحّار، السلاّك، عبدس، الجرن، الموارس الشرقية، العجاير، الخطابيّة وجزل اخرى.

اما الموارس فمساحته على طول ارض الربع والغرض من ذلك ان تشمل ارضه السهول، الهضاب، المنخفضات، الوديان المنحدرات.

اما الجزل فهي ارض مستوية تقسم على ملاك الربع وكان كل عامين يحصل تبادل في الموارس والجزل بين اصحاب الربع حتى لا يحصل مشاكل على نوعيّة الارض.

وهذا يتم بعد جني المحصول الشتوى والصيفي.

اما الارباع ما هي الا خرب كانت في السابق مدنا او قرى كنعانية، دُمّرت وبقي فيها آثار من الحجارة الصغيرة والصهاريج وبرك ما عهدته وبقايا شقف الفخار واعمدة رخامية وقبور مدهونة جدرانها، وبقايا معصرة زيت واساسات من الدبش.

وبقي هذا الوضع الى ان قام الاستعمار البريطاني في فلسطين باعادة مسح الاراضي والمشاع من جديد وتحديد اراضي المجدل مع القرى المجاورة ووضع حدود رسمية بين كل ربع من الارباع الشمالية والجنوبية ليعرف كل ربع حدوده والغرض من ذلك هو فرز الاراضي من مُلاك الربع، حتى يسهل عليهم معرفة حصصهم، بعد ان يتم التبادل في الحصص بالاتفاق فيما بينهم ولهذا يعرف كل مالك حدود ارضه بدلا من ان تكون مشاعا.

وبعد هذه الخطوات سُجّلت الاراضي على اصحابها في الطابو وبدأت هذه العملية من سنة ١٩٣٢م وانتهت في اواخر سنة ١٩٣٩م، ولم يقصد الاستعمار البريطاني من هذه الخطوات خدمة الاهالي كما هو ظاهر ولكن الهدف الحقيقي هو تسهيل بيع الاراضي لليهود. وضمان عدم قيام الاهالي باستغلال الاراضي الاميريـة.

دور المـرأة المجدليـة فـي الزراعـة

==========

الاعمال الزراعية كان يقوم بها الرجل تشاركه المرأة المجدلية جنبا الى جنب، ولقد أثبتت قدرتها العظيمة على مواجهة الظروف القاسية والمشكلات المتزايدة وتميّزت بالوعي والشجاعة والاصرار، وأكدّت استعدادها لتحمل المسؤوليةمن جميع الجوانب كربّة بيت والعمل في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

كانت تقوم مع زوجها بعزق الارض وحرثها وزرعها وحصادها، وجمعه ودرسه وجمع الاعشاب من الحقول لاطعامها للدواب والبقول من بعض الاعشاب لطبخها وجمع ثمار الفواكه والخضروات وتسويقها في الاسواق، تحملها في السلال التى صنعتها من عيدان الحلفة الصلبة او " البوص" الذي يزرع على ضفاف الانهار او الوديان واحضار الماء من الابار فى الجرار المصنوعة من الفخار قبل وجود شبكات المياه في البيت وجمع الحطب من اجل استعماله وقودا.

وكانت تقوم بطحن الحبوب قبل وجود المطاحن بعد ان تغربلها بالغربال المصنوع من جلد الابقار، وتنقيتها من الشوائب مثل الشعير والذرة، الفول، العدس، القمح الذى

Digitized by Birzeit University Library

كانت تصنع منه البرغل الشعرية ، الكشك بعد ان تعجنه بالحليب ثم تجففه، المفتول "الكسكون" وجميع هذه الموادالتموينية تخزن لطحنها عند خلو البيت من الخضروات

وكانت لا تجد الوقت الكافي في النهار لطحن الحبوب الا في الليل وتطحن يوميا ما يكفي اهل البيت .

وبعد ذلك صار في البلدة اربعة مطاحن مما يدل على خصوبة الارض وغزارة الانتاج.

صناعة الفرن

كانت المرأة تعجن الطحين ثم تخبزه في الفرن ، وهي التي كانت تقوم بصنع الفرن من طين " السمكة" المتواجدة في الوديان او من اراض معروفة بسماكة تربتها ،ثم تعجنها بالتبن المأخوذ من سنابل القمح او الشعير بعد درسه

وكان يصنع الفرن على مراحل ، المرحلة الاولى القاعدة، وقطرها ٧٠ سم وارتفاعها ٣٠سم لها فتحة من الجنب لوضع الوقود فيها،المكون من القش او عيدان الاشجاراو " الجفت" المأخوذ من عصير الزيت .

وبعد ان تجف القاعدة يصنع الجزء العلوي وهو نفس الحجم له ارضية يوضع عليها العجين تتسع لاربعة ارغفة ، ومقطّعة على شكل نصف دائري وله باب من الامام لوضع العجين وبعد ان يجفيلصق بالقاعدة بواسطة الطين ايضا ، وتكوّن مع ما خبز قضيبا من الحديد طوله ٧٠ سم تقريبا مسطحًا من الامام على شكل مربع تُخرج به الخبز من الفرن ولتحريك النار كلما خف لهيبها ويسمى " المصناع" والفرن كان اكثر شيوعا من الطابون لانه اسرع في الخبز وخصوصا للعائلات كثيرة العدد .

صناعة الطابون

الطابون يختلف عن الفرن من حيث الشكل ولكنه يصنع بنفس المواد والطريقة التي يصنع بها الفرن ،قاعدته دائريّة قطرها ٧٠سم وارتفاعها ٣٠ سم اما الجزء العلوي فنفس حجم القاعدة ولكن على شكل " قبّة" له فوهة يوضع من خلالها العجين والفوّهة لها غطاء مصنوع من الصاج وله مقبض من الخشب ، ويوضع في قاع الطابون ،الحصى الكبيرة من الزلط او من بقايا الفخّار " الشقف" ويسمى " الردف" يوضع عليه العجين . وبعد ذلك يوضع عليه"الوقود"المكوّن من " الزبل" ثم يُشعل ليعطي الحرارة المطلوبةولا يُخبز فيه الا بعد ان تخف حرارته ويتسع لخمسة ارغفة او ستة ، وكلما نضج العجين يُزال الزبل الساخن عن فوهته ثم يُخرج الخبز بواسطة لوح خشبي طوله ٦٠ سم تقريبا يُسمّى " المقحار" ويستعمل ايضا لاعادة الحصى العالقة بالخبز محله .

والخبز في الطابون عمليّة شاقة ومرهقة للمرأة ولكن الخبز فيه او الطبخ يعتبر من اشهى المأكولات لانه يتم على نار هادئة حيث يكون الخبز محمّرا والطبيخ يحتفظ بمواده الغذائية .

ولكن ،اخيرا انتشرتالافران الكبيرة مما ادى الى تقلص عدد الافران والطوابين .

والى جانب ذلك ،كانت تقوم بحلب الابقار والاغنام وتصنع من حليبها الزبد ، الجبن ، اللبن ، بعد خضّه في " القربة " المصنوعة من جلد الابقار او الماعز .

Digitized by Birzeit University Library

على هذا الاساس كانت المرأة المجدلية عنصرا اساسيا في صنع الحياةمن حيث التقاليد والعادات والرأي في مجرى الامور .

ولهذا كانت الحياة الزوجية متجانسة ونادرا ما كان يحدث تناقضا في الرأي ، لان كلاً منهما يشعر ان له دور بارز في صنع الحياة الزوجية .

حيـــاة الفـــلاح

==========

حياة الفلاح في بلادنا لم تكن سهلة بل كانت عملا شاقا ومرهقا لانه كان يعمل ليل نهار بوسائل بدائية علاوة على مواجهة اعوام الجفاف وكثيرا ما كان يخسر البـذور التـي يذرها في الارض ومن جراء ذلك كان لا يجد القوت له ولدوابه آخر العام . بالاضافة الى استبداد الدولة العثمانية فيتجريده من محصولهالسنوى ،علاوة على ذلك ،الضرائب الباهظة التي كانت تفرضها عليه مما ساعد على تقوية نفوذ الاقطاع في البلاد واجبار الفلاح على بيع ارضه او التخلص منها لانه اصبح غير قادر على تسديد التزاماته اتجاه الدولة .

وبعد ذلك جاء دور الاستعمار البريطاني الذى كان ايضا يفرض الضرائب الباهظة وزيادة في التآمر على الفلاح كان في اعوام الخصب يستورد الحبوب من الخارج ويبيعهافي الاسواق باقل من الاسعار المحليةحتى يبقى الفلاح في وضع اقتصادى سيء حتى يضطر الى بيع ارضه لليهود .

ورغم كل هذه الظروف الصعبة التي عاشها الفلاحالا انه لم يفرّط في شبر واحد من ارضه .

واهل المجدل كانوا يفاخرون بذلك . بل كانوا يشترون الاراضي المهدّدة بالضياع الى الحركة الصهيونية من الاقطاعيين .

وفي عام ١٩٤٧ أقام صندوق الامة الذي انشأته الهيئة العربية العليا .والذى كان يرأسه أحمد حلمي باشا مهرجانا شعبيا لجمع التبرعات في مدينة المجدل .ووقف فيه خطيبا الاستاذ نمر المصرى وهو من القوميين العرب البارزين في ذلك الوقت ، وكان يملك ناصية الخطابة وهو من اشهر الخطباء في فلسطين حتى ان الملك فيصل الاول ملك العراق اطلق عليه لقب خطيب الشباب ،

وبعد ذلك اخذ الشاعر الشعبي الشيخ محمود زقوت المجدلي كمنجته يعزف عليها مرددا الاغنية الشعبية القائلة انه يجب على الانسان ان يبيع الذهب ويشترى الارض لان من لا يملك الارض لا يملك الوطن فقال :

بيع الذهب و شتـرى العتـب
اصل العتب على اللـي مالو غتـب

وردد هذه الاغنية اكثر من مرة .وكل مرة كان يزداد حماس الجماهير الى ان قال مفاخرا بأهل بلـده .

أهل المجدل الله يحيّيهـم
ما فرّطوا فـي شبر من اراضيهـم
لو الاقطاعيين احتـذوا بيهـم
ما كان للعدو موطئ قـدم بيهـم

وحياة الفلاح رغم ذلك كانت لا تخلو من السعادة لانها مستقرّة، ولانه كان يعيش على ارض ثابتة هي ارضه ، التيهي بمثابة الجذور العميقة لهعمق الارض .

Digitized by Birzeit University Library

المراجـــــــع :

١) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين،الدكتور فيليب حتى ، الجزء الاول .
٢) فلسطين في العهد العثماني الدكتور اميل توما .
٣) التطور الاقتصادى في فلسطين احمد سعد .
٤) بلادنا فلسطين الجزء الاول ـ القسم الثاني ـ مصطفى مراد الدباغ .
٥) مختصر جغرافية فلسطين حسين روحي .
٦) فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى ومابعدها ،دكتور بهجت صبري .

Digitized by Birzeit University Library

بعض مزاعم ووقائع كثيرة عن الاشتراكية

نشرت صحيفة المجلة " الصادرة عن عصبة صداقة الشعوب في جمهورية المانيا الديموقراطية ، ردا على سؤال لاحد قرائها من جمهورية مصر العربية، حول " جدار برلين" ، والذى يشكل احد مواد الدعاية الاعلامية الامبريالية ،، المكثفة ، ضد جمهورية المانيا الديموقراطية .

والكاتب اذ تعيد نشر هذا الرد ، فانما تأمل اطلاع قرائها على الوجه الاخر ، والذى يسعى الاعلام الرجعي المسيطر في بلادنا لطمسه، حول حقيقة الظروف التي ادت الى بناء هذا " الجدار" والمرتبطة بشكل دقيق بالتخريب والتجسس والارهاب ، الذى اعتمدته الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها ضد جمهورية المانيا الديموقراطية والذى لا تزال الشواهد عليه حتى الان ، متمثله باسطع صورها في نيكاراغوا وافغانستان .

وقائع حول الوضع المحلي والدستورى :

من يقول " حائط " ، يعني الحدود بين جمهوريتنا وبرلين الغربية . وهذه منطقة في وسط المانيا الديمقراطية مساحتها ٤٨١ كيلومتر مربع ، لها حدود مشتركة مع دولتنا طولها ١٥٤ كيلومترا . بعض المقاطع الحدودية ، ذات الطول الاجمالي ٥ر١٠ كم ، مؤمنة بموانع حائطية . وعليه فلا بد لمن يود الوصول الى برلين الغربية من المانيا الغربية الاتحادية، ان يسافر ٢٠٠ كم على الاقل عبر اراضي المانيا الديموقراطية .

دستوريا لا تتبع برلين الغربية لاى من الدولتين الالمانيتين . اذ لها ادارة خاصة ومقر قيادة قوات ثلاث دول (الولايات المتحدة . بريطانيا ، فرنسا) .

وقائع حول المقدمات :

في مايو (ايار) ١٩٤٥ خسرت الامبريالية

Digitized by Birzeit University Library

الالمانية الفاشية آخر معركة في الحرب العالمية الثانية التي اشعلتها . وحرر الجيش السوفييتي برلين ايضا من قوى الظلم ، المسؤولة عن سفك الدماء واحلال البؤس . وبناءا على اتفاقيات الائتلاف المعادى لهتلر اريد ان تكون برلين مركزا لجهود منسقة من اجل المانيا ديموقراطية لا تهدد السلام بعد ذلك ابدا . وفي سبيل ذلك كون الاتحاد السوفييتي ، الولايات المتحدة ، بريطانيا ، وفرنسا مجلس الرقابة الائتلافي . ووصلت في هذا السياق فرق عسكرية غربية الى برلين . كما اضطلعت كل واحدة من الدول الاربع بالمسؤولية عن قطاع من المدينة ، التي كان ينبغي ان تظل تشكل وحدة ، شأنها شأن المانيا المقسمة الى قطاعات احتلال اربعة . وكانت الدول الاربع قد اتفقت بعد فترة وجيزة من الحرب في معاهدة بوتسدام على وجهة تصرفها ، التي لحظت ، قبل كل شيء ، القضاء النهائي على الفاشية والنزعة العسكرية وسلطة الاحتكار .

ولكننا عايشنا في ما بعد اخلالا امبرياليا للوعد تلو الاخر . السبب : اعراض الامبريالية عن تعاون بناء مع الاتحاد السوفييتي ، وانتقالها الى سياسة المجابهة (معروفة بـ " الحرب الباردة ") و " دحر الاشتراكية . وكانت مبادئ بوتسدام تقف عائقا لها . فاعطت الدول الغربية اولوية لانقاذ الامبريالية الالمانية ـ بقدر ما امكن ذلك ـ وضمها الى جبهة " الحرب الباردة " ضد الاشتراكية . وقد ادى ذلك الى انقسام المانيا وانقسام برلين . وبعد خطوات تمهيدية عديدة بوشر في العام ١٩٤٨ باصلاح نقدى انفصالي في مناطق الاحتلال الغربية الثلاث . كما اعلنت الاوراق المالية المطبوعة لذلك في الولايات المتحدة بمثابة عملة جديدة ايضا في قطاعات برلين الثلاثة . وتبع ذلك في سبتمبر ١٩٤٩ تأسيس جمهورية المانيا الغربية الاتحادية في مناطق الاحتلال الغربية الثلاث . وبعد ذلك مباشرة مزقت الدول الغربية ايضا برلين : اعلنت بالنسبة للقطاعات الغربية الثلاثة للمدينة نظاما داخليا ثلاثيا منفصلا .

فكان الاستنتاج الممكن الوحيد لحماية التحول المناهض للفاشية ـ الديموقراطي في جزئنا من المانيا تأسيس جمهورية المانيا الديموقراطية في ٧ اكتوبر " تشرين الاول) ١٩٤٩ .

وقائع حول الوضع قبل ١٣ اغسطس (آب) ١٩٦١ ، يوم تأمين الحدود مع برلين الغربية :

في " الحرب الباردة " ضد الاشتراكية حولت الامبريالية برلين الغربية الى اهم رأس جسر لها في اوروبا . وبدا وضعان ملائمان لذلك بشكل خاص : اولا ، صارت برلين الغربية بمثابة جزيرة في وسط بلدنا مسيطر عليها امبرياليا . ثانيا ، كانت الحدود بين برلين الغربية وعاصمتنا برلين مفتوحة تماما ، لمرور اى شخص دون عائق وبلا رقابة .

كان الهدف :

زعزعة السلطة الشعبية في بلدنا . وقد وصفت وسائل اعلام امبريالية برلين الغربية

Digitized by Birzeit University Library

صراحة بانها " مدينة مواجهة "، وانها "شوكة في جسد " بلدنا، او بانها ايضا " ارخص قنبلة ذرية " . تأسست هناك وزودت بقائض من الاعتمادات المالية اكثر من خمسين منظمة تجسسية وارهابية وسرية . وقد الحقت اعمال التخريب واثارة القلاقل ، والاغراء الهادف لجذب الاخصائيين، والتهريب المنظم، والتلاعب بالنقد وغير ذلك من الحيل، في السنوات الاثنتي عشرة للحدود المفتوحة، بجمهوريتنا اضرارا تقدر بـ ٨٥ مليار مارك على الاقل . هذا المبلغ ، الذى قدره العالم الالماني الغربي بروفيسور شادة اقل مما كان عليه، يكفي مثلا لتمويل ٣٥ مجمع طاقة مائية في مستوى السد العالي في اسوان .

مع كل ذلك اخلصت جمهوريتنا للهدف الذى اعلنته عند تأسيسها، مبدأ لسياستها الخارجية : لا يجوز ابدا انطلاق حرب اخرى من ارض المانية . فبادرت في اكثر من ١٠٠ مرة باقتراحات بناءة لازالة مجابهات ناشئة وتسويتها سلميا . وحتى في يوليو (تموز) ١٩٦١ اقترحنا على المانيا الغربية الاتحادية اتفاقية لحسن النية .

لكن الدولة الالمانية الامبريالية ،التي انضمت في اثناء ذلك لحلف الاطلسي، اثبتت انها داعية شديدة لسياسة " الدحر ". كما لا تخفي منذ وقت طويل مطلبها بضم جمهوريتنا عنوة الى منطقة نفوذها . ورفعت مطالب اقليمية ايضا تجاه بولندا والاتحاد السوفييتي . فازداد خطر الحرب، حرب عالمية ثالثة ! وقد ابلغ ضباط كثيرون ذوو رتب عالية من الجيش الاتحادى الالماني الغربي، لجأوا الى المانيا الديموقراطية، بتفاصيل في منتصف الستينات عن خطط عدوانية المانية غربية . وفي منتصف العام ١٩٦١ تنبأ المستشار الالماني الغربي بان الحرب العالمية الثانية " لم تنته". وجرى فجأة تعزيز القوات الامريكية والالمانية الغربية ووضعت القوات الامريكية في اوروبا ابتداءا من اول اغسطس (آب) ١٩٦١ في حالة تأهب . وتمرن في برلين الغربية ١٠٥٠٠ جندى امريكي وبريطاني وفرنسي سوية مع ١٣٠٠٠ من شرطة برلين الغربية على الانذار . وتحمست صحف المانية غربية لدخول الجيش الاتحادى المرتقب العاصمة الالمانية الديموقراطية . ونشر برنامج من ٣٠٠ صفحة للانقلاب المضاد للثورة في جمهوريتنا ، اعد باشراف وزير الماني غربي . واعلن ١٤ اغسطس (آب) ١٩٦١ يوما لبداية "مناورة مشتركة كبرى" لقوات امريكية والجيش الاتحادى على حدودنا البحرية في الشمال . ودخل في الحسبان ان الامبريالية الالمانية كانت في مبالغتها في الاعتداد بنفسها قد اطلقت مرتين حربا عالمية من عقالها !.

فلزم عمل ،مثل بناء " الحائط " ، لتوضيح اين تنتهي السلطة الامبريالية . اتجه عمال مسلحون من المؤسسات العامة ـ فصائل قتالية ـ كأول حراس للسلام على تلك الحدود . وكانوا يعلمون ان سندهم الارادة الموحدة ومقدرة دول معاهدة وارسو .

وقائع حول الوضع المتغير بعد ١٣ اغسطس (آب) ١٩٦١ :

صحيح ان حدود دولة المانيا الديموقراطية المؤمنة تجاه برلين الغربية

Digitized by Birzeit University Library

كانت ولا تزال موضع استفزازات عديدة ـ من رمي الحجارة والزجاجات المشتعلة الى اغتيال جنود الحدود الالمان الديموقراطيين غدرا . بيد انه امكن في عام ١٩٧١ ،بعد مفاوضات سنين ، توقيع الاتفاقية الرباعية بشأن برلين الغربية . بذلك خلق الموقعون على الاتفاقية : الاتحاد السوفييتي ، الولايات المتحدة ، بريطانيا ، وفرنسا ، شروطا قانونية دولية لتطبيع محدد للعلاقات حول قطاع برلين الغربية . تلك الاتفاقية لعبت دورا رئيسيا في الانتقال الى فترة للانفراج بين الشرق والغرب ، توسم بمعاهدة هلسنكي .

اشترطت سيرورة الانفراج مشاركة كلتا الدولتين الالمانيتين ، وبالتالي تطبيعا محددا لعلاقاتهما . لم يكن ممكنا التمسك اطول بمطلب جمهورية المانيا الغربية الاتحادية المدعوم من حلف الاطلسي بان تكون الدولة الالمانية الشرعية الوحيدة . وحدت اعتراف عالمي بالمانيا الديموقراطية . فساومت الدولتان الالمانيتان على اتفاقيات مهمة ـ في البداية بشأن سبل المواصلات من والى برلين الغربية ، التي تمر في كل حال عبر اراضي المانيا الديموقراطية ، وكذلك بشأن مسائل اخرى بما فيها علاقات دبلوماسية .

ولكن كل ذلك يظل متخلفا عما يعتبر عموما بانه طبيعي . فالتمثيل الدبلوماسي المتبادل قائم على ادنى رتبة يمكن تصورها . كما لا تزال حكومة المانيا الغربية ترفض الاعتراف بالجنسية الالمانية الديموقراطية وبسبب الاعتراضات الالمانية الغربية المتجددة باستمرار لا توجد اتفاقية حتى الان بشأن المسار الدقيق للحدود المشتركة . وستتثبت بالتأكيد ايضا هذه وبقايا اخرى من تطاول التمثيل الاوحد القديم ، بفعل الفترة الجديدة لسياسة المجابهة الامبريالية المستمرة منذ سنوات .

وقائع حول المرور عبر الحدود :

لم تكن الحدود ابدا هي التي تشجع او تعرقل التبادل بين الدول . انما هي السياسة التي طابعها حسن جوار او ادنى منه . وعليه فقد كانت سياسة المانيا الديموقراطية ، سياسة العقل والنية الحسنة ، والحوار بين الدول ذات الانظمة المختلفة ، التي تسعى الى افضل تشكيل لعلاقات دولية ، مشجعة باستمرار لعلاقات انسانية متجاوزة الحدود .

هكذا اقترحنا بعد فترة قصيرة من ١٣ اغسطس (آب) ١٩٦١ تسوية تعاقدية لمرور الزوار المتبادل . واليوم يسافر سنويا مئات الالوف من مواطني المانيا الديموقراطية ، من كل الاعمار ، الى اقارب واصدقاء ومعارف في برلين الغربية ، في المانيا الغربية وفي بلدان غربية اخرى . في عام ١٩٨٦ كانوا ٥٧٣ الفا .

ولا يحول " الحائط " دون انتقال اشخاص واسر من المانيا الديموقراطية الى بلدان اخرى ، وما يترتب على ذلك من حصولهم على جنسية اخرى . فكما في كل بلد في العالم توجد ايضا في بلدان امثال تلك الرغبات . تجاب الطلبات المقدمة في هذا الشأن بموافقة رسمية .

وهذه العملية في الاساس ليست معقدة اكثر مما هي عليه في بلدان اخرى ، يحصل مواطنوها على موطن جديد في المانيا

Digitized by Birzeit University Library

الديموقراطية . يراعي بلدنا في ذلك ، ان ثمة اسبابا خاصة لاغلبية مثل تلك التغييرات . واذا لم يتقدم الشخص المعني – ربما لان الامر يتعلق بشخصية معروفة او ملتزمة سياسيا – علانية فلا داع للعلنيـة.

أما بالنسبة للسياحة مع البلدان الصديقة فكانت هناك مشكلة واحدة على الاكثر – في كيفية توسيع ما لدينا من طاقات . فالسفريات الخارجية التي وفرها مكتب السياحة الالماني الديموقراطي وحده لمواطنين المان ديموقراطيين ارتفعت من ١١٢ ٣٩٧ في عام ١٩٧٠ الى ١٠٢٨,١٩٩ في عام ١٩٨٥ .

وثمة عددان آخران يعكسان انفتاح بلدنا على العالم : في عام ١٩٧٠ زار المانيا الديموقراطية ٩٥٧ ٦٣١ ضيفا من كل صوب وحدب – وفي عام ١٩٨٥ كانوا ١٠٦٠٢١٩ .

عن مجلة " المجلة" الالمانية الديموقراطية

Digitized by Birzeit University Library

إنسان العمل في العالم المعاصر

تضطلع الطبقة العاملة بدور كبير في تطور المجتمع المعاصر، وقد طرأت في السنوات الثلاثين ـ الاربعين الاخيرة، العديد من المتغيرات على بنيتها، ونسبتها بين سكان العالم والمناطق والبلدان، وكذلك ترك التقدم العلمي التقني تأثيره الواضح على وضع الشغيلة .

وفي معرض تناول هذه الجوانب من التغيرات واثارها، اعد فريق عمل في لجنة الاعلام العلمي والتوثيق في مجلة قضايا السلم والاشتراكية، مادة احصائية مستقاة اساسا من مجموعة كبيرة من النشرات الدولية والوطنية .

"والكاتب" تقدم هذه المادة لقرائها، وبالاخص لاولئك القادة العاملين في اوساط الطبقة العاملة والمهتمين بقضاياها، بهدف التعرف على جوانب جديدة من قضايا الطبقة العاملة العالمية .

تنمو الموارد البشرية (السكان النشطاء اقتصاديا) في العالم مع ازدياد عدد السكان الاجمالي بوتائر متساوية عموما، لان الاولى تشكل جزءا ثابتا من الثاني (كانت النسبة في اواسط القرن، في كل مكان، باستثناء امريكا اللاتينية، تتراوح بين ٤١ و٤٣ في المئة). وفيما بعد " التحقت" البلدان النامية في آسيا وافريقيا الى امريكا اللاتينية في " الانفجار " الديموغرافي وانخفاض وفيات الاطفال خفضت نسبة السكان النشطاء اقتصاديا بحلول اواسط الثمانينات الى ٣٧ في المئة في " العالم الثالث" عموما، مقابل ٤٤ ـ ٤٥ في المئة في مجموعتي البلدان الاشتراكية والبلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا .

حصلت اكثر التغيرات دينامية في البنية العامة للسكان النشطاء اقتصاديا : ارتفعت نسبة العمال والمستخدمين . واختلفت وتائر هذه العملية بين مختلف فئات البلدان والمناطق (كانت

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (١)

الموارد البشرية في العالم

	مجموع السكان (مليون نسمة)		السكان النشطاء اقتصاديا			
			المجموع (مليون نسمة)		النسبة المئوية لمجموع السكان	
	بداية الخمسينات	اواسط الثمانينات	بداية الخمسينات	اواسط الثمانينات	بداية الخمسينات	اواسط الثمانينات
في العالم كله	٢٥٠١	اكثر من ٥٠٠٠	١٠٦٩	٢٠٢٥	٤٣	٤١
البلدان الاشتراكية	٩٤٣	١٦٢٠	٣٨٩(٢)	٧١٥(٢)	٤١	٤٤
البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا	٥٦٠	٧٨٠	٢٣٦	٣٥٠	٤٢	٤٥
البلدان النامية	١٠٩١	اكثر من ٢٦٠٠	٤٤٥	٩٦٠	٤١	٣٧
بما في ذلك : امريكا اللاتينية	١٦٤	٤٣٠	٥٦	١٤٠	٣٤	٣٤
آسيا	٧٢٠	١٨٠٠	٣٠٦	٦٦٠	٤٢	٣٧
افريقيا (باستثناء جنوب افريقيا)	٢٠٧	٤٧٠	٨٩	١٦٠	٤٣	٣٥

١) ارقام تقديرية . ٢) السكان العاملون . ان فئتي السكان النشطاء اقتصاديا والسكان العاملين ليسا واحدة . ولكنهما مرتبطان ارتباطا وثيقا بالناحية العملية ، ويجوز تجاهل الفرق بينهما في هذا الجدول .

المصادر: احصائيات معهد الحركة العمالية العالمية التابع لاكاديمية العلوم الروسية .

اعلى الوتائر في البلدان الاشتراكية وادناها في البلدان النامية) . ولكنها جرت في كل مكان ، كما يبين الجدول رقم ٢.

وسوف نتناول باسهاب اكبر دينامية نمو الطبقة العاملة وبعض المسائل الاخرى المرتبطة بهذه العملية .

البلـــــدان الاشتراكيـــــة

ان تفوق الدول الاشتراكية المشار اليه اعلاه على مجموعات البلدان الاخرى من حيث وتائر نمو عدد ونسبة العمال والمستخدمين ، يرتبط بالطبع بالتغيرات المناسبة في البنى القطاعية للاقتصاد الوطني . وقد بدت هذه التغيرات على النحو التالي من خلال موشور تشغيل السكان (١) (جدول رقم ٣).

يبين الجدول ان نسبة القطاعات غير الزراعية في التشغيل ، في البلدان ذات مستوى التطور الاقتصادي الرفيع نسبيا في بداية المرحلة (المانيا الديموقراطية، الاتحاد السوفييتي، تشيكوسلوفاكيا) ، ارتفع على نحو ابطأ مما هو عليه في البلدان الاقل تطورا ، وبالعكس . وقد جرى كل النمو في التشغيل ،او كله تقريبا ، في كل البلدان ربما باستثناء الصين ، في قطاعات الاقتصاد العامـــة .

ان التقدم العلمي التقني المتسارع يفترض حدوث تطورات في المواصفات المهنية للطبقة

Digitized by Birzeit University Library

العاملة وفي مواصفات مهارتها . الا انه تجب الاشارة الى عامل واحد هام . فادخال التقنية

جدول رقم (٢)

العمال والمستخدمون حسب مجموعات البلدان

	المجموع (مليون نسمة)		النسبة المئوية للسكان النشطاء اقتصاديا	
	بداية الخمسينات	بداية الثمانينات	بداية الخمسينات	بداية الثمانينات
العالم باسره	٣٦٧	٨٥٨	٣٤	٤٦
البلدان الاشتراكية	٩٦	٢٨٥	٢٥	٤٢
البلدان الراسمالية المتطورة صناعيا	١٦٣	٢٨٣	٦٩	٨٢
البلدان النامية	١٠٨	٢٩٠	٢٤	٣٧
بما فيها: امريكا اللاتينية	٢٩	٧٢	٥٢	٥٥
آسيا	٦٨	١٩٠	٢٢	٣٤
افريقيا (باستثناء جنوب افريقيا)	١١	٢٨	٦	١٩

المصادر: حسابات معهد الحركة العمالية التابع لاكاديمية العلوم الروسية .

والتكنولوجيا الجديدة في البلدان الرأسمالية برتبط، كما سنبين ادناه، بتصفية فرص العمل وازدياد البطالة ، ويجرى اعفاء العاملين نتيجة نمو انتاجية العمل في الاقتصاد الاشتراكي ايضا بيد ان ذلك لا يعرض للخطر التشغيل التام ، الذى لابد فهم بالطبع كتشغيل جميع القادرين على العمل لما فيه خير المجتمع ، بل تأمين حاجة السكان المثلى اجتماعيا واقتصاديا من فرص العمل ان هذا التأمين يفترض، على وجه التحديد ، احداث تقليص كبير، ان لم يكن ازالة ، التشغيل المفرط القائم لبعض فئات السكان ـ الشباب مواصلي الدراسة دون انقطاع عن الانتاج، والنساء في الاسر المتعددة الاطفال ، وقسم من المتقاعدين ـ وذلك بوساطة سياسة التوزيع) .

ان تسيير الاقتصاد على اساس اشتراكي مبرمج يتيح في الوقت المناسب وضع وتطبيق مجموعة من التدابير لحل قضايا التشغيل التي تنشأ بسبب التقدم العلمي التقني بنجاح ، من بين هذه التدابير ـ تأمين اليد العاملة لميدان الخدمات ، حيث سيرتفع عدد العاملين بانتظام ، وتطوير آلية الدولة لاعفاء الموارد البشرية واعادة توزيعها ، وتحسين نظام التوجه المهني واعادة تأهيل الشغيلة ، الخ .

البلدان الرأسمالية الصناعية

يتضمن الجدول رقم ٥ مؤشرات نمو جيش العمل المأجور ونواته الطبقة العاملة في جميع انحاء القسم المتطور صناعيا من العالم غير الاشتراكي (٢٤ بلدا تنتمي الى منظمة التعاون الاقتصادى

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (٣)

توزع السكان العاملين حسب فروع الانتاج المادي
(النسبة المئوية لعدد العاملين في الاقتصاد الوطني المعدا السنوي)

البلد	السنة	الصناعة والبناء	الزراعة والغابات	النقل ، المواصلات ، التجارة
بلغاريا	١٩٥٠	٤ ر١١	٥ ر٧٩	١ ر٤
	١٩٨٥	٦ ر٤٥	١ ر٢١	٢ ر١٥
المجر	١٩٥٠	٣ ر٢٣	٦ ر٥٠ (١)	٧ ر٩
	١٩٨٥	٥ ر٣٨	٧ ر٣٢	٥ ر١٨
فيتنام	١٩٨٥	٩ ر١٢	٩ ر٧٢	٢ ر٦
المانيا الديمقراطية	١٩٥٠	٧ ر٤٣	٣ ر٢٧	٣ ر١٤
	١٩٨٥	٣ ر٥٠	٦ ر١٠	٨ ر١٧
الصين	١٩٨٤	٢ ر١٧	٤ ر٦٨ (٢)	٢ ر٧
كوبا (٣)	١٩٨٥	٣ ر٣٢	٣ ر١٨	٤ ر١٨
منغوليا	١٩٥٠	١ ر٦	١ ر٨٢	٠ ر٤
	١٩٨٥	٧ ر٢٤	٥ ر٣٣	٣ ر١٥
بولندا	١٩٥٠	٢ ر٢٦	٠ ر٥٤	٧ ر٩
	١٩٨٥	٧ ر٣٧	١ ر٢٩	٢ ر١٤
رومانيا (٤)	١٩٥٠	٢ ر١٤	٣ ر٧٤	٩ ر٤
	١٩٨٥	٥ ر٤٤	٩ ر٢٨	٩ ر١٢
الاتحاد السوفيتي	١٩٥٠	٥ ر٢٧	٦ ر٤٧	٣ ر١٠
	١٩٨٥	٣ ر٣٨	٤ ر١٩	٢ ر١٧
تشكوسلوفاكيا	١٩٥٠	٧ ر٣٦	٨ ر٣٨	٥ ر١٣
	١٩٨٥	٠ ر٤٧	٦ ر١٣	٤ ر١٧

١) الزراعة والغابات والثروة المائية .
٢) سهم العاملون في الحرف غير الزراعية في الريف .
٣) عدد العمال والمستخدمين في قطاع الدولة .
٤) في نهاية العام .
المصادر: الثروة الاحصائية السنوية لبلدان مجلس التعاضد الاقتصادي ١٩٨٥ . موسكو ، ١٩٨٥، ص ٢٩٥ – ٢٩٨ ؛ ١٩٨٦ ، ص ٣٦٩ – ٣٧٢ : الثروة الاحصائية السنوية الصينية ، ١٩٨٥ ، ص ٢١٤ .

والتنمية) وفي الدول الرأسمالية الكبرى على حدة خلال العقود الثلاثة الاخيرة .

ازداد عدد العاملين بأجر خلال الفترة المذكورة بنسبة تزيد على ٧٣ في المئة، بحيث اصبحوا يشكلون اكثر من اربعة اخماس السكان النشطاء اقتصاديا مقابل اقل من ٧٠ في المئة في مطلع الخمسينات . وارتفع عدد الطبقة العاملة حوالي ٧٦ في المئة . وقد شكل في بداية الفترة ٥٨ في المئة وفي نهايتها حوالي ٧١ في المئة من السكان النشطاء اقتصاديا، و ٨٤ في المئة و ٨٥ر٢ في المئة تقريبا من العاملين بأجر . وهكذا ظلت نسبة الطبقة العاملة في جيش العمل المأجور على حالها تقريبا، بينما ارتفعت بنسبة كبيرة بين السكان النشطاء اقتصاديا . وقد تغير بصورة جوهرية التناسب بين فصائلها الاساسية كما يبين الجدول رقم ٦ . فالبروليتاريا الصناعية التي كانت في الماضي تشكل في كل مكان عمليا القسم الاكبر من الطبقة العاملة، تتراجع الان من حيث العدد في جملة من البلدان امام شغيلة التجارة والمكاتب .

في مجرى التقدم العلمي التقني وانتقال الصناعة وقطاعات الاقتصاد الاخرى المتزايد الى

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (٤)

نسبة العمال والمستخدمين بين السكان (النسبة المئوية)

البلد / السنة	١٩٥٠	١٩٨٤
بلغاريا (١)	١ ر١١	٧ ر٤٤
المجر (٢)	٧ ر٢٨	١ ر٣٦
فيتنام (٣)	—	٦٠ ر٠
المانيا الديمقراطية	٧ ر٢٨	٥ ر٤٧
الصين (٤)	٥ ر٧	٥ ر١١
كوبا (٥)	٠ ر٢٤	٠ ر٣١
منغوليا	٢ ر٨	٢ ر٢٠
بولندا	٢ ر٢٠	٦ ر٣٣
رومانيا	٩ ر١٢	٤ ر٣٣
الاتحاد السوفيتي	٣ ر٢٢	٣ ر٤٢
تشيكوسلوفاكيا	٨ ر٢٧	٢ ر٤٥

١) في قطاع الدولة والقطاع التعاوني . ٢) عاما ١٩٦٠ و ١٩٨٤ .
٣) في قطاع الدولة . ٤) عاما ١٩٧٠ و ١٩٨٤ . ٥) عاما ١٩٧٠ و ١٩٨٤ في قطاع الدولة
المصادر : النشرة الاحصائية الدولية لمجلس التعاضد الاقتصادي . ١٩٨٥، ص ١٥ و ٣٩٩ ؛
النشرة الاحصائية الدولية الصينية . ١٩٨٥ ، ص ٢١٣ .

جدول رقم (٥)

ديناميكية جيش العمل المأجور

البلد	العاملون الاجراء				الطبقة العاملة			
	مليون نسمة		النسبة المئوية الى السكان النشطاء اقتصاديا		مليون نسمة		النسبة المئوية الى السكان النشطاء اقتصاديا	
	بداية الـ(٥٠)	بداية الـ(٨٠)	بداية الـ(٥٠)	بداية الـ(٨٠)	بداية الـ(٥٠)	بداية الـ(٨٠)	بداية الـ(٥٠)	بداية الـ(٨٠)
جمع البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا بما فيها :	١٦٣	٢٨٣	١ ر٦٩	٨ ر٨١	١٣٧	٢٤١	٠ ر٥٨	٨ ر٧٠
الولايات المتحدة	٤٩	١٠١	٩ ر٨١	١ ر٩٠	٤٣	٨٦	٣ ر٧٢	٠ ر٧٧
اليابان	١٥	٤٢	٣ ر٥٠	٤ ر٧٢	١٣	٣٥	٢ ر٣٤	٠ ر٦١
المانيا الاتحادية	١٦	٢٤	٨ ر٧٠	٩ ر٨٦	١٤	٢٠	٨ ر٦٣	٨ ر٧٤
فرنسا	١٣	١٨	٤ ر٦٥	٠ ر٧٧	١١	١٥	٦ ر٥٨	٨ ر٦٧
بريطانيا	٢٢	٢٤	٢ ر٩٢	١ ر٩١	١٨	٢١	٤ ر٧٩	٦ ر٧٩
ايطاليا	١٣	١٦	٣ ر٦١	٢ ر٧٢	١٠	١٤	٣ ر٥٣	٠ ر٦٤
كندا	٤	١١	٠ ر٧٧	٨ ر٨٩	٣	٩	١ ر٦٧	٣ر ٧٦

المصادر: معطيات مع السكان . وكذلك الاحصاءات الوطنية والعالمية . يمثل العاملون الاجراء والطبقة العاملة العاطلين عن العمل المجلس .

قاعدة تكنولوجية جديدة تتغير حتما البنى القطاعية والمهنية والمهارات للسكان النشطاء اقتصاديا وفي الوقت نفسه ، تتفاقم ازمة التشغيل

وقد جاء في احدى نشرات اتحاد العمل العام ، وهو اكبر الاتحادات النقابية الفرنسية " ان

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (٦)

الفضائل الاشاسية للطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية الكبرى

البلد	السنة	الطبقة العاملة عموما (مليون انسان)	العمال الصناعيون		ثقيلة التجارة والمكاتب		العمال الزراعيون	
			مليون انسان	النسبة المئوية	مليون انسان	النسبة المئوية	مليون انسان	النسبة المئوية
الولايات المتحدة	١٩٥٠	٣ ر٤٣	٣ ر٢٣	٧ ر٥٣	٠ ر١٨	٥ ر٤١	١ ر٢	٨ ر٤
	١٩٨٥	٨ ر٩٠	٥ ر٣٧	٣ ر٤١	٠ ر٥٢	٣ ر٥٧	٣ ر١	٤ ر١
اليابان	١٩٥٠	٩ ر١٣	٧ ر٦	٢ ر٤٨	٢ ر٦	٦ ر٤٤	٠ ر١	٢ ر٧
	١٩٨٤	١ ر٤٢	٦ ر١٧	٤ ر٤٥	٨ ر٢٠	٦ ر٥٣	٤ ر٠	١ ر٠
المانيا الاتحادية	١٩٥١	٦ ر١٤	١ ر٨	٥ ر٥٥	٥ ر٥	٧ ر٣٧	٠ ر١	٨ ر٦
	١٩٨٥	١ ر٢٠	٥ ر١٠	٥ ر٤٩	٥ ر١٠	٥ ر٤٩	٢ ر٠	١ ر٠
فرنسا	١٩٥٤	٢ ر١١	٦ ر٥	٠ ر٥٨	٦ ر٣	٢ ر٣٢	١ ر١	٨ ر٩
	١٩٨٤	١ ر١٥	١ ر٧	٤ ر٤٦	٩ ر٧	٦ ر٥١	٣ ر٠	٢ ر٠
ايطاليا	١٩٥١	٢ ر٠	٤ ر٥	٩ ر٥١	٢ ر٣	١ ر٢٢	٧ ر٢	٠ ر٢٦
	١٩٨٤	٢ ر١٢	٢ ر٧	٧ ر٥٣	١ ر٥	١ ر٣٨	١ ر١	٢ ر٨

المصادر : معطيات الاحصاءات الوطنية والعالمية.

التقدم التكنولوجي يشكل في معظم الحالات نكوصا اجتماعيا بصورة اساسية (في البلدان الرأسمالية ـ المحرر) . وتوضح هذه الفكرة على النحو التالي : " ان التحديث التقني .. مرادف للتقليص المتواصل عمليا للتشغيل ونمو البطالة (سواء من حيث عدد الشغيلة الذين تطالهم اومن حيث مدتها)، ولازدياد اشكال العمل المهنية، والخسارة في الاجرة الفعلية،

جدول رقم (٧)

التشغيل والبطالة

البلد	السنة	عدد العاملين في الاقتصاد (الف نسمة)	المعدل الشهري لعدد العاطلين عن العمل كليا المحللين رسميا (الف نسمة)	مستوى البطالة النسبة المئوية الى السكان النشطاء اقتصاديا
جميع البلدان اعضاء منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية	١٩٧٥	–	٦٦٠ ١٥	–
	١٩٨٠	–	١٢١ ١٩	–
	١٩٨٥	–	٣٨٠ ٢٨	–
الولايات المتحدة	١٩٧٥	٨٤٦ ٨٥	٩٢٩ ٧	٣ ر٨
	١٩٨٠	٣٠٣ ٩٩	٦٣٧ ٧	٧ ر٠
	١٩٨٥	١٥٠ ١٠٧	٣١٢ ٨	٢ ر٧
اليابان	١٩٧٥	٢٣٠ ٥٢	٠٠٠ ١	٩ ر١
	١٩٨٠	٣٦٠ ٥٥	١٤٠ ١	٢ ر٠
	١٩٨٥	١١٨ ٥٨	٥٧٢ ١	٦ ر٢
المانيا الاتحادية	١٩٧٥	٢٨٥ ٢٥	٠٧٤ ١	٤ ر٧
	١٩٨٠	٧٧١ ٢٥	٨٨٩	٨ ر٣
	١٩٨٥	٥١٢ ٢٤	٣٠٤ ٢	٣ ر٩
فرنسا	١٩٧٥	٨٨٥ ٢٠	٨٤٠	٤ ر١
	١٩٨٠	٣٤٧ ٢١	٤٥١ ١	٣ ر٦
	١٩٨٥	–	٣٩٦ ٢	٢ ر١٠
بريطانيا	١٩٧٥	٧٠٣ ٢٤	٩٧٨	٠ ر٤
	١٩٨٠	٩٨٣ ٢٤	٧٩٥ ١	٨ ر٦
	١٩٨٥	٢٤١ ٢٣	٢٧١ ٣	١ ر١٣
ايطاليا	١٩٧٥	٤٩١ ١٩	٢٣٠ ١	٩ ر٥
	١٩٨٠	٢١٦ ٢٠	٦٩٨ ١	٦ ر٧
	١٩٨٥	٥١٦ ٢٠	٤٧١ ٢	٦ ر١٠
كندا	١٩٧٥	٢٨٤ ٩	٦٩٠	٩ ر٦
	١٩٨٠	٧٠٨ ١٠	٨٦٥	٥ ر٧
	١٩٨٥	٣٦٩ ١١	١٣٢٨	٥ ر١٠

المصادر : معطيات الاحصاءات الوطنية والعالمية.

Digitized by Birzeit University Library

وتكثيف العمل ، والهجمات على الضمان الاجتماعي وغيره من المكتسبات الاجتماعية ،وتقلص حقوق الشغيلة ... " (٢).

ويبين الجدول رقم ٧ دينامية البطالة في مجموعة البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا وفي أكبر هذه البلدان وتبدو الولايات المتحدة البلد " الافضل حالا" في هذا المجال ، حيث جرى فيها تعويض التقليص في الصناعة بصورة اساسية بزيادة نسبته في الميادين الاخرى ، وغالبا بأجور ادنى . اما في اليابان فقد ازداد جيش الناس " الفائضين " خلال هذه الفترة اكثر من مرة ونصف ، وفي المانيا الاتحادية وايطاليا وكندا مرتين تقريبا ، وفي فرنسا حوالي ثلاث مرات ، اما في بريطانيا فقد بلغت الزيادة اكثر من ثلاث مرات .

كان نمو نسبة البطالة الطويلة الامد (اكثر من سنة) ، وارتفاع نسبة البطالة بين الشبيبة ، سمة مميزة للوضع في سوق العمل في السبعينات والثمانينات . وفي اواسط الثمانينات كان العاطلون عن العمل في جميع البلدان الكبرى ، باستثناء اليابان ، اكثر بكثير مما في السبعينات . وازدادت مدة البطالة . ففي فرنسا على سبيل المثال ، كما يشير المعهد الوطني للاحصاء والدراسات الاقتصادية ، " بلغ عدد العاطلين عن العمل لمدة تزيد على عامين ، والذين كان عددهم ضئيلا عام ١٩٧٥ ، بلغ اكثر من مئتي الف نسمة عام ١٩٨١ . ووصل هذا العدد الى ٥١٨ الفا في آذار (مارس) ١٩٨٦ " (٣) ، اى اكثر من خمس مجموع العاطلين عن العمل .

يلفح سوط/ البطالة الشبيبة بقوة . ففي عام ١٩٨٥ شكل الشباب ٣٩ في المئة من العاطلين عن العمل المسجلين في البلدان الرأسمالية السبعة الكبرى ، بالرغم من ان نسبتهم بين السكان النشطاء اقتصاديا لم تكن تزيد على ٢٠ في المئة . ويتسم الوضع بمأساوية خاصة في فرنسا وايطاليا ، حيث لم يجد ربع الشباب في الاولى وثلثيهم في الثانية عملا بعد التخرج من المدرسة. وضربت اسبانيا رقما قياسيا محزنا في هذا المجال ، حيث يلقي هذا المصير ما يقارب نصف الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٦ و ٢٤ عاما .

البلـــــدان النامي ـــــة

تملك البلدان النامية موارد بشرية وطبيعية هائلة ، بيد انها لا تنتج حتى ٢٠ في المئة من اجمالي الناتج المحلي للعالم غير الاشتراكي . وتخلفها الاقتصادي عن الدول المتطورة صناعيا لا يتقلص ، بل على العكس يتفاقم في ظروف النهب الاستعماري الجديد . ففي مستهل الثمانينات كانت حصة الفرد من اجمالي الناتج المحلي في " العالم الثالث" في المتوسط ادنى بـ ١١ مرة مما هي عليه في مراكز الرأسمالية

يتجلى المستوى المنخفض للتطور الاقتصادي الاجتماعي على وجه التحديد في الاطر الضيقة للعمل المأجور : فالعاملون بأجر لا يشكلون اكثر من ٤٠ في المئة من السكان النشطاء اقتصاديا في "العالم الثالث" عموما . كما ان نسبة الصناعة والبناء والنقل في التشغيل بأجر ضئيل ايضا ـ اكثر

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (٨)

مستوى البطالة بين الشبيبة[1] (النسبة المئوية)

البلد	١٩٨١	١٩٨٣	١٩٨٥
الولايات المتحدة	٣ ر١٤	٤ ر١٦	٠ ر١٣
اليابان	٠ ر٤	٥ ر٤	٨ ر٤
المانيا الاتحادية	٥ ر٦	٧ ر١٠	٩ ر٥
فرنسا	٠ ر١٧	٧ ر١٩	٦ ر٢٥
بريطانيا	١ ر١٨	٧ ر٢٢	٧ ر٢١
ايطاليا	٤ ر٢٧	٠ ر٣٢	٧ ر٣٣
كندا	٣ ر١٣	٩ ر١٩	٥ ر١٦
مجموع البلدان السبعة	٧ ر١٣	٦ ر١٦	٣ ر١٥
استراليا	٨ ر١٠	٩ ر١٧	٣ ر١٤
هولندا	٧ ر٩	٣ ر١١	٩ ر٩
السويد	٨ ر٥	٧ ر٩	١ ر٩
النرويج	٧ ر٣٢	٩ ر٣٨	٨ ر٦
اسبانيا	٧ ر٦	٠ ر٨	١ ر٤٤
البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا	٥ ر١٤	٧ ر١٧	٨ ر٥
مجموع حجم البلدان الاثني عشر [2]			٦ ر١٦
عدد الشباب العاطلين عن العمل (مليون نسمة) في البلدان السبعة	٧ ر٧	٢ ر٩	٤ ر٨
في البلدان الاثني عشر	١ ر٩	٩ ر١٠	٢ ر١٠

١) تسأول المعطيات التي تتراوح اعمارهم بين ١٥ و ٢٤ سنة. باستثناء ايطاليا (بين ١٤ و ٢٤) والولايات المتحدة وبريطانيا والنرويج واسبانيا والسويد (بين ١٦ و ٢٤).

٢) توجد في هذه البلدان ٨٥ في المئة من الايدي العاملة من فئة السن العشار فيها في البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا.

المصادر: معطيات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

بقليل من ٢٥ في المئة في آسيا، وحوالي ٤٠ في المئة في امريكا اللاتينية.

ان قضية التشغيل حادة بصورة خاصة. فاكثر من ٤٠ في المئة من القادرين على العمل، اما لا يجدونه واما يعملون يوما غير كامل. ويبلغ مجموع عدد العاطلين عن العمل والعاملين بصورة غير كاملة ما لا يقل عن ٤٨٠ مليون نسمة، من بينهم حوالي الثلثين في بلدان آسيا وحوالي الخمس في افريقيا

جدول رقم (٩)

السكان النشطاء اقتصاديا: العدد والبنية

البلد	السنة	العدد الاجمالي (ألف نسمة)	قسمة المئوية من عدد السكان الاجمالي	التوزيع حسب القطاعات					
				الف نسمة			النسبة المئوية		
				قطاع الزراعة	قطاع الصناعة	قطاع الخدمات	الزراعة	الصناعة	قطاع الخدمات
مجموع البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا	١٩٥٠	٤٤٥ ر١٣٥	٠ ر٤١	٥٥٩ ر٢٣٧	٧٨٩ ر٤٠	٨ ر٧٥٥	٦٦ ر٧٨٧	٢ ر٩	٠ ر١٥
	١٩٧٠	٦٦٩ ر١٥٠	٠ ر٢٧	٤١٠ ر١٥٠	٨٦ ر٢٤٠	٢ ر٣٤٣	٢ ر٦٤	٧ ر١٢	١ ر٢١
	١٩٨٥	٨٨٥ ر٢٠٠	...	٨٢١ ر٤١	١٢٢ ر٨٥٥	٢ ر٧٧١	٥ ر٤١	٢ ر٦٥	٣ ر٢٠
من سنها:									
بلدان امريكا	١٩٥٠	٥١٠ ر٥٤	١ ر٣٥	٢٦٨ ر٢٩	٢٢٩ ر١٠	٥ ر٥٣٠	١٥ ر٠٠٢	٨ ر١٨	٥ ر٢٧
اللاتينية وجزر الكارس	١٩٧٠	٨٤٢ ر٨٤	٥ ر٣١	٢٦٦ ر٢٤	١٠٤ ر١٨	٥٦٢ ر٢١	٢ ر١٢	٦ ر١٧	٢ ر٢٧
	١٩٨٥	١١٧ ر٢٠٠	...	٣٥ ر٨٠	٢٧ ر٧٥٤	٥٦٦ ر٥٤	٣٠ ر٠٠	٦ ر٢٣	٤ ر٤٦
الشرق الاوسط	١٩٥٠	٢٢ ر٧٧٢	٩ ر٤١	١٧ ر٢٥٧	٢ ر٤٥٠	١١ ر٠٠٠	٢٦ ر٣٦٨	٤ ر٢٩	١ ر٣٧
وافريقيا	١٩٧٠	٣٢ ر١٤٤	٨ ر٣٢	١٩ ر٤٦	٦ ر٠٥٢	١٨ ر١٤١	٩ ر٤١	١ ر٥٨	٨ ر٤٢
	١٩٨٥	٤٦ ر٨١٢	...	...	...	...	٧ ر٩٤١	١ ر٨٩	٨ ر٤٣
جنوب وجنوب شرق وشرق آسيا	١٩٥٠	٢٩٦ ر٤٨٢	٤ ر٤٣	٢١٥ ر٤٦٤	٢٢ ر٤٦٤	٢٠٥ ر٢٩	٧٣ ر٠٥٧	٨ ر٧٧	١ ر١٤
	١٩٧٠	٢٧٨ ر١٨٢	١ ر٢٨٠	١٥٢ ر٢٤٦	٨٤ ر٢٦٦	٧١ ر٢٦٦	٥٤ ر٨٤٦	١ ر٨٩	١ ر١٩
	١٩٨٥	٥١٤ ر٤٣٢	...	٣٠٢ ر٧٨١	٨٩ ر٠٨٣	١٣٢ ر٠١٨	٣٤ ر٧٠٣	٣ ر٧٣	٩ ر٢٣
امريكا اللاتينية وجنوب امريكا	١٩٥٠	٨٩ ر٢٥٨	٢ ر٤٣	٧٤ ر٧٦١	٥ ر٢٩٤	٩ ر٥٨٨	٢٩ ر٨٢٠	٦ ر٠٧	٢ ر٢٨
	١٩٧٠	٨٤٩ ر١٣٠	٢ ر٢٩	٩٦ ر٣٤١	١٣ ر١١٢	٢٠ ر٣٠١	٢ ر٧٤	١ ر٠٦	٨ ر١٩
	١٩٨٥	١٨٦ ر٠٠٠	...	١١٤ ر٥٧٦	٢٩ ر٣٨٨	٤٠ ر٠٢٦	٦١ ر٦	٨ ر٢٨	٦ ر٢٦

المصدر: ب. ر. سولومنس و ف. ا. سيتس. اقتصاد البلدان الرأسمالية بالأرقام. ١٩٥٠ - ١٩٨٥. موسكو ١٩٨٦. ص ٢٩٨.

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (١٠)

الاقتصاد والعمل المأجور

	نسبة البلدان النامية في العالم الرأسمالي (النسبة المئوية)			السكان		العاملون بأجر		
	اجمالي الناتج المحلي	الانتاج الصناعي	التصدير	المجموع (مليون نسمة)	النسبة المئوية الى البلدان النامية كافة	المجموع (مليون نسمة)	النسبة المئوية الى العاملين بأجر البلدان الرأسمالية	النسبة المئوية الى السكان النشطاء اقتصاديا
المناطق النامية								
عموما: ١٩٧٥ (١)	٤ ر١٧	٨ ر١٤	٦ ر٢٦	١ ٨٢٤		٢٥٠	٠ ر٥١	١٠٠ر٠
١٩٨٥	٣ ر١٨	٧ ر١٥	١ ر٢٨	٢ ٢٨٥		٣٤٨	٥ ر٥٤	١٠٠ر٠
آسيا: ١٩٧٥ (١)	٥ ر٧	٢ ر٦	٤ ر١٦	١ ١٨٧	١ ر٦٥	١٦٧	١ ر٢٤	٦٦ر٨
١٩٨٥	٢ ر٨	٠ ر٦	٠ ر١٧	١ ٣٨٦	٧ ر٦٠	٢٤٥	٤ ر٣٨	٧٠ر٤
افريقيا (باستثناء جنوب افريقيا)								
١٩٧٥ (١)	٥ ر٢	٣ ر١	٦ ر٤		٩ ر١٧	٢٨	٧ ر٥	٢ ر١١
١٩٨٥	٢ ر٢	١ ر١	٩ ر٤		٢ ر٢٢	٢٩	٤ ر٤	٣ ر٨
امريكا اللاتينية								
١٩٧٥	٤ ر٧	٣ ر٧	٦ ر٥	٣١١	٠ ر١٧	٥٥	٢ ر١١	٠ ر٢٢
١٩٨٥ (١)	٩ ر٧	٦ ر٨	٢ ر٦	٣٩١	١ ر١٧	٧٤	٦ ر١١	٣ ر٢١

١) ارقام تقديرية. ٢) عام ١٩٨٥ . ارقام تقديرية .
المصادر: معطيات هيئة الامم المتحدة .

ومع كل تنوع الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعمل في ظلها مختلف فصائل الطبقة العاملة، ومع كل التغيرات في بنيتها، المرتبطة بالتقدم التقني والعوامل الاخرى، تبقى هذه الطبقة، الطبقة الثورية الاساسية في العصر الراهن .

لمـــــاذا ؟

أولا ، بحكم الحقيقة الموضوعية الماثلة في ان الطبقة العاملة ترتبط ارتباطا لا ينفصم باشكال الانتاج الاجتماعي الاكثر طليعية .

ثانيا ، نظرا لعلاقاتها العضوية والمتنامية باشكال العمل الجماعية، ومن هنا قدرة الطبقة العاملة على التنظيم الجماعي والنضال، واخضاع المصالح الخاصة للمصالح العامة، والقيام بدور القوة الجماهيرية الموحدة .

ثالثا ، ان موقع الطبقة العاملة في الانتاج والمجتمع يجعلها النصير الاكثر ثباتا لمثل العدالة الاجتماعية المساواة والعلاقات الانسانية بين البشر .

ان مثل هذا المثل يمكن ان تنعكس بصور مختلفة في الاهداف والمطالب الاساسية الملموسة لفصائل الطبقة العاملة المختلفة. ففي البلدان الاشتراكية يعني الشغيلة بصورة اساسية بتطوير واستكمال النظام الاجتماعي الذي يؤمن تلبية حاجات الجماهير الشعبية المادية والروحية على نحو اكمل وفي البلدان الرأسمالية يناضل الشغيلة ضد الاستغلال والاضطهاد الاجتماعي، ومن اجل التحولات الرامية الى اضعاف سلطة الاحتكارات وازالتها . وفي بلدان " العالم الثالث" للطبقة العاملة الفتية مصلحة ملحة في اتخاذ تدابير متسقة لحل القضايا البالغة التعقيد ، الناجمة عن الاستعمار والاستعمار الجديد .

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (١١) البطالة : حجمها وديناميتها (١)

	البطالة الكاملة والجزئية (مليون نسمة)	بالنسبة المئوية الى المجموع	نمو البطالة (١٩٧٥ = ١٠٠)
جميع البلدان الثامية			
١٩٧٥	٢٨٢	١٠٠	٠ ر١٠٠
١٩٨٠	٣٣١	١٠٠	٤ ر١١٧
١٩٨٥	٤٨٠	١٠٠	٢ ر١٧٠
آسيا			
١٩٧٥	١٨٦	٦٦ ر٠	٠ ر١٠٠
١٩٨٠	٢٠٩	٦٣ ر١	٤ ر١١٢
١٩٨٥	٣٣٥	٦٢ ر٩	٤ ر١٦٢
افريقيا (باستثناء جنوب افريقيا)			
١٩٧٥	٦٣	٢٢ ر٣	٠ ر١٠٠
١٩٨٠	٧٥	٢٢ ر٧	٠ ر١١٩
١٩٨٥	٨٩	٢٠ ر٦	١ ر١٥٧
امريكا اللاتينية			
١٩٧٥	٣٣	١١ ر٧	٠ ر١٠٠
١٩٨٠	٤٧	١٤ ر٢	٤ ر١٤٢
١٩٨٥	٥٦	١٦ ر٥	٧ ر١٦٦

١) المعطيات الواردة تعتبر ارقاما تقديرية لحجم البطالة الكاملة والجزئية ، وذلك لان المعطيات حول عدد من البلدان غير متوفره او غير كاملة .

المصادر : Year Book of Labour Statistics 1985 Geneva, 1985, pp. 683 (ex. est.)

بيد ان لهذه المصالح كلها اساس عام ــ هو النضال من اجل التقدم الاجتماعي والطموح الى الديموقراطية الفعلية ، والعزم على وقف سباق التسلح واحلال السلام الراسخ والامن الدولي ، اذ يستحيل تحقيق الاهداف الطبقية من دونها .

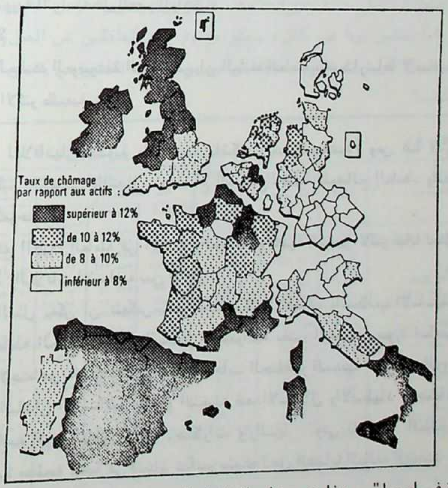

" البطالة في اوروبا " ــ هذا هو عنوان الخارطة التي نشرت في صحيفة " الموند " في ١٣

Digitized by Birzeit University Library

كانون الثاني (يناير) ١٩٨٧ . تبين المستطيلات الاربعة المخططة بصور مختلفة، مستوى البطالة بالمقارنة مع السكان النشطاء اقتصاديا : اكثر من ١٢ في المئة، من ١٠ الى ١٢ في المئة، من ٨ الى ١٠ في المئة، ادنى من ٨ في المئة .

وقد جاء في النص المرفق بالخارطة ان البطالة في مجموعة البلدان الاثني عشر اعلى مما هي عليه في بلدان المجموعة الاقتصادية الاوروبية العشرة، وتتجلى الفوارق الاقليمية بوضوح اكبر، ففي اسبانيا تشكل البطالة ٢١ر٥ في المئة من السكان النشطاء اقتصاديا (١٠ر٦ في المئة في المتوسط في مجموعة البلدان الاثني عشر) . وفي ٤٢ منطقة اوروبية (من حوالي ١٨٠ منطقة) فيها ٣١ في المئة من السكان النشطاء اقتصاديا في المجموعة الاقتصادية الاوروبية، تجاوز مستوى البطالة ١٢ في المئة في عام ١٩٨٦ .

كان مستوى البطالة القياسي في الماضي (١٩ر٣ في المئة) في سردينيا ، اما الان فهو يتجاوز في ٧ مناطق في اسبانيا . ويلاحظ على مستوى للبطالة في اوروبا في الاندلس (٣٠ر٢ في المئة) ، وادنى مستوى في لوكسمبورغ (٢ر٥ في المئة ، وتبلغ النسبة بين هذين المستويين الان واحدا الى ١٢ ، مقابل واحد الى ثمانية في عام ١٩٨٥ بين سردينيا ولوكسمبورغ .

ملاحظة : لم تشمل الخارطة اليونان لعدم توفر المعطيات الاحصائية الكافية . . . .

١) لم يحصل فريق العمل ، لسوء الحظ ، على معطيات عن البانيا وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ويوغلافيا .

٢) للمزيد من التفاصيل انظر مجلة "قضايا السلم والاشتراكية" العدد ٢ / ١٩٨٧ .

[illegible] World Trade Union Congress. [illegible] on Social and Economic [illegible] Berlin, 1984, pp. 11-12.

٣) مـــن [illegible] December 1984

عن مجلة " قضايا السلم والاشتراكية " ، العدد ٤ / ١٩٨٧ .

Digitized by Birzeit University Library

« بعث » : تحليل لرواية تولستوي

بقلم : ميخائيل باختين ترجمة : محمد برادة

بعد مرور اكثر من عشر سنوات على الانتهاء من "اناكارنينا" (١٨٧٧) انجز تولستوى روايته الاخيرة " بعث " (١٨٩٠) . وخلال هذه السنوات العشر ، حصلت " الازمة" الشهيرة التي ستقلب الحياة الشخصية لتولستوى وكذلك ايديولوجيته وانتاجه الادبي مما جعله يتخلى عن ممتلكاته (لفائدة اسرته) ، وينقض معتقداته الماضية، ورؤيته للعالم ، وينكر عمله الادبي .

ومثل هذا الانقلاب في الرؤية للعالم وفي الحياة الشخصية، احس به معاصرو تولستوى احساسا قويا وفهموه على انه بمثابة ازمة . واليوم ، يرى العلم المسألة بكيفية مختلفة، ذلك اننا نعرف ان مقدمات هذا الانقلاب كانت توجد سلفا في اعمال تولستوى الشاب ، ونعرف انه منذ السنوات الممتدة بين ١٨٥٠ و ١٨٦٠ ، كانت تظهر بوضوح اتجاهات ستجد مجالاللتعبير عنفسها منذ ١٨٨٠، في "الاعتراف" وفي الحكايات الشعبية والمحاولات الفلسفية الدينية، وكذلك في وضع تولستوى لبعض مبادئ الحياة ، موضع تساؤل جذرى . ونعرف ايضا ان هذا الانقلاب لا يجب ان يفهم باعتباره حدثا يخص حياة تولستوى وحده، بل كان ، الواقع ، مستجيبا لتطور الصيرورات الاجتماعية ـ الاقتصادية . والايديولوجية المعقدة التي كانتتجرى آنذاك في المجتمع الروسي ، والتي كانت تقتضي من الكاتب اوالفنان الخاضعين في تكوينهما لفترة سابقة، ان يعيدا النظر في توجيه اعمالهما . وفي الثمانينات بالضبط (١٨٨٠) حصلت " اعادة التوجيه الاجتماعي" لايديولوجيا تولستوى ولابداعه الادبي . وكان ذلك هو الجواب المطلوب من لدن الشروط الجديدة لتلك الفترة .

Digitized by Birzeit University Library

منذ الخطوات الاولى على درب الادب، تميزت الرؤية للعالم عند تولستوى وكذلك عمله الادبي بل وحتى اسلوب حياته، بموقف معارضة للتيارات السائدة في عصره ـ بدأ مثل " تقليدي مناضل" يدافع عن تقاليد ومبادئ القرن الثامن عشر، عن روسو وعن موجة العواطفية الاولى.

ولما كان مناصرا لمبادئ بالية، فقد تشجع للمجتمع البطريركي الخاضع لسيطرة ملاك الاراضي، والقائم على الرق، كما عارض بقوة قيام علائق اجتماعية جديدة متولدة عن ضغط البورجوازية الليبرالية. كان تولستوى خلال سنوات ١٨٥٠ ـ ١٨٦٠ يرى ان كاتبا مثل تورجنيف، هو ديمقراطي اكثر من اللازم، مع انه كان ممثلا للتيارات الادبية المعبرة عن طبقة النبلاء الروسية. في تلك الفترة، كان يوجد في النقطة المركزية لايديولوجيا تولستوى ولابداعه الادبي، مفهوم التنظيم البطريركي للاسرة، وللملكية العقارية مع جميع العلائق البشرية المنحدرة من هذه الاشكال الاجتماعية وهي علائق مؤمثلة بعض الشيء ومفتقرة، في التحديد الاخير، للواقع التاريخي الملموس.

ان الملكية العقارية البطريركية منظورا اليها من واقعها الاجتماعي ـ الاقتصادي كانت توجد، آنذاك خارج الصيرورة التاريخية. لكن تولستوى لم يصبح مع ذلك المعلق المستمتالي على " اعشاش الاسياد" (١) الاخيرة، تلك البقايا العتيقة من العهد الاقطاعي. واذا كان صحيحا ان رومانسية معينة خاصة بهذا العالم الاقطاعي المحتضر، تكون جزءا ملتحما برواية " الحرب والسلام "، فانه لا يقل عن ذلك وضوحا ان هذه الرومانسية لا تكون الخاصة الغالبة في هذه الرواية. ذلك ان المجتمع البطريركي مستحضر عند تولستوى عبر سيمفونية غنية بالصور والمشاعر والانفعالات. انه مرتبط بادراك عميق لعلائق الانسان بالطبيعة، الا انه لا يكون، منذ البدء، سوى خلفية يمتزج فيها الواقعي بالرمز وتضيف اليها الفترة عناصر واقع اجتماعي آخر.

ليست البادية عند تولستوى هي العالم الواقعي للمالك العقاري، ذلك الوسط الجامد القائم على الرق والمنغلق على ذاته والمعادي لكل تجديد. بل ان تولستوى يتبع مقاربة اخرى: اصطلاحية بعض الشيء، دون شك، الا انها متشربة بعمق للشعارات الاجتماعية المطروحة في سنوات ١٨٦٠، مما جعلها متلقية لتعدد الاصوات المنبعثة من فترة جد غنية بالصراعات والتوترات الايديولوجية.

وانطلاقا، بالتحديد، من هذه الرؤية للملكية العقارية الاقطاعية، المؤسلبة نصفيا، استطاع تولستوى ان يتطور بكيفية مطردة نحو منله الاجتماعي الاعلى الذى تجسده الاسبة (isba) (مسكن خشبي يقطنه الفلاحون الروس). لاجل ذلك، فان انتقاد الرأسمالية الوليدة وانتقاد كل ما كان يسندها سواء على الصعيد السيكولوجي او على الصعيد الايديولوجي، قد اعتمد، عند تولستوى، ومنذ وقت مبكر، على بنية اجتماعية تحتية اكثر اتساعا من بنية الحياة التقليدية للملكية العقارية المرتكزة على الرق. وهذا المظهر الاخر لعالم تولستوى، هذه اللذة العارمة للعيش التي تلون مجموع اعمال تولستوى قبل الازمة، لم تكن في جزئها الكبير، سوى

Digitized by Birzeit University Library

التعبير عن هذه الاشكال الاجتماعية الجديدة والصاخبة التي كانت قد ارتادت ساحة التاريخ (٢) خلال تلك السنوات .

كل هذا الذى ذكرناه، كان يسهم في تكوين روح تلك الفترة : فمن جهة ، نجد نظاما تقليديا مرتكزا على الرق، يلفظ انفاسه الاخيرة ، ومن جهة ثانية، كان هناك عالم ايديولوجي قليل التمايز وخاص بفئات اجتماعية جديدة . ولم تكن الرأسمالية قد شرعت بعد في تركيز وتوزيع القوى الاجتماعية التي كانت شعاراتها الايديولوجية ما تزال مختلطة وكانت تتداخل فيما بينها بألف طريقة وخاصة في مجال الابداع الفني . والواقع ان الفنان كان يستطيع ان يتوفر على بنية اجتماعية تحتية واسعة بالرغم من ان هذه البنية كانت تنطوى على تناقضات داخلية كامنة لم تكن تتبدى بعد في وضح النهار، مثلها مثل تناقضات الاقتصاد لتلك الفترة . ان الحقبة كانت تراكم التناقضات، الا ان ايديولوجيتها ، وبخاصة في مجال الفن، ظلت ساذجة في معظمها ما دامت تلك التناقضات لم تكن قد انكشفت او غدت راهنة .

فوق هذه البنية التحتية الاجتماعية الواسعة، اللامتمايزة وغير الكاشفة لتناقضاتها ، شيدت المجاميع الروائية الضخمة لتولستوى بل ان سذاجتها وتناقضاتها الداخلية غير المقصودة هي التي كونت غناها وعظمتها عن طريق ادراج وجوه واشكال ووجهات نظر، وتقييمات تعبر عن مواقف اجتماعية متنافرة ومفتقرة الى التجانس . وهذا هو ما يميز ملحمة " الحرب والسلام " ، وكذلك القصص والمحكيات، بل وحتى رواية " انا كارنينا " .

بدأت سيرورة التمايز منذ سنوات ١٨٧٠، كانت الرأسمالية قد استقرت محددة بمنطق شرس حقل القوى الاجتماعية ، مفرقة الاصوات الايديولوجية، معطية كل صوت وضوحا اكثر، ومقيمة في كل الانحاء حدودا دقيقة . وقد تسارعت هذه السيرورة ايضا خلال السنوات ١٨٨٠ – ١٨٩٠ ، وهي الفترة التي اتمت خلالها التيارات الايديولوجية بالمجتمع الروسي، تمايزها : فالمدافعون المتشبثون بالنظام البطريركي التقليدى والبورجوازيون الليبراليون من كل صنف، والشعبويون، والماركسيون، جميع هذه التيارات تمايزت عن بعضها البعض، ووضعت ايديولوجيتها الخاصة التي تنحو، نتيجة لتفاقم صراع الطبقات، الى ان تتميز بدقة اكبر من قبل . ومنذئذ تحتم على المبدع ان يختار توجيهه دون التباس داخل هذا الصراع الاجتماعي، خوفا من ان يخسر ملكاته الابداعية .

ان الاشكال الفنية خاضعة بدورها لهذه الازمة الداخلية حيث تتمايز وتتحاور التناقضات الكامنة . فالملحمة التي كانت تجمع تحت نفس الاضاءة الفنية، عالم نيكولا روستوف، وعالم بلاطون كراتئيف، وعالم بيير بيزوكوف، وعالم الامير الشيخ بولكونسكي، او الرواية حيث ليفين يجد، بدون ان يكف عن ان يكون ملاكا للارض، طمأنينة روحه بالقرب من "اله الموجيك ..." هذه الاشكال اصبحت في سنوات ١٨٩٠ مستحيلة . ذلك ان التناقضات التي تشمل عليها ظهرت جلية في عمق العمل الادبي ذاته ، مفككة من الداخل وحدته مثلما انها كانت قد انفجرت في واضحة النهار داخل الواقع الاجتماعي والاقتصادى الموضوعي .

Digitized by Birzeit University Library

وخلال هذه الازمة الداخلية التي اثرت في ايديولوجية تولستوى وفي نشاط ابداعه الادبي على السواء، بدأ يتجه صوب عالم طبقة الفلاحين البطربركية. ولحد هذه الفترة ، كان نفي الرأسمالية ونقد الحضارة المدينية ينمان انطلاقا من مواقف عزيزة على طبقة بسلاء قروية تقليدية وغير متشبثة كثيرا بالمواضعات . والان، اى منذ ١٨٩٠ ، بدأ النفي والنقد ينمان من مواقع طبقة فلاحين تقليدية هي في نفس الان، ذات مواضعات اجتماعية ومفتقرة لواقع تاريخي حقيقي وملموس من ثم فان عناصر الرؤية للعالم لدى تولستوى التي لم تكن ، اول الامر، موجهة الا نحو هذا القطب الثاني للعالم الاقطاعي الذى كان الفلاح يكونه، والتي كانت تتعارض بعنف مع كل واقع ثقافي واجتماعي وسياسي محيط بها ، سيستولي منذ الان على كل تفكيره وترغمه على ان يرفض بصرامه جميع ما لا يتلاءم معها .

لقد نجح تولستوى، باعتباره مفكرا ايديولوجيا وأخلاقيا ومبشرا، في ان يتناغم مع طبقة الفلاحين ، وفي ان يصبح حسب تعبير لينين، الناطق باسم ملايين وملايين الناس الممثلين لهذه الطبقة الاجتماعية : " ان تولستوى عظيم بصفته مترجما لافكار وعقلية ملايين الفلاحين الروسيين اثناء اندلاع الثورة البورجوازية في روسيا. تولستوى اصيل لان مجموع افكاره، اذا ما اخذت ككل، تعبر بكيفية صائبة عن خصوصيات ثورتنا باعتبارها ثورة بورجوازية فلاحية . ومن هذه الزاوية ، فان التناقضات الموجودة في افكار تولستوى، هي مرآة حقيقية للشروط المتناقضة التي يجرى فيها النشاط التاريخي لطبقة الفلاحين خلال ثورتنا " (٣) .

لكن اذا كان اتجاه جديد ، جذرى ومتجه الان نحو الفلاح، قد تحقق داخل الرؤية للعالم عند تولستوى وفي افكاره الفلسفية واعتباراته التجريدية عن الاخلاق، فاننا نلاحظ بالمقابل، في مجال الابداع الفني، ان اعادة التوجيه ظهرت اكثر تعقيدا وصعوبة. وليس مجرد صدفة اذا كان النشاط الفني بمعنى الكلمة لتولستوى قد اصبح في المرتبة الثانية منذ نهاية سنوات ١٨٧٠ ، بعد ان توارى خلف اعماله المتصلة بالفلسفة الدينية وبالفلسفة الاخلاقية . فبعد ان تخلى تولستوى عن طريقته القديمة فانه لم يتوصل قط الى تشييد اشكال فنية جديدة تكون ملائمة لتوجيهه الاجتماعي الجديد . والسنوات الممتدة بين ١٨٨٠ – ١٨٩٠ تتطابق في عمل تولستوى مع فترة ابحاث شكلية مكثفة قام بها لخلق ادب فلاحي .

ان الاسبة الفلاحية بعالمها الخاص بها وبوجهة نظرها عن العالم ، كانت منذ البدء ، حاضرة في اعمال تولستوى، الا انها لم تكن سوى حلقة ولم تكن تظهر الا من خلال بلورة موشورية هي رؤية الشخوص المنحدرة من عالم اجتماعي آخر، او انها ايضا كانت معطاة باعتبارها مصطلحا ثانيا يدل على نقيضه او على تواز (كما هوالحال في " الموتى الثلاثة "). فالفلاح، هنا ، منظور اليه من طرف شخص نبيل وعبر مشاغله ، فهو لا يقدم مبدأ تنظيم داخلي للعمل الادبي . اكثر من ذلك ، فان وضعية الفلاح عند تولستوى تستبعد ان يكون محركا للفعل . فالفلاحون هم بالنسبة للكاتب، مثلما هم بالنسبة لشخوص رواياته، موضوع اهتمام ومثل اعلى يتطلع اليه ، وليسوا مطلقا مركزا تنتظم الرواية من حوله.

Digitized by Birzeit University Library

سجلت صوفيا تولستوى (٤) في اكتوبر ١٨٧٧ ، بمذكراتها ، هذا الاعتراف ذا الدلالة القوية على لسان ليون تولستوى : " ان عادات الفلاحين بالنسبة لي ذات اهمية خاصة وصعبة على الفهم . وعلى العكس، بمجرد ما اشرع في وصف وجود اناس من طبقتي ،احسني وكأنني في بيتي ".

كان تولستوى منشغلا منذ امد طويل بمشروع رواية فلاحية . وفي سنة ١٨٧٠ ، وقبل كتابة آنا كارنينا ، كان ينوى ان يكتب رواية يكون بطلها بمثابة نموذج شبيه بـ " ايليا مورومي " x ، موجيك اصله، لكنه جامعي في تكوينه . وبعبارة اخرى ، كان تولستوى يريد ان يبتدع نمطا من الفلاحين حسب روح الملحمة الشعبية (٥). وفي سنة ١٨٧٧ عندما كان ينهي آنا كارنينا ، سجلت زوجته في مذكراتها الحديث التالي : " آه إ انهاء هذه الرواية (يقصد آنا كارنينا) في اقرب وقت ، لابدأ شيئا آخر إ ان فكرتي الان جد واضحة . فلكي يكون عملادبي جيدا ، يجب ان تحب فيه الفكرة الاساسية . هكذا ، في " آنا كارنينا أحب فكرة العائلة، وفي " الحرب والسلام" احببت فكرة الامة كما ولدت في حرب سنة ١٨١٢ . ومنذ اليوم ارى بوضوح انني في عملي المقبل، سأحب فكرة الشعب الروسي بصفته قوة مغتصبة ".

يطالعنا ، هنا ، مفهوم جديد للرواية عند الدسمبريين ، وهي الرواية التي كان مشروعها في ذهن تولستوى. منذ الان يتحتم ان تكون ، تدقيقا ، رواية فلاحية موضوعها المركزي هو ،

× بطل اسطوري في الملاحم الشعبية الروسية .

× اشارة الى هبة الدسمبريين التي قامت يوم ١٤ ديسمبر ١٨٢٥ ، والتي جرت مرحلة احداثها الحاسمة بساحة السينا (Sénat) بمدينة سانت بطرسبورغ

احتمالا ، الفكرة التي صاغها ك .ليفين ، ع
ان الرسالة التاريخية للفلاح الروسي تتمثل ف
استعمار اراضي شاسعة من آسيا . وهذه المهم
التاريخية تتحقق حصرا في اطار العم
الزراعي ومن خلال تشييد حياة بطريركية.

هكذا تخيل تولستوى دسمبريا وجد نف
من جديد في سيبريا وسط الفلاحين المعمرين
ونشهد ، عندئذ ،تغيرا في المنظور : ف
" الحرب والسلام " يظهر بلاطون كراتيد
الشخص الساذج، فقط كعنصر من عالم بيي
بوزوكوف . والان نلاحظ عكس ذلك : بيي
مندمج في حقل رؤية الموجيك الذى ه
العنصر الحقيقي في التاريخ . فالتاريخ ليس
هو "١٤ دسمبر" (كانون الاول) وساحة
" السينا" x، بل هو حركة هجرة الفلاح
المتضرر من المالك . على ان هذا المشروع
للرواية لم ينجز، ولم تبق منه سوى بعض
التخطيطات .

لقد انجز تولستوى مقاربة للمعضلة التي
يطرحها الادب الفلاحي : وذلك من خلال
" المحكيات الشعبية" التي كتبها الا عن
الفلاحين بل من اجلهم . فقد توصل تولستوى
، هنا ، حقيقة الى تشييد اشكال جديدة هي
بالرغم من انها تظل في بعض جوانبها
تقليدية ومرتبطة ببعض الاجناس الفولكلورية
مثل المثل الشعبي ، اشكال جد اصيلة بتحقيقها
الاسلوبي . غير ان هذه الاجناس الادبية
تستتبع اشكالا قصيرة ولا تؤدى الى الرواية
الفلاحية ، كما انها لا توصل الى الملحمة
الفلاحية . لذلك ابتعد تولستوى ، اكثر فاكثر
، عن الادب ، وصاغ رؤيته للعالم في شكل

Digitized by Birzeit University Library

المحاولة والمقالة والبحث ومنتخبات الاقوال المأثورة لمختلف المفكرين (افكار لكل الايام) الخ .. والاعمال الادبية حقا لهذه الفترة (موت ايفان البتش، سوناته لكرونرز الخ ..) كتبت حسب طريقته القديمة، لكن مع حضور راجح للنقد وللاتهام وللاخلاقية التجريدية. ذلك ان المعركة الحامية ، لكن بدون امل، التي خاضها تولستوى لاقامة شكل فني جديد انتهت دائما بانتصار الاخلاقي على الفنان: وجميع اعمال هذه المرحلة تحمل امارة هذا الصراع .

اذن، فان مشروع " بعث" ، آخر رواية لتولستوى، بزغ الى الوجود في الوقت الذى كان تولستوى يكافح بكل قواه من اجل اعادة توجيه اجتماعي للخلق الفني، ومنذئذ بدأ عملا طويلا وشاقا تتخلله ازمات .

ان "بعث"، بنيتها، تتميز جذريا عن روايات تولستوى السابقة، وبالنسبة للجنس الروائي، يجب ان تصنف على حدة، فاذا كانت " الحرب والسلام" يمكن ان تحدد باعتبارها رواية تاريخية وعائلية (مع توجه نحو الملحمة)، واذا كانت " آنا كارنينا" تنتمي الى الجنس النفسي والعائلي، فان "بعث" يجب ان تحدد بمثابة رواية اجتماعية ـ ايديولوجية . انها، بخصائصها النوعية، يمكن ان تصنف ضمن نفس خانة رواية " ما العمل؟" لتشيرنشيفسكي، ورواية " خطأ من ؟". واذا نظرنا جهة الادب الاوروبي، سندرجها ضمن جنس روايات جورج صاند. ان هذا النوع من الرواية يرتكز على اطروحة ايديولوجية متصلة بالتنظيم الاجتماعي مثلما هو مرغوب فيه، وكما يجب ان يكون . وانطلاقا من هذه الاطروحة، تخضع اشكال المجتمع والعلائق الاجتماعية، لنقد منهجي، وهو نقد تضاف اليه اما تدليلات مصوغة باعتبارات تجريدية او، احيانا، محاولات لتشخيص مثل اعلى طوبوى .

هكذا فان مبدأ تنظيم الرواية الاجتماعية ـ الايديولوجية، يوجد، لا في حياة الفئات الاجتماعية ـ كما هو الحال في الرواية الاجتماعية التي تصف هذه الحياة ـ ، ولا في الصراعات النفسية المتولدة عن العلائق الاجتماعية المحددة ـ كما في الرواية النفسية ـ الاجتماعية ـ ، بل يكون مبدأ تنظيم الرواية هو اطروحة ايديولوجية معبرة عن مثل اعلى اجتماعي واخلاقي من خلاله يتم التشخيص النقدي للواقع .

لذلك ، وباتفاق مع خصائص الجنس الذى تنتمي اليه رواية " بعث"، نجدها تتكون انطلاقا من ثلاثة عناصر :

١) النقد المنهجي لجميع العلائق الاجتماعية القائمة .

٢) تشخيص " الحالة" التي تكونها الحياة السابقة للبطل، اى البعث الاخلاقي لـ "نيكليودوف" و " كاتيا ماسلوفا ".

٣) التطورات العامة لوجهات نظر الكاتب الاجتماعية والاخلاقية والدينية .

صحيح ان هذه العناصر كانت حاضرة في الروايات السابقة لتولستوى، الا انها لم تكن تضطلع في تأليفها بسوى وظيفة ثانوية . وكانت الوظيفة الاساسية من نصيب عناصر اخرى : التشخيص التقييمي للحياة الغريزية ولحياة الروح في السياق الاجتماعي البطريركي والملاكي ، مع رجحان كفة الحياة العائلية،

Digitized by Birzeit University Library

وكذلك تشخيص الطبيعة وحياة " انسان الطبيعة ". لم يعد هناك من اثر لذلك في رواية " بعث" . ويكفي، للاقتناع بذلك ، ان نذكر بالدور الضعيف الذي يلعبه، في آنا كارنينا ، نقد الثقافة الحضرية والمؤسسات البيروقراطية والحياة العمومية ــ وهو نقد ينطق به في الرواية قسطنطين ليفين ــ ، والذي يتجلى ايضا من ازمة ليفين الاخلاقية، ومن بحثه عن معنى للحياة ! لكن في "بعث" نجد هذه التيمات التي ذكرناها ، وحدها ، تحدد بنية الرواية .

كل ذلك له عواقب على تأليف " بعث " التي هي ذات بساطة خاصة اذا قارناها بأعمال سابقة لتولستوى كانت تتميز بحضور عدة نوبات سردية مستقلة، مترابطة، فيما بينها داخل حبكة من خلال علائق صلبة وجوهرية. مثلا، في رواية " آنا كارنينا " : نجد عالم آل اوبلونسكي، وعالم كارنينا ، وعالم آنا وفرونسكي ، وعالم آل شتشرباتشكي، وعالم ليفين، وجميع هذه العوالم مقدمة تقريبا من الداخل، مع دقة وانتباه اصيلين . وحدها الشخوص الثانوية مقدمة من خلال البلورة الموشورية التي تؤلفها نظرة الابطال الاساسيين: البعض من تلك الشخوص منظور اليه من خلال ليفين، والبعض الاخر من خلال فرونسكي، وآنا ، الخ . بل ان شخصية مثل " كوزنيشيف " تكون احيانا موضوعا لحكي مستقل . وجميع هذه العوالم وثيقة الصلة فيما بينها ، ومندرجة في حزمة متضامة من الروابط العائلية ومن العلائق الجوهرية الاخرى . في " بعث " يتركز الحكي على " نيكليودوف" وحده، وجزئيا على كاتيا ماسلوفا . وجميع الشخوص الاخرى وبقية العالم ،تقدم من خلال رؤية ينيكليودوف .ان شخوص هذه الرواية ، باستثناء البطل والبطلة، ليست مترابطة فيما بينها ، ومامن شيء مشترك بينها سوى الدخول عرضا في علاقة مع نيكليودوف.

اذن، فان " بعث" ليست سوى سلسلة من اللوحات المشخصة للواقع الاجتماعي من زاوية نقدية عنيفة. والخيط الرابط بين هذه اللوحات هوالنشاط الخارجي والداخلي لنيكليودوف . وتفضي الرواية الى الاطروحات التجريدية للكاتب والتي يدعمها باستشهادات من الانجيل .

ولا جدال في ان نقد الواقع الاجتماعي، خاصة بالنسبة للقارئ اليوم، هو العنصر الاكثر اهمية والاكثر حملا للمعنى . ويهتم هذا النقد بمجال جد واسع ، اكثر اتساعا مما نجده في اية رواية اخرى من روايات تولستوى : انه يشمل (هنا ، في : " بعث") سجن بوتيركي بموسكو ، وسجون الانتقال في روسيا وسيبريا ، والمحكمة، ومجلس " السينا" ، والكنيسة والمصالح الدينية، وصالونات المجتمع الراقي ، والاجواء البيروقراطية ، والادارة العليا والمتوسطة، والمحامين الليبراليين، ورجال القانون ذوى النزعة المحافظة او الليبرالية، والاداريين على اختلاف درجاتهم : من الوزير الى حراس السجون، ونساء السهرات والبرجوازية، والبرجوازية الصغيرة بالمدن، وأخيرا، الفلاحين : كل ذلك مدمج، في تقديمه ، بالرؤية النقدية لـ : " نيكليودوف" وللكاتب نفسه. وبعض الفئات الاجتماعية ، مثل الانتلجنسيا الثورية والعمال، تظهر هنا لاول مرة ضمن العناصر المكونة لعالم تولستوى

Digitized by Birzeit University Library

الروائي . ان نقد الواقع عند تولستوى، موجه (مثلما هو الشأن عند سابقه الشهير جان جاك روسو في القرن الثامن عشر) ضد كل شكل من اشكال المواضعة الاجتماعة بما هي عليه، وضد كل ما استعمله الانسان لاخفاء الطبيعة وتمويهها . لاجل ذلك فان هذا النقد خال من كل تاريخية حقيقية .

تستهل الرواية برسم لوحة واسعة للمدينة التي تسحق الطبيعة وكل ما هو طبيعي في الانسان. ويقدم لنا الكاتب بناء المدينة والثقافة الحضرية على انهما محاولة اقترفها بعض مئات من الناس لتشويه قطعة الارض التي تكدسوا فوقها ، وذلك باخفائها وراء الاحجار حتى لا ينبت شيء عليها، منزعين جميع النباتات خانقين اياها بالفحم والبترول ، مقلمين الاشجار وطاردين جميع الحيوانات والاطيار . وحتى الربيع نفسه الذى تمكن من ان يعيد الحياة لما تبقى من الطبيعة ، لا يستطيع شيئا ضد ثخونة الكذب الاجتماعي وضد المواضعة اللتين ابتكرهما سكان المدن انفسهم ليمارسوا سلطتهم ، البعض على البعض ، وليتخادعوا وليعذبوا انفسهم .

هذه اللوحة الفخمة والفلسفية الخالصة التي رسمها تولستوى للربيع في المدينة ، ولصراع الطبيعة ضد الثقافة الحضرية المتعفنة ، لا تقل في شيء عن افضل الصفحات التي كتبها روسو، وذلك لكثافتها وقوتها المقتضبة، وجرأة مفارقاتها . انه يعطينا ، دفعة واحدة، نبرة الفضح الذى سيتلو والمتصل بجميع المبتكرات البشرية : السجن، العدالة، الحياة الاجتماعية الخ .. وكما هو الحال دائما عند تولستوى، فان الحكي ينتقل، مباشرة من المستوى الاكثر اتساعا وتعميما ، الى مستوى التفاصيل الاكثر دقة مع التسجيل المضبوط لاصغر الاشارات، ولاتفه افكار الناس ومشاعرهم وكلامهم. والانتقال المفاجئ والمباشر من العام الى الخاص، هو احد مميزات فن تولستوى، لكننا نجد استعماله في "بعث" اكثر لفتا للنظر اعتبارا الي ان التعميم فيها اكثر تجريدا واكثر فلسفة، والتفاصيل اكثر صغرا وجفافا .

وتشخيص العدالة في هذه الرواية، هو موضوع تشييد على جانب متميز من الدقة والعمق. والصفحات المخصصة له هي اقوى صفحات الرواية . فلنفحصها بانتباه اكبر .

ان الاستشهادات المأخوذة من الانجيل والموضوعة في صدر الجزء الاول من الرواية على شكل فكرة توجيهية ،تكشف لنا اطروحة تولستوى الاساسية: من غير المقبول ان يتولى انسان الحكم على انسان آخر واداناته . وهذه الاطروحة يدلل عليها الموقف الجوهرى في الرواية : نيكليودوف الذى وجد نفسه في موضع المحلف اى في موقف القاضي خلال محاكمة ماسلوفا ، هو في الواقع مسؤول عن سقوطها وضياعها . ومشهد المحاكمة، كما تصوره تولستوى، يوضح كذلك ان لا احد من القضاة المجتمعين في هذه المحاكمة مؤهل لممارسة هذه الوظيفة : الرئيس وعضلته ذات الرأسين ، وهضمه الجيد وعلاقته الغرامية باحدى الخدم، والقاضي المحترز ذو النظارة المحفوفة بالذهب ،والمزاج المتعكر بسبب خصومته مع زوجته ــ مما يؤثر في سلوكه داخل المحكمة ــ ، ثم القاضي الشجاع المتالم من نزلة بمعدته ، ووكيل النيابة ، المهنوى البليد المدعي، واخيرا المحلفون الذين هم

Digitized by Birzeit University Library

ادنياء ومتباهون ، متبجحون بأنفسهم ، معتزون بثرثرتهم العقيمة . لا احد يمكنه ان يكون موءهلا ليحكم ، لان الحكم ، في حد ذاته ، ومهما كان ، ما هو الا من ابتكار الناس، وهو ابتكار غاو وكاذب. ايضا فان مسطرة الحكم نفسها كاذبة وخالية من المعنى، وكذلك كل ذلك التقديس الاعمى للشكليات والمواضعات التي تدفن تحتها الطبيعة الحقيقية للانسان.

هذا هو ما يقوله لنا تولستوى المفكر الايديولوجي . الا ان تشخيص المحاكمة ، تلك اللوحة المنجزة بمهارة فائقة، يقول لنا ايضا شيئا آخـر .

ما هو ، اذن، ذلك الشيء الذى قيـل لنـــا ؟.

في الواقع ، يتعلق الامر بمحاكمة للعدالة ،محاكمة لها حوافزها وقدرتها على الاقناع. انها محاكمة طبقة النبلاء مجسدة في نيكليودوف ، ومحاكمة القضاة البيروقراطيين والمحلفين البورجوازيين الصغار، واخيرا محاكمة المجتمع الطبقي والاشكال الخادعة لـ " العدالة " التي ولدتها هي بنفسها. ان اللوحة التي رسمها تولستوى امامنا انطلاقا من تفكير اجتماعي عميق ومقنع ، ما هي الا ادانة للعدالة الطبقية في سياق الواقع الروسي خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر (١٨٨٠). ومثل هذه المحاكمة الاجتماعية تتوفر على اسسها وعلى حوافزها : انه ليس حكما اخلاقيا موجها لانسان مجرد، بل حكم اجتماعي موضوعه العلاقات القائمة على الاستغلال وايضا الاشخاص المجسدون له : المستغلون ، والبيروقراطيون الخ .. وفكرة مثل هذه المحاكمة تعدو اكثر وضوحا واقناعا من خلال خلفية التشخيص الفني التي ينسجها تولستوى

ان مجموع عمل تولستوى مطبوع في العمق ، برسم المحاكمة الاجتماعية لكن ايديولوجيته المجردة لا تعرف سوى الحكم الاخلاقي الموجه للنفس، وعدم مقاومة الشراالاجتماعي . وهذا احد التناقضات الخطيرة عند تولستوى الذى لم يتوصل قط الى تجاوزه ، والذى يظهر جليا في هذه المحاكمة الاجتماعية للعدالة التي قمنا بتحليلها . فالتاريخ وجدليته، ذلك النفي الذى هو داخل التاريخ، نسبي فقط، وفيه يوجد الاثبات ، هو شيء غريب عن طريقة تفكير تولستوى . لذلك فان نفيه للعدالة بما هي عليه، هو نفي مطلق ، واذا، دون مخرج ، وغير جدلي ، انه نفي متناقض .

غير ان رؤيته وتشخيصه الفني هما اكثر عمقا : فتولستوى، مع رفضه للعدالة الطبقية وللبيروقراطية ، يدافع عن مبدأ عدالة مضادة، عدالة اجتماعية واعية وليست شكلية ،يعلنها المجتمع ذاته وباسمه الخاص .

ان فضح المعنى الحقيقي ــ او بالاحرى عبثية ــ كل ما يتم خلال المحاكمة، قد انجز بواسطة طرائق فنية محددة جيدا ، ولا تظهر لاول مرة في رواية " بعث " بل هي تميز مجموع اعمال تولستوى السابقة. انه يقدم لنا هذا الفعل اوذاك وكأنه يتبنى وجهة نظر رجل يتأمل ذلك الفعل لاول مرة ولا يعرف شيئا عن غايته، وبالتالي فهو لا يدرك سوى المظهر الخارجي للفعل مع جميع التفاصيل المادية، ان تولستوى عندما يصف فعلا ما، يتحاشى، بعناية، الكلمات اوالعبارات التي الفا استعمالها للدلالة عليها .

والى جانب هذه الطريقة في التشخيص، تضاف طريقة اخرى مرتبطة بها ارتباطا وثيقا

Digitized by Birzeit University Library

وتكملها ، ومن ثم فهي دائما تستعمل بقران معها : انه عندما يصف المظهر الخارجي لهذا الفعل الاجتماعي او ذاك ، او لسلوك متواضع عليه ـ مثلا ، اداء القسم ، افتتاح المحاكمة ، قراءة الحكم . الخ .. ، يبرز دائما مشاعر الشخوص التي تنجز هذه الافعال . الا انه يحدث ان تكون هذه المشاعر ، في كل مرة ، بدون علاقة مع الافعال ، وتكون غريبة تماما عنها ، وكثيرا ما تنتمي لاهتمامات مادية او فيزيقية متدنية . هكذا ، نجد ان احد اعضاء المحكمة بينما كان يصعد درجات سلم المحكمة باعتزاز امام الحضور الذين وقفوا احتراما راح يجهد ذهنه ليخمن ، حسب عدد الخطوات المتبقي له ، ما اذا كان العلاج الجديد لنزلته المعدية سيكون ناجعا . وبذلك تكون الاشارة ، نوعا ما ، منفصلة عن الشخص الذي ينجزها وتصبح قوة آلية مستقلة عن الناس وخالية من المعنى .

هناك ، في الاخير ، طريقة تعبيرية ثالثة تضاف الى الاوليين . ان تولستوى لا يكف عن اظهار كيف ان هذه الشكلية الاجتماعية الالية ، المفصولة عن الانسان والمفرغة من معناها ، ينتهي بها الامر الى ان يستعملها الناس لارضاء مطامحهم الدنيئة وشرهم الاناني لذلك يكون واضحا ان المستفيدين يفعلون كل شيء .

حفاظا ودفاعا عن هذه الاشكالية الجثية . هكذا ، فان اعضاء المحكمة ، فيما هم منشغلون بافكار ومشاعر غريبة تماما عن مسطرة الحكم الوقورة ، وعن براثنهم المزركشة ، كانوا يستشعرون مع ذلك ارتياحا متباهيا لكونهم اشخاصا هامين ومحترمين ، وايضا لارتباطهم الشديد بالامتيازات التي توفرها لهم الوظيفة التي يمارسونها .

فتولستوى ينتهج دائما الطريقة نفسها عندما يريد ان يعرى التضليل ، وبخاصة في المشهد المعروف ، مشهد القداس الديني المقام في السجن .

عن طريق فضحه للطابع المتواضع عليه ولعبثية الطقوس الدينية والحفلات الاجتماعية والاشكال الادارية الخ .. ، يتوصل تولستوى الى النفي المطلق لجميع المواضعات الاجتماعية كيفما كانت . وهنا ايضا تكون اطروحته خالية من كل عنصر جدلي تاريخي . ان ما يشخصه ويعريه هو المواصعات المغلوطة التي فقدت استاجيتها الاجتماعية والتي تحافظ عليها الطبقات الحاكمة لصالح استدامة السيادة الطبقية . والواقع ان المواضعات الاجتماعية يمكن ان تكون منتجة ، وهي في الوقت ذاته الشروط اللازمة للتواصل . ثم ، اليس الكلام البشرى ، الذى كان تولستوى يعرف استعماله بفن متميز ، هو نفسه ، في نهاية التحليل ، اشارة اصطلاحية متواضعاً عليهـــا ؟ .

ان نهيلية تولستوى هذه ، التي تؤول الى نكران كل ثقافة انسانية باعتبارها اصطلاحية ومبتكرة من الناس ، هي نهيلية مرتبطة بكون تولستوى لا يعرف الجدلية التاريخية التي لا تدفن الموتى الا عندما يكون الاحياء قد جاؤوا لتعويضهم . ان تولستوى لا يرى سوى الموتى ، ويخيل اليه ان حقل التاريخ سيظل فارغا ، فيصره مركز على ما يتفتت ويتحلل ، وعلى ما لا يستطيع ولا يجب ان يظل قائما : انه لا يبصر سوى علائق

Digitized by Birzeit University Library

الاستغلال وما يتولد عنها من اشكال اجتماعية لكن الاشكال الايجابية التي تبلغ النضج داخل حقل المستغلين الذين ينظمون صفوفهم بسبب الاستغلال ذاته، تظل مجهولة من جانب تولستوى الذى لا يحس ولا يرى من بها. ولانه يتوجه الى المستغلين وحدهم، فان تبشيره يكتسي طابعا سلبيا بالحتم : يتخذ شكل المحرمات القطعية والنفي المطلق بدون جدليـــة .

ولهذا السبب ايضا يفضح تولستوى في روايته الانتليجنسيا الثورية وممثل العالم العمالي . هنا كذلك لا يرى سوى الزيف والمواضعة والابتكار الانساني، ولا يدرج سوى التناقض بين الاشكال الخارجية والعالم الداخلي ، واستعمال هذه الاشكال المبتة من اجل غايات مصلحية وأنانيـــة .

نورد ، للتدليل على هذه الملاحظة، وصف تولستوى لـ " فيرا بوكودوكوفسكايا "، عضو الحركة الثورية " ارادة الشعب"، ويجرى المشهد داخل السجن : " سألها نيكليودوف كيف وقعت في الاسر، وسرعان ما اخذت تحدثه بذلاقة لسان عن عملها الثوري . وكان حديثها يزدحم بالكلمات الاجنبية عن الدعاية والتخريب، والجماعات والفروع والفروع التابعة .. كانت، بطبيعة الحال، مقتنعة بأن الجميع يعرفون هذه الاشياء التي لم يكن نيكليودوف قد سمع عنها قط".

ففي مقابل العالم الطبيعي والاصيل للفلاح مينشوف، نجد هنا العالم الاصطلاحي الاصطناعي الفارغ للمناضلة الثورية .

أما القائد الثوري، فان الصورة التي يرسمها له تولستوى، اكثر سلبية: فبالنسبة لـ " نوفود فوروف" ليس العمل النضالي والمسوء ولبات على رأس الحزب، والافكار السياسية نفسها، سوى وسيلة لارضاء طموح جامـــح .

والمناضل العامل ماركيل كوندراتييف ، الذى يقرأ بمواظبة الجزء الاول من كتاب الرأسمال، والذى يتعلق باستاذه نوفود فوروف ، فانه يصبح، من خلال تصوير تولستوى لشخصيته، محروما من استقلال الفكر : فعنده تيمية ثقافية تجعله يخضع بدون تحفظ لنظرية علمية اصطلاحية من ابتكار الناس .

على هذا النحو يصوغ تولستوى نقده والمبدأ الذى يعتمده لتمييز جميع الاشكال الاصطلاحية للتواصل الاجتماعي : انها اشكال ابتكرها سكان المدن " لتعذيب انفسهم ولتعذيب الاخرين". وحسب رأى تولستوى ، فان القائمين على هذه الاشكال الاستغلالية، مثلهم مثل الثوريين الذين يحاولون تحطيمها ، هم ايضا عاجزون عن الخروج من حلقة المواضعة المغلقة ومن دائرة الاصطناع واللا جدوى . في هذا العالم ، كل نشاط، سواء كان اصطلاحيا او ثوريا، هو كاذب على حد سواء ، وهو سيء وغريب عن طبيعة الانسان الحقيقيـــة .

ماذا نجد في رواية " بعث" من عناصر مخصصة لتعديل هذا العالم القائم على الاشكال والعلائق الاجتماعية المتواضع عليها؟

في الاعمال السابقة لتولستوى، كانت تتولى هذه الوظيفة " التعديلية" ، الطبيعة، والحب، والزواج، والاسرة، والانجاب، والموت، وصعود اجيال جديدة، ونشاط عائلي قوى . اما في " بعث " فاننا لا نجد شيئا من

Digitized by Birzeit University Library

ذلك، حتى الموت في عظمته الحقيقية لا نجده هنا . ففي مواجهة العالم الاجتماعي المرفوض ، ينتصب معارضا، عالم الابطال الداخلي، عالم نيكليودوف وكاتيا، بعنهم الاخلاقي ، وكذلك تبشيرية الكاتب التي تقوم حصرا على النفي والمحرم .

كيف يفعل تولستوى لاظهار كل ذلك ؟.

في هذه الرواية الاخيرة، لا نجد مطلقا تلك اللوحات القوية عن حياة الروح باندفاعاتها الداخلية القاتمة وبشكوكها وترددانها، بصعودها وسقطاتها ، بتقلباتها بين الاحساس والمزاج .. وباختصار، لا نجد كل ما كان تولستوى يتناوله عندما كان يقدم الحياة الداخلية لاندريه بولكونسكي، وبيير بيسوكوف، ونيكولا روستوف، وحتى لشخصية ليفين . فبالنسبة لنيكليودوف ، يلجأ تولستوى الى احتراس وجفاف استثنائيين، فليس هناك سوى الصفحات المخصصة لنيكليودوف الشاب، التي كتبت حسب الطريقة القديمة (حبه الاول وهو مراهق لكاتيا ماسلوفا). اما سيرورة البعث الداخلية فانها، عمليا، غير مصورة : انه يعوض وقع الروح الحي بعرض جاف عن الدلالة الاخلاقية لانفعالات نيكليودوف. ويظهر الكاتب متعجلا في الانتقال بسرعة من واقع الحياة الاخلاقية التجريبي ـ الذى لم يعد محتاجا اليه واصبح الان كريها في نظره ـ الى الاستخلاصات الاخلاقية ، والصيغ ، ثم ينتقل مباشرة الى نصوص الانجيل نفسها . ويكفي ان نتذكر، في هذا الصدد، تلك الفقرة من مذكرات تولستوى حيث يبوح باشمئزازه من الحديث عن حياة نيكليودوف الداخلية، وبالاخص عن قرار هذا الاخير بالزواج من ماسلوفا، وفي تلك الفقرة، يعلن تولستوى نيته في ان يقدم مشاعر وحياة بطله : " مع استنكارها والاستهزاء بها ". الا ان تولستوى لم ينفذ التزامه بخصوص هذه النقطة الاخيرة ، فهو لم يتمكن من ان ينفصل كفاية عن شخصية بطله ليهزأ منه، لكن الاشمئزاز الذى كان يستشعره منعه من ان يسترسل في وصف حياته الداخلية وارغمه على "تجميد" ما كان يجب ان يقوله عنها . ان تولستوى ، برفضه ان يحب بطله، لم يستطع ان يجد الكلمات الحقيقية لتقديمه. ففي كل الصفحات نجدأن حصيلة الانفعالات والتجارب الاخلاقية التي سطرها الكاتب، تكبت وتعوق اندفاعاتها الحيوية، كما تخفي منها ما لا يمكن اختزاله في صيغ اخلاقية .

كذلك فان حياة كاتيوشا الداخلية مقدمة بطريقة جافة ومتحفظة، من وجهة نظر الكاتب، لا من وجهة نظر كاتيوشا نفسها . على ان هذه الشخصية الاخيرة هي التي كان من المفروض ان تلعب الدور الاساسي في الرواية . فقد كان تولستوى يجد ان نموذج "النبيل النائب" ، أى شخصية نيكليودوف ، يبدو له مضحكا تقريبا . وليس مجرد صدفة اذا كان يتحدث ، في مذكراته، عن ضرورة ادخال الاستهزاء في تقديم شخصية نيكليودوف. وجميع مظاهر السرد الايجابية كانت ستتركز على كاتيوشا التي كان عليها، وبامكانها ، ان تلقي ظلا على الصراع الداخلي عند نيكليودوف، وعلى توبته حتى يبدو وكأنه " معضلة الخالق ". تقول كاتيوشا لنيكيودوف عند رفضها طلب زواجه منها : " تريد ان تستعملني من اجل خلاصك. لقد حصلت على متعتك مني في هذه الحياة، وتريد ايضا ان تنقذ، بفضلي، روحك في العالم الاخر ".

Digitized by Birzeit University Library

ان كاتيوشا، هنا ، تبرز بدقة وعمق ، الانانية الغالبة على " النبيل التائب" ، واهتمامه المقصور على " اناه"، فليس لصراع نيكليودوف الداخلي من غرض ، في نهاية الامر، سوى " اناه" الخاص . ان الاهتمام المحصور في ذاته هو الذي يحدد جميع انفعالاته وأفعاله، كما يحدد ايديولوجيته الجديدة. فالعالم اجمع ، والواقع بكل ما يشتمل عليه من شراجتماعي، ليس لها في نظره، وجود في حد ذاتهما ،بل فقط باعتبارهما يتصلان بمعضلتهالداخلية : انه يريد استعمالهما ليظفر بخلاصة .

أما كاتيوشا فانها لا تعرف التوبة، وليس ذلك فقط لانها ما دامت هي نفسها ضحية لا يكون لها سبب يحملها على التوبة، بل كذلك وبالاخص، لا تستطيع ولا تريد ان تحصر التفكير في "أناها " الخاصة . انها لا تنظر الى نفسها ، وانما تنظر الى ما حولها والى العالم المحيط بها .

نعثر في مذكرات تولستوى على الملاحظة التالية :

(في كونفيسكايا) بعد البعث ، تعلو محيا كاتيوشا ، في بعض اللحظات ، ابتسامات ماكرة، كسولة، وكأنها قد نسيت كل ما كانت تعتبره من قبل بمثابة الحقيقة : ان لديها رغبة في ان تعيش،وفي ان تكون سعيدة ".

ومن اسف ان هذا الشعار المتوفر على قوة وعمق استثنائيين ، قد ظل في مستوى التخطيط الاولي داخل الرواية . على ان كاتيوشا غير قادرة على ان تطيل الحديث عن بعثها الداخلي، ولا على ان تركز اهتمامها حول الحقيقة السلبية تماما التي جعلها تولستوى تكتشفها. انها ترغب فقط في ان تعيش . وباستطاعتنا ان نفهم بسهولة لماذا لم يستطع تولستوى ان يحصر في شخصية ماسلوفا لا ايديولوجيا الرواية ولا نقده المطلق ، ولا نفيه للواقع . ذلك ان هذه الايديولوجيا ، ومطلقية النقد (نقد يمكن القول عنه انه ليس طبقيا) قد نمتا بالضبط في كنف احادية التصور لدى" النبيل التائب" . من ثم لزم ان يكون نيكليودوف هو مبدأ تنظيم الرواية، وبالتالي فان تقديم كاتيوشا جاء بالحتم جافا ومختزلا، وما كان له ان يتكون الا على ضوء اهتمامات نيكليودوف .

لننتقل الان الى النقطة الثالثة : الاطروحة الايديولوجية التي تنتظم الرواية انطلاقا منها .

ان الوظيفة المعمارية، لهذه الاطروحة، واضحة ،على الاقل من خلال كل ما سبق قوله. فليس هناك قطعا شيء في الرواية يكون محايدا بالنسبة للاطروحة الايديولوجية. ان تولستوى لم يعد يسمح لنفسه، كما في "الحرب والسلام" و" آنا كارنينا" ، بأن يظهر الناس والاشياء فقط لذاتها ، بل ان كل كلمة وكل صفة، وكل مقارنة، تعود مباشرة الى هذه الاطروحة الايديولوجية. وليس فقط ان الكاتب لا يخشى ان يكون متحيزا ، بل هو يبرز هذا التحيز في كل تفصيلة وفي كل كلمة من روايته، مع جرأة أدبية استثنائية تكاد ان تغدو تحديا .

ويكفيني ، للاقتناع بما قلناه، ان نقارن مشهد استيقاظ نيكليودوف في الصباح، واغتساله وتناوله لفطوره (في الفصل الثالث) ، مع مشهد آخر يشبهه تماما في المضمون، وهو مشهد استيقاظ اوبلونسكي في رواية آنا كارنينا .

Digitized by Birzeit University Library

في "آنا كارنينا"، كل تفصيلة من هذا المشهد، وكل صفة، لها وظيفة تشخيصية خالصة : فالكاتب يقدم لنا شخصيته الروائية وكذلك الاشياء المحيطة بها ، ثم يسترسل ، بدون خلفية، في متعة التشخيص، وتأتي قوة ونكهة هذا التشخيص من كون الكاتب يتلذذ بوصف شخصيته الروائية وبوصف فرحها بالحياة وطراوتها ،وايضا من كونه يحب الاشياء المحيطة بهذه الشخصية .

أما في مشهد استيقاظ نيكليودوف (في رواية " بعث") فانه لم تعد للكلمة وظيفة تشخيصية، بل انها تستعمل للفضح والاتهام والندم. من ثم فان التشخيص ، في مجمله ، خاضع لهذه الوظيفة .

نورد بداية المشهد :

" في الوقت الذى كانت فيه ماسلوفا ، المنهوكة من طول المسافة ، تقترب من المحكمة مرفوقة بحرسها ، كان حفيد الآنستين العانستين، نفسه ذلك الذى فتنها ، الامير دمترى ايفانوفيتش نيكليودوف ، ما يـزال ممددا فوق لحاف الريش لسريركبير له نوابض كان قد فك ازرار ياقة قميصه المصنوع من كتان هولنده والذى ثنيت مقدمته بالمكواه الحديدية .. وكان يدخن سيجارة ".

فاستيقاظ " الفاتن " في غرفة نوم مترفة ، فوق سرير مريح، يقابل هنا مباشرة، صباح ماسلوفا في السجن والمسافة الشاقة التي يتحتم عليها ان تقطعها لتصل الى المحكمة. هكذا فان الطابع المتحيز للتشخيص بارز منذ الوهلة الاولى ، ومحدد للمبدأ الذى سيتحكم في اختيار التفاصيل والنعوت : كل شيء في الرواية يجب ان يخدم هذا التعارض الكاشف.

فالنعوت التي تميز سرير نيكليودوف (مرتفع ،فوق نوابض، مغطى بريش) وقميصه (مستورد من هولنده، نظيف ، له صدرة مكوية بعناية : يا للعمل الذى يتطلبه انجاز كل ذلك !) ، جميعها خاضعة لوظيفة النقداالاجتماعي المبرزة بفظاظة . والواقع اننا لا نجد، هنا ، تشخيصا بل فضحـــا .

وبقية الفقرة متناولة بنفس الطريقة. فنيكليودوف يغسل بالماء البارد " جسمه المفتول العضلات، الملتحم" ، وملابسه مكوية وطرية، وحذاءه : " يلمع كأنه مرآه". في كل موضع، يبرز الكاتب كمية الشغل التي يستلزمها اقل عنصر من عناصر هذه الرفاهية ، وبالاخص من خلال تكراره لكلمات : مهيأ ، منظم " كان حمامه مهيأ" و " كانت ملابسه منظفة ومهيأة" ، " والبلاط لمعه امس ثلاثة فلاحين " الخ .. يغدو الامر وكأن نيكليودوف كان يكتسي من ذلك العمل الذى يبذله رجال آخرون : والهواء الذى يستنشقه مشبع بشغل الاخريـــن ـ

اذن ، يكشف التحليل الطابع المتميز، الملحوظ في كل لحظة، لاسلوب تولستوى. وواضح ان الاطروحة الايديولوجية لها قيمة محددة في تكوين الاسلوب ، ومعمارية الرواية ، في مجموعها ، تتحدر ايضا منها. يكفي ان نتذكر، بهذا الصدد ، الطرائق المستعملة لتشخيص المحاكمة : فوظيفتها الوحيدة هي اظهار ما هو غير مقبول في كل حكم يوجهه انسان لانسان آخر . ومشاهد المحاكمة، والقداس الديني الخ .. مؤلفة وكأنها حجج لصالح بعض مواقف الكاتب الايديولوجية. واذن ، فان كل تفصيلية من الوصف خاضعة لهذه

Digitized by Birzeit University Library

الوظيفـــة .

لكن ، بالرغم من طابع الرواية المتميز كثيرا ، فانها ليست مملة ولا خالية من الحياة فقد استطاع تولستوى ان يتوصل الى بناء رواية اجتماعية ـ ايديولوجية بمهارة فائقة . بل ويمكن القول بأن " بعث " هي النموذج الاكثر اكتمالا وتحققا لهذا النوع من الرواية ، ليس فقط في الادب الروسي بل كذلك في الادب الاوروبـــي .

ما قمنا به ، لحد الان ، هو تحليل دلالة الاطروحة الايديولوجية على المستوى الشكلي والفني ، وسننتقل الان الى تحليل مضمون هذه الاطروحة .

لا يتسع المجال هنا للدخول في تفاصيل فلسفة تولستوى الدينية ومفاهيمه الاجتماعية والاخلاقية . لذلك فاننا لن نتناول الا بايجاز شديد محتوى الاطروحة الايديولوجية الفاعلة داخل الرواية .

تبتدئ " بعث " بنصوص مأخوذة من الانجيل (العبارة التوجيهية) ، وتنتهي بنفس الطريقة (قراءة نيكليودوف للانجيل) . وجميع هذه النصوص تصلح لتدعيم فكرة جوهرية : لا يجب ان نحكم على الاخر ، ولا ان نفعل اى شيء لمكافحة الشر القائم . وعلى الناس ، الذين ارسلوا الى العالم بارادة الله ـ سيد الحياة ـ ، باعتبارهم عاملين ، ان ينجزوا ارادة المولى . وهذه الارادة نفسها هي التي تتجلى في الوصايا التي تحرم كل انتهاك يمارس ضد اى انسان . ان الانسان لا يستطيع ان يفعل شيئا سوى في نفسه او في " اناه " الداخلية (البحث عن مملكة الرب الموجودة فينا) ، والبقية تأتي فضلا عن ذلـك .

وعندما تنكشف هذه الفكرة لنيكليودوف ، في الصفحات الاخيرة من الرواية ، فانه يدرك بوضوح كيف يقهر الشر الذى يرين في كل مكان ، والذى كان هو شاهدا عليه منذ بداية الرواية : انه لا يمكن التغلب على الشر الا عن طريق التخلي عن الفعل ، وعدم المقاومة : .

" على هذا النحو ادرك الوسيلة الفعالة للكفاح ضد جميع الشرور المرعبة التي يتألم منها الناس : ان عليهم ان يعتبروا انفسهم دائما مجرمين امام الله ، ونتيجة لذلك فانهم ليسوا مؤهلين مطلقا لتقويم اعوجاج اشباههم اصبح يرى بوضوح ، منذ الان ، ان الشرور المرعبة التي كان شاهدا عليها في السجون

وفي المعتقلات ، وكذلك الوثوق المطمئن لاولئك المسؤولين عنها ، انما مصدرها الوحيد ، ان هؤلاء الناس كانوا يريدون القيام بالمستحيل : اذ كيف يمكن ان نصلح الشر عندما نكون شريرين ؟" .

كان نيكليودوف يقول في نفسه : " حقا ، من المستحيل ان يكون الامر بمثل هذه البساطة ، الا انه ، ومهما بدا له ذلك غريبا في اول الامر ، لاعتياده على التفكير بعكس لذلك ، فقد كان يحس بأن هذه الكلمات تحمل حلا للمعضلة نظريا وعمليا . اما عن المسألة الخالدة المتصلة بالسلوك الذى يجب اتباعه مع المجرمين ، فانها لم تعد ، منذ الان ، تقلقه " .

تلك ، اذا ، هي الايديولوجيا التي تنظم رواية " بعث " . وكون هذه الايديولوجيا تتجلى ، لا مصوغة في قول تجريدى عن الاخلاق او الفلسفة الدينية ، بل من خلال تشخيص يعتمد على وقائع من الواقع الملموس

Digitized by Birzeit University Library

ومن حياة نيكليودوف اليومية بكل مميزاتها الاجتماعية، هو ما يبرز بوضوح جذورها الاجتماعية والنفسية .

كيف تطرح حياة نيكليودوف السؤال الذى تجيب عليه ايديولوجيا الرواية ؟ في الواقع، فان ما يسبب، دفعة واحدة، الام نيكليودوف وقلقه، ليس هو الشر الاجتماعي في حد ذاته ،وانما مساهمته الشخصية في هذا الشر . وحول هذه المسألة المتصلة بالمساهمة الشخصية في الشر الرائن على المجتمع ، تتركز وساوس وهموم نيكليودوف . كيف يمكن وقف هذه المساهمة ؟ كيف يتحرر من هذا الرفاه الذى يكلف الاخرين جهودا كبيرة ؟ كيف يتخلص من الملكية العقارية المرتبطة باستغلال الفلاحين ؟ كيف يتحرر من التزامات الحياة العمومية التي تسهم في تدعيم الاستعباد، وبالاخص : كيف يكفر عن سلوكه المشين وخطئة تجاه كاتيوشا ؟.

ان مشكلة المساهمة الشخصية في ارتكاب الشر، تخفي مشكلة الشرذاته باعتباره واقعا موضوعيا ، وتجعل منه شيئا ثانويا ومنفرعا بالنسبة الى مشكلة التوبة الشخصية ، وكمال النفس. فالواقع الموضوعي، بمشاكله الملموسة ، يغدو وكأنه ذائب وممتص من جانب المشكلة الفردية والذاتية للتوبة وللتطهير ، والبعث الاخلاقي . فهناك ، من اول وهلة ، تعويض قدرى لمشكلة الشر الموضوعية بمشكلة المساهمة الشخصية في ارتكاب الشر .

وعلى هذا السؤال الاخير، تدقيقا ، تجيب ايديولوجيا الرواية ، كما ان الطريقة نفسها التي طرحت من خلالها المعضلة تنتهي الى ان تظل الايديولوجيا محصورة في المستوى الذاتي وكأنها معضلة شخصية . انها تشير على المستغل التائب بمخرج ذاتي، وتدعو الاخرين الى التوبة. في حين ان مسألة المستغلين لم تحظ حتى بالطرح :انهم سعداء لانهم ابرياء ولا يستطيعون ان يثيروا سوى الحسد .

بينما كان تولستوى يعمل في انجاز روايته ، وفي نفس الوقت الذى كان يحاول ان يزحزح مركز الثقل نحو كاتيوشا، كتب يقول في مذكراته :

" تنزهت اليوم قليلا. زرت قسطنطين بيلوف ، انه يبعث على الشفقة . ثم اخترقت القرية : عندهم الامور حسنة وعندنا في بيتنا هناك العار ".

ان الموجيك فقراء ، مرضى لكنهم سعداء لانهم لا يخجلون من شيء . ونحن نجد ان مذكرات تولستوى ومراسلاته ، خلال هذه الفترة، يخترقها خط الغيرة الاحمر تجاه اولئك الذين لا يحسون بالعار في هذاالعالم ، الخاضع لسيطرة الشر الاجتماعي .

فايديولوجيا " بعث" موجهة الى المستغلين ، وهي قد تكونت انطلاقا من المشاكل التي طرحت على ممثلي طبقة حاصرتهم التوبة، طبقة سائرة الى التدهور وفي قمة تحللها : طبقة النبلاء . من ثم فان هذه المشاكل خالية من كل منظور تاريخي . وممثلو هذه الطبقة لا يتوفرون على نقطة ارتكاز صلبة في العالم الخارجي، انهم بدون مهمة تاريخية ينجزونها، ولذلك فانهم يحصرون اهتمامهم في شخصهم الخاص وفي مشاكلهم الداخلية . صحيح ان ايديولوجيا تولستوى التجريدية تشتمل على عناصر جوهرية كانت

Digitized by Birzeit University Library

تقربها من طبقة الفلاحين، الا ان هذه المظاهر لم يتم ادماجها في الرواية باعتبارها مبادئ للتنظيم الداخلي ،فهذا التنظيم يبقى متمحورا حول شخص النبيل التائب الذى هو نيكليودوف .

هكذا يكون لدينا ، في اساس بناء الرواية ، سؤال تولستوى لنيكليودوف : " كيف استطيع ، انا الفرد المنتمي الى الطبقة السائدة ،ان اتحرر بمفردى من المساهمة في الشر الاجتماعي ؟" والجواب على هذا السؤال هو التالي :

" كف عن المساهمة فيه داخليا وخارجيا ، ولاجل ذلك يجب ان تطيع وصايا سلبية تماما ".

لقد كان بليخانوف محقا عندما وصف ايديولوجيا تولستوى كما يلي :

" بعد ان عجز تولستوى عن ان يعوض ، في حقل رؤيته، المستغلين بالمستغلين او بتعبير آخر، عجز عن ان ينتقل من وجهة نظر بعضهم الى وجهة نظر الاخرين ، فانه اضطر، بطبيعة الحال ، الى ان يوجه جهوده نحو التقدم الاخلاقي للمستغلين وذلك بحثهم على ان يتخلوا عن افعالهم السيئة . لذلك اكتسى تبشيره الاخلاقي طابعا سلبيا ".

ان الشر الموضوعي الموجود في نسق اجتماعي قائم على انقسام الطبقات ـ والذى قدمه تولستوى بقوة فائقة ـ تؤطره في هذه الرواية رؤية ذاتية لممثل طبقة مدانة تاريخيا ويحاول ان يعثر على مخرج بالتوجه نحو اللافعل التاريخي الموضوعي .

نختم هذا التحليل ببضع كلمات عن دلالة رواية " بعث "لدى القارئ المعاصر .

لقد رأينا كيف ان النقد هو الذى يشكل اللحظة المهيمنة في هذه الرواية ، ورأينا كذلك ان المبدأ المولد للشكل في هذا التشخيص النقدى للواقع يكمن في الكلام التفخيمي عن الحكم ، حكم نشيط وصارم جماليا . وان بروز هذا الشخيص هو اكثر قوة وثورية من حرارة التوبة والغفران واللامقاومة ، وهي المقولات التي تلون صراعات الشخوص الداخلية والاطروحات الايديولوجية او التجريدية الملتفظ بها في الرواية .

ان عناصر النقد الاجتماعي هي التي تمثل اهميةهذه الرواية . والطرائق الفنية التي انجزها تولستوى في عمله هذا ، تظل حتى اليوم ، نموذجية وغير متجاوزة .

ومنذ فترة من الزمن ، يعمل الادب السوفياتي باصرار، على تشييد اشكال جديدة للرواية الايديولوجية والاجتماعية التي هي ، بدون شك ، الجنس الادبي الاكثر اهميةوحالة في الادب المعاصر . ان الرواية الاجتماعية والايديولوجية الرواية المتحيزة اجتماعيا هي، في نهاية الامر ، شكل ادبي مشروع كل المشروعية . وان رفض اعتبار هذه المشروعية رفضا استتيقيا خالصا ، لهو حكم مسبق ساذج خاص بنزعة جمالية مصطنعة حان الاوان لتجاوزها . لكن يجب علينا ان نقبل كون هذا الشكل هو احد الاشكال الاكثر صعوبة ومخاطرة في مجال الرواية . فليس هناك اكثر اغراء من اختيار طريق ابسط مجهود : اى ان يتخلص المرء من المشكلة بواسطة الايديولوجيا (عن طريق اختيار توجيه ايديولوجي جيد)، وتحويل الواقع الى تدليل سيء ، او بالعكس، ادراج الايديولوجيا في شكل اشارات

Digitized by Birzeit University Library

وملاحظات واستقراءات تجريبية لاتتصهر عضويا مع التشخيص .

ان تنظيم مجموع المادة الخام الاستيقية انطلاقا من اطروحة ايديولوجية واجتماعية محددة بوضوح، ودون قتل واقع الحياة الملموس او جعله جافا ، لهي مهمة جد شاقة وعويصة .

ولقد عرف تولستوى كيف يحقق تلك المهمة بمهارة فائقة . ولذلك فان " بعث" ، باعتبارها رواية ايديولوجية نموذجية ، يمكنها ان تعدو جد مفيدة اليوم في مجال الابحاث الادبية .

الهوامـــش :

١) اشارة الى رواية تورغنيف : " عش الاسياد " .

٢) لذلك فان تولستوى الذى كان ، من عدة جوانب ، قريبا من انصار النزعة السلافية كان في الوقت نفسه ، قريبا ـ اكثر من تورجنيف ـ من الانتلجنسيا الشعبية خلال فترة ١٨٥٠ ـ ١٨٦٠ (أى من : تشيرنيشفسكي ، نيكراسوف الخ ...) ، لان هذه الصفوة كانت تفهمه وتدرك ، في اعماله ، الشعارات الاجتماعية القريبة من شعاراتها .

٣) لينين : تولستوى مرآة الثورة الروسية ، الاعمال الكاملة ، طبعة دار التقدم ، الجزء ١٥ ، ص ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

٤) انظر : ١٩٣٠ .

٥) المرجع السابق ، ص ٤٣ .

Digitized by Birzeit University Library

تجاور المعاصرة والقرون الوسطى

يقلم : محسن عبدالله/صحفي ـ العربية السعودية

عبد اللطيف هاشم، الحكم الملكي في السعودية، ١٩٨٥، ٩٠ ص .

راشد مفلح. حول ظاهرة الركود الاقتصادي في السعودية، ١٩٨٥، ٢٥ ص .

عبد الرحمن الصالح. تصدير البترودولار من السعودية، ١٩٨٤، ٣١ ص .

وثائق المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي في السعودية، ١٩٨٤، ٢١٨ ص .

اصبحت المملكة العربية السعودية في السبعينات قوة نافذة ليس في الشرق الاوسط والعالم العربي فحسب، بل وخارج نطاقهما ايضا . وقد لعبت الدور الحاسم في ذلك عوائد النفط التي دفعت بالمملكة الى مواقع الصدارة بين شركاء الدول الرأسمالية المتطورة صناعيا وخاصة الولايات المتحدة الامريكية، في الميدانين الاقتصادي والتجاري، ومكنتها من توسيع مواقعها في العديد من البلدان المتحررة وتعزيزها . وعلى صعيد السياسة الداخلية صارت التراكمات المالية الضخمة الاساس المادي لتحولات بنيوية خطيرة في المجتمع، ومن الشواهد على ذلك التطور السريع للرأسمالية وتعمق ازمة الحكم الملكي المطلـــق .

وقد انعكست هذه العمليات في عدد من مطبوعات الحزب الشيوعي في السعودية وسوف نتناول بعضها في هذا العرض. والكتب التي نحن بصددها ليست كبيرة الحجم، بيد انها حافلة بالوثائق والمستندات، مما يجعلها

× صدرت المطبوعات المذكورة باللغة العربية عن دار نشر " طريق الكادحين " .

Digitized by Birzeit University Library

تعطي تصورا متكاملا عن سياسة المملكة على الصعيدين الداخلي والخارجي .

لتبدأ من الدراسة التاريخية الموسومة بـ " الحكم الملكي المطلق في السعودية" للحقوقي عبد اللطيف هاشم ، وهي اول بحث من نوعه في الادبيات الماركسية لهذا البلد . يستعرض المؤلف ممهدات نشوء الدولة ويذكر بانها كانت على امتداد فترة طويلة مجزأة الى دويلات اقطاعية تابعة للامبراطورية العثمانية (راجع ص ٣٨) . وتعزى التجزئة الى اسباب عدة . فان شبه الجزيرة العربية ظل امدا طويلا اكثر اجزاء العالم العربي انغلاقا وتخلفا

وطوال عدة قرون كانت تربية المواشي وزراعة الواحات التقليدية والحرف تشكل اساس الحياة الاقتصادية للمجتمع وهي لم تخضع عطبا لتغيرات جوهرية طوال تلك الفترة . وكانت العلاقات الاقطاعية تتعايش وتتشابك مع النمط القبلي العشائري . وادت اعمال النهب والسلب الى استنزاف الموارد البشرية والمادية وافلاس التجار والحرفيين وكساد التجـــارة .

ويشير المؤلف الى ان " مهام تصفية التشتت الاقطاعي وتكوين دولة موحدة قد انبثقت من الظروف الداخلية وكذلك من الاوضاع السياسية الخارجية المعقدة" . ومما جعل هذه المهمة اكثر الحاحا ان السكان المحليين واجهوا ضرورة تنظيم المقاومة ضد المستعمرين الانجليز والفرنسيين . وقد اضطلع بتوحيد الامارات . الصغيرة المشتتة ، حاكم احدى هذه الامارات وهو ابن سعود . وخلال ربع قرن بسط هيمنته على الجزء الاكبر من شبه الجزيرة ، وفي سنة ١٩٢٦ اسس دولة اقطاعية مركزية مستقلة سميت عام ١٩٣٢ " المملكة العربية السعودية " .

بديهي ان المؤلف لا يقتصر على استعراض اهم احداث الماضي القريب نسبيا . فهو يرى ان هدفه الاساسي يتمثل في تشخيص الجذور التاريخية للحكم الملكي المطلق والبرهنة على ان عهده قد ولى ، ومساعدة القارئ في فهم البنية الاجتماعية السياسية لبلد تتجاور فيه المعاصرة والقرون الوسطى ، وتتداخل العلاقات الرأسمالية مع العلاقات الاقطاعية ، بل حتى مع العلاقات القبلية العشائرية . تتمثل قمة هرم السلطة في البلاد بالعائلة السعودية وعلى رأسها الملك الذي يستحوذ على السلطتين التشريعية والتنفيذية بالكامل . ويدخل في عداد الاوساط الحاكمة الاقطاعيون وكبار مالكي الاراضي والفئات الطفيلية من البرجوازية . والفئات الاخيرة ، في المرحلة الراهنة على اقل تقدير ، قد " "رضخت لوصاية الحكم المطلق السياسية" (ص ٨٦) . وكما اشير في المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي في السعودية الذي انعقد في اواسط عام ١٩٨٤ ، فان مصالح فئة المستغلّين (بالكسر) متناقضة تناقضا تاما مع مصالح العمال والفلاحين وجماهير البدو والمثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة والشرائح النافذة من البرجوازية الوطنية (١) .

يعين الملك الوزراء وقيادات الجيش والحرس الوطني واجهزة الامن والسفراء والقناصل والمبعوثين الى المؤتمرات والمحافل الدولية . وهو يصادق على الميزانية وخطط التنمية في البلاد ، وهو عمليا مطلق اليد في التصرف بأموال الدولة . وحتى الان

Digitized by Birzeit University Library

ليس ثمة في السعودية دستور اوهيئات تمثيلية منتخبة ، لذا فان ارادة الملك هي قانون يخضع له الجميع . ويضطلع الملك، بوصفه إماماًللمسلمين، بدور اعلى مرجع قضائي، ذلك لانه رغم تأسيس وزارة العدل عام ١٩٧١ ،ليس ثمة في البلاد قانون مدني ولا قانون جنائي، وكما كانت الحال قبل مئات السنين ، فان انفاذ القضاء يتم وفق احكام الشريعة حصرا . ومن الشواهد على مدى قوة تقاليد وعادات القرون الوسطى المعمول بها حاليا في العربية السعودية، ان البلاد لا تزال تشهد الاعدامات العلنية والجلد وقطع الايدى والارجل والرجم والاجحاف الشديد بحق النســـاء .

ويخلص عبد اللطيف هاشم الى استنتاج صائب مفاده ان اية تغييرات جوهرية لم تطرأ على شكل الحكم في الدولة منذ تأسيسها . ومرد ذلك الى غياب القوة السياسية القادرة على التأثير الحاسم في طابع وشكل السلطة، وسعي الصفوة الاقطاعية المسنودة من قبل الامبريالية الامريكية الى حصر التحولات الرأسمالية في المجتمع بميدان الاقتصاد، واعاقة التطور الاجتماعي الذى يؤدى الى تحولات طبقية عميقة، وتعزيز مواقع الفئات الطفيلية من البرجوازية الوطنية التي تعتبر النظام الاوتوقراطي (الاستبدادى) ضمانة امينة لوجودها . وليس عبثا ان ينفق جزء كبير من ميزانية المملكة على الجيش ومختلف الاجهزة القمعية المختلفة ،وخاصة الحرس الوطني المكلف اساسا بقمع الحركة التقدميـــة (راجع ص ٨٠).

كما يتناول الكتاب وضع الاقتصاد الوطني ،الذى حصلت فيه تغيرات جدية خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة، وبفضل عوائد استثمار حقول النفط التي تمتلك العربية السعودية اكبر احتياطي منه في العالم الرأسمالي، تمكنت المملكة من توظيف مبالغ طائلة في بناء مؤسسات صناعية كتكرير النفط ومشاريع الطاقة وشبكات اسالة المياه. وشقت طرقاً للسيارات وشيدت مطارات وموانيء بحرية واقامت خطوطاً للمواصلات وظهرت مدن جديدة ذات مبان عصريـــة .

لقد سارعت الدعاية البرجوازية الغربية الى تسمية هذه التحولات بـ " معجزة القرن العشرين" ، ووصفت المملكة بانهاتكاد تكون جنة الله في الارض . بيد ان الوقائع الواردة في الكتاب تدحض الاسطورة الزاعمة بأن العربية السعودية هي دولة" الرخاء العميم" ، وتدل على التباين الهائل في توزيع المداخيل النفطية التي تستأثر الاوساط الحاكمة بحصة الاسد منها . ويقول المؤلف ان النهج الاقتصادى للحكومة لايتجاوب مع مصالح الجماهير الكادحة، ومقتضيات التنمية المستقلة. وخلال السنوات الاخيرة واجهت بلدان الاوبك مصاعب جدية في تسويق النفط، وتتحمل السعودية قدرا غير قليل من المسؤولية عن ذلك، واصبحت مواطن الضعف في اقتصادها تتجلى بوضوح .

وقد تناول هذا الموضوع راشد مفلح في كراسه" حول ظاهرة الركود الاقتصادى في السعودية"، وهوالركود الذى بدأ " بعد مرحلة الطفرة المالية الممتدة من عام ١٩٧٣ الى عام ١٩٨٢ والتي امتازت بالانتعاش الواضح للعديد من مجالات النشاط الاقتصادى وخاصة في قطاعات البناء .. (ص٥) .

Digitized by Birzeit University Library

يشير المؤلف، وهو عالم اقتصادي، الى ان الركود يرتبط ،اول مايرتبط ، بالانكماش الشديد في عوائد الدولة. فلئن كانت عوائد مبيعات الوقود السائل قد بلغت زهاء مائة مليار دولار عام ١٩٨١، فانها لم تتعد الثلاثين مليارا عام ١٩٨٥ . ولم يتمكن الاقتصاد السعودي الاستعماري الجديد من حيث طابعه الوحيد الجانب من تحمل هذه الضربة. وادى ذلك الى تقليص كبيرفي التوظيفات التنموية في الصناعة والزراعة والثروة المائية وبناء المحطات الكهربائية وما الى ذلك . وتم تجميد او الغاء الكثير من المشاريع الهامة ووضعت شروط مشددة على ابرام العقود (راجع ص ١١ — ١٤).

كان اصحاب المشاريع (غالبا ما تكون الدولة) يدفعون مقدما ٣٠ في المئة من ثمن التعاقد الى الشركات المتعهدة بتنفيذ المشروع، اماالان فلم تعد هناك دفعات مقدمة ولاسباب عدة لجأت الدولة الى تأجيل المدفوعات المستحقة على العقود او التأخر باعطاء الموافقة للشركات النافذة على اكمال العمل. ونتيجة لذلك وصل عدد الشركات المهددة بالافلاس الى ١٤٠٠ شركة . وتؤكد احصاءات وزارة التجارة انه في عام ١٩٨٤ فقط توقفت ٧٠ شركة عن العمل، وان اكثر من ٣٠٠ شركة تعرضت لخسائر ضخمة . وان اكثر الشركات تضررا هي تلك الشركات العاملة في قطاع البناء، والمقاولون الصغار الذين اعلن العشرات منهم الافلاس، وعدد كبير منهم تطاردهم البنوك المحلية عبر المحاكم لتسديد ديونهم (ص). ومن المظاهر الاخرى لظاهرة الركود الاقتصادي التراجع الملموس في اسعار الاسهم وتخفيض حجم الجهاز الوظيفي في مؤسسات الدولة والشركات والاستغناء عن الكثير من العاملين الاجانب بدرجة رئيسية.

ولكن تجدر الاشارة الى ان انخفاض اسعار النفط ، وان كان السبب الرئيسي في الوضع الاقتصادي القائم، الا انه ليس السبب الوحيد اذ ان الثغرات في التخطيط الاقتصادي لعبت دورا لا يستهان به .

ويشير رائد مفلح الى ان مشاريع عديدة لم تكن مدروسة وغير مبررة اقتصاديا، وفيها اهدار للاموال. فان مساحة " مطار جدة" الذي شيد في عهد " الازدهار" تربو مرة ونصف على مساحات مطارات نيويورك وشيكاغو ولوس انجلس مجتمعة، هذا اضافة الى الفخامة المتناهية في مظاهر الابهة المبالغ فيها . وقد صمم هذا المطار ليستقبل من ٨,٥ الى ١٠ ملايين مسافر " (ص ١٦). هذا في حين ان عدد سكان العربية السعودية يبلغ زهاء احد عشر مليونا فقط . وبفعل " الطفرة المالية" تهافت على البلاد الكثير من رجال الاعمال الاجانب، وكانوا في الغالب لا يتمتعون بالاهلية المطلوبة والامكانات الاقتصادية والتنظيمية، ورغم ذلك فقد حصلوا على عقود مربحـــة .

ويذكر المؤلف ان نظرة سريعة الى اقتصاد المملكة تجعل المرء يتبين الاختلالات البنيوية الكبيرة فيه. وان تعبير " الطفرة" لم يكن لينطبق عمليا الا على مجال البناء . اما بالنسبة للانتاج الصناعي فقد ظل مقتصرا في الاساس على تطوير فرعَيْ تكرير النفط وكيمياء النفط . في حين ان تلبية احتياجات السكان من السلع الاستهلاكية يتم عبر الاستيراد الذي يزيد في تبعية العربية السعودية للسوق

Digitized by Birzeit University Library

الرأسمالية العالمية .

ويؤكد المؤلف ان السلطات تسعى الى القاء اعباء القضايا الاجتماعية على عاتق الجماهير الشعبية. ففي سنة ١٩٨٤ ألغيَ دعم الدولة لاسعار المواد الغذائية والبضائع الصناعية الاساسية وازدادت رسوم الكهرباء مائة في المائة والغاز والماء ٩٥ في المائة، وتقلصت المداخيل الفعلية للكادحين .

ومن جهة اخرى يلفت راشد مفلح الانتباه الى ان المصاعب المالية لم تؤثر في الانفاق العسكري واستيراد احدث المعدات الحربية التي تفوق اضعافا مضاعفة الاحتياجات الفعلية للجيش السعودي الذي يبلغ تعداده ٥٠ الف شخص. وتربو الميزانية العسكرية للمملكة على ٢٤ مليار دولار، وبذلك بزت دولا مثل فرنسا وبريطانيا واليابان. وان قرابة ٢٠ في المائة من اجمالي الناتج الوطني للعربية السعودية يهدر دون جدوى على سباق التسلح، في حين ان غالبية سكان الريف ما برحت محرومة من المسكن اللائق والماء والكهرباء والخدمات الطبية والتعليم .

والى جانب توجيه النقد المدعوم بالوقائع الى السياسة الاقتصادية للنظام الحاكم، يقدم المؤلف مقترحات لتقويم الوضع. فهو يقول : " فقط عن طريق ضبط العلاقة مع سوق الرأسمال العالمي ووضع نظام صارم لحماية الاقتصاد الوطني من النشاط التخريبي للاحتكارات الاجنبية، تستطيع بلادنا ان تخرج من حالة الركود التي تعيشها وتتجنب تأثير الازمات الاقتصادية الدورية التي تحدث في الدول الامبريالية، على اقتصاد بلادنا " (٢٥).

ثمة مؤلف آخر يتناول موضوعا مماثلا، ونعني كتاب " تصدير البترودولار من السعودية " للاقتصادي عبد الرحمن الصالح. يشير الكاتب الى تصدير رأس المال " نقداً" من بلد متخلف ، كان الى امد غير بعيد مستوردا له، هو ظاهرة جديدة في الحياة الاقتصادية العالمية. وهذه الظاهرة مشروطة بعاملين : الاول هو القفزات في اسعار الوقود السائل خلال السبعينات، والثاني عجز الحكومة عن استثمار ٦٠ في المائة تقريبا من الحجم الاجمالي للدخل الوطني في معالجة القضايا التي تواجهها البلاد. ويقول الكاتب : " اذا كان تصدير رأس المال من الدول الرأسمالية المتطورة هو علامة من علائم الامبريالية (كما حددها لينين) فان تصدير رأس المال من دولة كالسعودية هو دلالة الديناميكية المنخفضة لمجمل الاقتصاد الوطني والتخلف الاقتصادي ـ الاجتماعي للبلاد " (ص٥).

ويؤكد المؤلف ان الدول الرأسمالية المتطورة صناعيا تحاول، عن طريق عقد اتفاقيات مختلفة، المضي في استغلال العربية السعودية على طريقة الاستعمار الجديد، وابقائها مصدرا هاما للموارد النفطية والمالية. ومن المناسب في هذا الصدد التذكير بالاتفاقية التي وقعتها السعودية والولايات المتحدة عام ١٩٧٦ . فقد اشير في المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي في السعودية الى ان " انتاج ومبيعات النفط السعودي يخضعان لامريكا لا للاحتياجات الفعلية للبلاد وخطط التنمية، ولا لقرارات منظمة الاوبك، بل لرغبة الولايات المتحدة واحتياجاتها وللسياسة الهيمنية والاستغلالية للاحتكارات الامريكية" (٢).

Digitized by Birzeit University Library

يفرز المؤلف محورين رئيسيين لحركة الدولارات النفطية. الاول غير مباشر، ويتمثل في تسديد ثمن استيراد السلع والخدمات والاسلحة والمعدات الحربية من الخارج. وتأتي في هذا السياق ايضا النقود التي يحولها العمال الاجانب الى اوطانهم، وارباح الشركات المحولة الى الخارج. ويشير عبد الرحمن الصالح الى " ان هذه السيولة الدولارية الهائلة، المتدفقة من السعودية نحو الغرب الرأسمالي من شأنها، وعلى حساب ثرواتنا الوطنية، ان تساهم في تعديل موازين المدفوعات للدول الرأسمالية وفي دعم عملاتها والاوضاع الاقتصادية فيها عموما، في ظل الازمات الحادة التي تعصف بالنظام الرأسمالي العالمي " (ص ١٦).

المحور الثاني هو تصدير " الفائض المالي بشكل مباشر. فمنذ عام ١٩٨١ بلغت " موجودات السعودية الخارجية المتراكمة ١٥٠ مليار دولار.. وهي تشكل ورقة ضغط سياسية في يد القوى الامبريالية لابتزاز شعبنا " (ص ١٨ – ١٩).

ويبين الكاتب آلية تصدير " الفائض المالي" : اولا، الاستثمارات المباشرة في البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا بشكل ودائع مصرفية بالعملات الاجنبية وشراء اسهم وسندات واوراق مالية حكومية وما الى ذلك. وثانيا، منح القروض وبالدرجة الاولى لمنظمات مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير، والودائع في البنوك الاجنبية. ثالثا، " المساعدات " المالية للبلدان النامية وهي تقدم عبر عدة قنوات منها صندوق التنمية السعودي وبنك التنمية الاسلامي. وعلاوة على ذلك تعمل العربية السعودية في اطار منظمات اقليمية متخصصة.

ويعرّي الكاتب التصريحات الدعائية الصادرة عن الدوائر الحاكمة في بلادنا والزاعمة ان " المساعدات" المذكورة ذات طابع تنزيه، ويبين ان وراءها اهدافا سياسية واقتصادية محددة. فهي تستخدم لـ" تدعيم مواقع النظام السعودي السياسية، ومساندة الانظمة الرجعية والقوى اليمينية والمتآمرة في مختلف بقاع العالم، وزعزعة الانظمة التقدمية والوطنية وتمرير المخططات الامبريالية وفي ذلك ينحصر دورها السياسي. وتعمل المساعدات السعودية على اجتذاب الدول النامية الى طريق التطور الرأسمالي، وهذا جانبها الاقتصادي. وتتوجه، بشكل مباشر او غير مباشر، الى تنشيط الفئات الطفيلية داخل هذه البلدان، ولتقوية مواقعها الاقتصادية والاجتماعيـــة " (ص ٣١).

تتسم المرحلة الراهنة من مراحل تطور السعودية بنهوض النشاط السياسي لجماهير الشعب التي ذللت" حاجز الخوف" الذي اقامته السلطات على امتداد سنين طويلة بلجوئها الى الارهاب. ومن الادلة على ذلك انتفاضة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ (٣)، وكذلك الاستيلاء على الحرم المكي من قبل عناصر راديكالية طالبت باسقاط النظام الملكي. واشير في المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي في السعودية الى ان للاحداث المذكورة دلالات هامة : " انضمام فئات اجتماعية وسياسية ودينية واسعة الى صفوف المعارضة، وانخراطها في العمل الوطني "(٤).

وقد اثبتت الاحداث صحة توجهات

Digitized by Birzeit University Library

الحزب حول ضرورة وامكان قيام اوسع تحالف وطني على اساس العداء للحكم الملكي المطلق والامبريالية العالمية، وعلى رأسها الامبريالية الامريكية، وفي سبيل تحقيق اهداف التحرر والديموقراطيـــــة .

عن مجلة قضايا السلم والاشتراكية

الهوامـــــش :

١) انظروثائق المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي في السعودية ، ص ٩ .

٢) المصدر السابـق ، ص ١٢.

٣) في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٩ شهدت المحافظة الشرقية انتفاضة عمال النفط التي ساهمت فيها جماهير واسعة ، للمطالبة بالحقوق الديموقراطية واطلاق سراح السجناء السياسيين والقضاء على تسلط الامبريالية الامريكية . وقد قمع الانتفاضة بوحشية الحرس الوطني تسانده وحدات الجيش الامريكي المرابطة في السعودية .

٤) وثائق المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي في السعودية ، ص ١٤.

Digitized by Birzeit University Library

حوار مع طاقم تغريب العبيد

حاورهم :	طاقم تغريب العبيد	٤) نضال الخطيب	
==========	==========	٥) عبد السلام عبده	
وسيم الكردي	١) راضي شحادة	٦) علي حجاوي	
محمد البطراوي	٢) ابراهيم خلايلة	٧) جميل الحوساني	
جميل السلحوت	٣) عبير مخول	٨) ختام ادلبي	
خالد البطراوي			

وسيم :

نرحب بكم في لقائنا هذا والذي نسعى فيه من خلال مناقشة عملكم المسرحي " تغريب العبيد" ان نجري تقييما شاملا للمسرحية كي لا تذهب تجربة من هذا النوع هباءً .

وقد اتفقنا وزميلي خالد ان ننهج منهجا مغايرا بعض الشيء في اسلوب ندوتنا اليوم والذي نرغب اولا في ان يكون لقاء بطاقم الفرقة باكمله، وثانيا نرغب في التطرق الى القضايا الفنيّة بالدرجة الاساسية، ليس تهرّباً من التطرّق الى الموضوع الذي طرحته مسرحيّة "تغريب العبيد" وانما لقناعة ترسّخت لدينا ولديكم ،خاصة بعد هذا السيل من التعليقات في المجلات والصحف حول مضمون النص، الامر الذي ولّد قناعة لدينا ـ اقول لدينا جميعا انتم ونحن ـ ان التطرق الى مثل هذا الموضوع الحساس في عمل مسرحي يحتاج الى تأن ورصد لفترة اطول بكثير، يحتاج الى معايشة اعمق، ويحتاج الى رؤيه عوامل عدّة تؤثر سلبا او ايجابا في تاريخ الحركة العمالية في المناطق المحتلة .

جميل :

ارغب ايضا في اضافة قضية اخرى واريد ان يجيبني عليها المخرج، وهي ما مدى النجاح الذي يمكن ان نتوخاه من طاقم مسرحي هم بحد ذاتهم من الهواة، اوعلى الاقل تغريب العبيد هي التجربة الاولى لهم، باستثناء بعض المشاركين، ابراهم خلايلة وعلي حجاوي ؟

وسيم الكردي:

اصبحنا امام اربعة مفاصل رئيسيّة،

Digitized by Birzeit University Library

الموضوع الاول، موضوع الارتجال، في تصوري ان العمل المسرحي التأليفي يتّسم بالتماسك اكثر بكثير في حالة ان يكون لكاتب شخص واحد، وكذلك الامر فيما يتعلق بالترابط الفنّي، الا ان هذا لا يمنع عمليّة اللجوء الى اسلوب الارتجال المسرحي، واري انه لنجاح هذا الاسلوب فنّيا يجب ان تتوافر شروط محدّدة، أهمّهـا :

- تسلّح الفنّان بالوعي الثقافي والاساليب الفنّية المتعددة والتجربة المكثّفة .
- اضافة لذلك موضوعة الانسجام بين الافراد عبر التجربة المشتركة التي تأخذ فترة زمنيّة طويلة إلى حدّ ما .

وغير ذلك فإن العمل الفنّي المسرحي قد يخرج مهلهلا، غير متماسك ذو افكار سطحية، تؤدي إلى انعدام سياق فكري وفنّي واحد، ويصبح العملْ الفنيّ مسطّحا، يتّسم بالزج، وهذا بتصوّري برز إلى حدّ كبير في مسرحيّة تغريب العبيد .

جميل السلحوت :

وانا اضيف بدوري لماذا اللجوء الى الارتجال ؟

خالد :

اصبح إذن لدينا موضوع الارتجال نقطة الانطلاق، زميلنا وسيم أبدى وجهة نظر، وزميلنا جميل السلحوت تساءل، كيف ترتأون؛ ،هل تقومون بالاجابة مباشرة، ام نجمع نحن ثلاثتنا ما في جعبتنا من اسئلة .

راضي :

انا افضّل على كل موضوع على حدة، واحبذ لو بدأنا بموضوع يشارك فيه الجميع، وعمليّا كون الشباب في الفرقة لم يشاركوا في تأليف النص، اذ انني وابراهيم قمنا باعداد النص ،وبصراحة تركّز عملي انا اكثر كمخرج.

جميل السلحوت :

اردنا ان ننطلق بعد اجابتكم على هذا الموضوع الى العديد من الاسئلة الفرعيّة.

وسيم :

اردنا ان نتدرّج الى العمل الفني بدءا بتأليفه لغاية وصوله لخشبة المسرح .

خالد :

في الحقيقة، هذا الموضوع، موضوع الارتجال اصبح اسلوبا متّبعا لدى بعض الفرق، اذ يجري احيانا خلط ثلاثة مسرحيات في مسرحيّة واحدة، او أخذ نص مسرحي اجنبي دون استيعابه كاملا، مما يؤدي بالفرقة الى العديد من المتاهات لاحقا، اضافة الى انتهاج اسلوب تحويل بعض الاعمال الروائيّة القصصيّة كما هوالحال في المتشائل ، الاعمى والاطرش، وايضا اسلوب الارتجال المباشر، أي تجتمع الفرقة وتبلور الفكرة، وسؤالنا ما هو الاسلوب الذي اتبعتموه، وما مدى جدواه ؟

راضي :

مدرسة الارتجال لم نقم نحن بابتكارها، هي اسلوب بدأ في الستينات، في امريكا،

Digitized by Birzeit University Library

نحن لم نقم بالطبع بالسير حرفيًا على خطاهم، اذ قمنا بتجربتنا الخاصة في الارتجال والتي بدأها الشباب في السبعينات وبتصوري انه لا يوجد قاعدة او حكم عام، انه اذ اخذنا عمل جاهزا لن يخرج مهلهلا، بينما اذا قمنا بالارتجال سيخرج مهلهلا، غير متماسك.

ومن تجربتنا في الارتجال، يخطئ من يقول ان مفهوم الارتجال لدينا هو ان يقوم كل شخص بالعمل حسب اهوائه، هناك ضوابط، وارغب ان يتحدث زملائي عنها، لانه في النهاية، يؤدي الارتجال والعمل الجماعي الى نص مكتوب، وبتصوري اننا في اسلوبنا هذا، ننتقل الى تجربة مهمّة، تتجسّد في فصل المسرح عن الادب، كثير من مسرحيات توفيق الحكيم لا تستطيع القيام بتمثيلها، كتبت لكي تُقـرأ.

عبيـر:

انا بشكل عام، اعتبر هذه تجربتي الاولى في المسرح وفي اسلوب الارتجال، كنت اشعر بتغير في العمل مع كل بروفا، كنت اشعر بنمو وتكامل العمل، المخرج كان يقوم بتوجيهنا الى الاتجاه الذي يجب ان نتوجهـه.

جميـل السلحـوت:

هل المقصود تطور في الاخراج ام في النـص؟.

عبيـر:

تطور بشكل عام، وخلال ذلك كنا نسجل بعض ملاحظاتنا حول هذه القضية او تلك.

راضـي:

من المهم جدا انه لم يكن هناك في البداية عمل متكامل.

جميـل السلحوت:

استطيع القول انه كان هناك ضبط في الاخراج ولفت انتباهي حديث راضي، حينما ذكر مقولة فصل المسرح عن الادب وبتصوري هذه مغالطة كبيرة جدا، فالمسرح هو احد فنون الادب، وتوفيق الحكيم كتب ما يسمى المسرحية الذهنيّة، وهذا تقليد لكتّاب اوروبيّـن.

قضية الارتجال في النص، أرى ان المثل الشعبي القائل " إعط خبزك للفرّان حتى لو أكل نصفه" ينطبق عليها، لان الفرّان المسرحي -ان جاز التعبير-،هو القادر على ابداع مسرحيّة ويستطيع بعده المخرج والفنّان العامل معها بجديّة متناهية، ان من يعمل خارج نطاق تخصّصه مدعاه للفشل، لو اخذنا بعض الامثلة، دريد لحّام كفنّان ،كوميدي قدير ،افسد بعض النصوص لمحمّد الماغوط،عندما تدخّل فيها، وافسد موهبته الفنيّة عندما تدخل في الاخراج، شاهدت فيلم التقرير الذي كتبه محمد الماغوط، وتدخّل فيه لاحقا دريد لحام في الاخراج، وادّى ذلك الى اخفـاق.

وانا شخصيا احبّذ لو ان مسرحيّة" تغريب العبيد" شارك في صياغتها كاتب مسرحي، وهذا بدوره كان سيؤمّن لها نجاحا فنّيا من ناحية النص.

وسيـم:

من خلال الحديث، فهمت انه كانت

Digitized by Birzeit University Library

هناك جماعيّة في تأليف النص، وعلى صعيد الاخراج كان هناك مخرج واحد، الان هل الفرقة تعتمد اسلوب الجماعيّة في بناء النص واسلوب المخرج الفرد في تنفيذالعمل مسرحيّا ؟

ابراهيـم خلايلـة :-

ارغب في البداية ان انوه الى قضية هامة ،تتجسد في ان مسرحيّة تغريب العبيد، حقيقة هي عمل جماعي، لكن ليس هذا كل شيء ، ففي اول اجتماع عقدته الفرقة كان لدينا موضوع جاهز كلّيّا مع سيناريو واضح للمسرحية، ما تبقّى لدينا هو قضايا بسيطة اعتمدنا على الارتجال اولا لتطوير العمل وثانيا كي تندمج العناصر الجديدة المشاركة في العمل مع العمل ومع بعضها البعض.

اذن قبل ان نبدأ في البروفات كان لدينا موضوع واضح محدد، والبروفات الاولى كانت ارتجالات عامّة ،هدفت الى اندماج الطاقم المسرحي بالعمل ، وقمنا ببعض الارتجالات لحالات معروفة مسبقا ،مثلاً حالة عمال في اضراب ، ثم فيما بعد، قمنا بجمع هذه الحالات الارتجالية ،جلسنا انا وراضي وقمنا بصياغة نص منها، أي أنّنا قمنا بالاستعانة بقدرات الممثلين وخبراتهم الحياتية فيما يخدم تطوير النص المسرحي، واودّ التنويه انه بعد ردود الفعل المختلفة إبّان العروض الاولى لم نغيّر في جوهر النص، بل في طريقة واسلوب القائه، وحدّدنا اخراجية بعض المشاهـد .

جميـل السلحوت :

ولكن المشهد الاخير جرى تغيير كلي عليه .

ابراهيـــم :

ما ارغب في التأكيد عليه ان عملية الحالات الارتجالية هدفت الى الاستفادة من تجارب الممثّلين الحياتيّة ،ودمجهم في الجوّ المسرحيّ بشكل عام .

وسيـم :

اذن نحن هنا امام قضية اخرى مغايرة لمفهوم الارتجال الذى تحدثنا عنه، في كون اسلوبا جماعيا يبدأ من لحظات العمل الاولى وحتى نهايتها ، نحن الان امام نص جاهز اعد مسبقا، وجرى تطويره وتعديله بشكل جماعي من نواحي اخراجية، ام هل تعتقدون بضرورة الجمع بين كل ذلك ؟.

خالـــد :

اود الاستفسار عن قضية هامة، لماذا لم تقوموا باللجوء الى احد الكتاب المسرحيين

وايضا لماذا حصلت بعض التغييرات في العمل بعد العروض الاولى، هل قناعتكم بأن هذا العمل كان قد قصّر عن رؤية هذه الجوانب التي قمتم باجراء تعديل عليها ، ام خوفا من انتقادات لاحقة اخرى، ام لعدم وضوح رؤية مسبقـة ؟.

راضـــي :

لدي وجهة نظر مختلفة في نظرتي للمسرح ،اين موقع الكاتب وأين موقع المسرحي يوجد فرق بين الكاتب وبين المسرحي .

Digitized by Birzeit University Library

جميل السلحوت :

من تقصد بالمسرحي ، من قام بالتمثيل ام من ؟.

راضـــي :

مسرحيين ، من ساهموا في عملية الابداع.

جميـل السلحـوت :

يوجد مخرج مسرحي ، كاتب مسرحي ، ممثل مسرحي ، ما المقصود بالمسرحي .

راضـــي :

تحدثت عن دريد لحام ومحمد الماغوط . اود ان انوّه الى ان هذا الثنائي يعمل بانسجام واضح ومتكامـل .

وسيـــم :

ولكن سيطرة الماغوط على النص اقوى وأوضح من سيطرة ومقدرة دريد لحام عليها .

راضـــي :

نعم ، ولكن الماغوط لا يحضّر نصا مكتوبا ، يحضّر الفكرة ، وعندما يخرج العمل على خشبة المسرح لا يعتبر ادبا ، اصبح اسمه مسرحا ، وهذا ما اقصده بفصل المسرح عن الادب ، ولذلك ، ما اريد الوصول اليه في مرحلة الارتجـال الاولى لا يوجد فواصل بين مخرج ومؤلـف بالقدر المحدّد يوجد تمازج في العمل وهـذا التمازج يفتقره الطريقة التقليدية في العمـل المسرحي ، المقصود بالطريقة التقليدية عندما يفرض الكاتب نفسه وبفكرته على الطاقم المسرحي ، في اسلوبنا الجميع يقرأ ، وبمجموع الخبرات توجّه سفينتنا الى بر الامان. وبتصوري ان الفن هو ابداع لا محدود، وبالتالي يجب عدم تقييده بنص .

ثم جاءت المرحلة الثانية ، مرحلة التمازج مع الجمهور ، لم ينحصر عملنا على وضع نص ثم التفكير بطريقه اخراجه ، ايضا كنا نفكّر كيف سنخلق التمازج مع الجمهـور .

جميـل السلحـوت :

ارغب في التدخل في هذا الموضوع ، انا ارى انه من حق الفنّان والمخرج ان يجريا بعض التغييرات في السيناريو لتطويع كلمة او جملة او فقرة معيّنة بما يخدم الظرف ، او لاستبدالها مثلا بتعبير سوقي " ان جاز استخدام هذا التعبير" ولكن لا توجد لدى غالبيّة الممثلين القدرة على تأليف عمل مسرحي ، اذ لا توجد لديهم ملكة الكتابـة .

خالـــــد :

نرغب في ان نوسّع النقاش ولا نجعله جدالا بين طرفين ، اريد في الحقيقة ان اسمع اراء باقي طاقم التمثيل ، وكما قال زميلي وسيم ، من المفروض في أي عمل مسرحي ان يكون هناك تسلسل وبناء درامي يؤدّي الى نتيجة منطقيّة ، هل وجد في تغريب العبيد هذا البناء الدرامي ، مع تشتت الصـور .

راضـــي :

التسلسل الدرامي الذي تحدّثت عنه ، الى حدّ معيّن معروف لدينـا .

Digitized by Birzeit University Library

خالـــد :

على افتراض اننا سنقوم بتجريد المسرحية من كل المرافقات ، الصوت والاضاءة وغيرها من ديكور وملابس ، هل يوجد حدث ، قصة،حبكة؟ وما هـــي ؟

راضـــي :

طبعا ، اولا هناك الاسلوب التقليدي والذي يقول ،يجب ان يكون للعمل المسرحي بداية ووسط ثم نهايـة .

جميـل السلحـوت :

اذا من هذا المنطلق ،فانا اقول انه يوجد بداية ، بدأت بعنتر المنقذ ونهاية انتهت بعنتر اللاشيء ، وخلالهما جرى صراع معين ، التسلسل في رأيي كان موجودا ولكنه لم يكن بشكل قوي .

خالـــد :

دعونا نتكلم عن التسلسل ، هل شعرتم بوجود هذا التسلسل ، مثلا الحدث لم يتم في منطقة عماليّة اوقطاع عمّالي متجانس ، فلنقل مثلا عمال مصانع ، كان هناك فرّان وميكانيكي وبنّاء وعاملة تنظيفات ،وغير ذلك ، ما الذي مثلا،جمعهم في الحدث الواحد،الاضراب مثلا!!

جميـل السلحـوت :

ما جمعهم مأساويّة الوضع ، الذي يعيشونه

راضـــي :

خالد يقصد بالتجميع من ناحية البناء الدرامي،اولا جمعهم المكان ،وذكرناه للمشاهد بوضوح في اوراقنا ، ان الحدث في منطقة مصانع قريبة من وافعنا ، يمكن في اسرائيل ، يمكن في منطقة اخرى ، وضعنا خلفيّة توحي من الخلف ، جميعهم يجمعهم شيء واحد انهم متواجدون في فترة زمنيّة هي الفترة الصناعية وفي وضع عمالي ، ليسوا فلاحين ، والمكان هو مكان استراحتهم ، وكتبنا ذلك ايضا عندما قلنا " تتحول استراحة العمال الى طقس او لعبه " وفعلا كل المسرحية طقس ولعبة ، كراسي حيث انها نوع من الاستراحة ، ولم نأخذ مفهوم الراحة ان تجلس بل ان تجد جوا ، مناخا ، طقسا لتلعب .

جميـل السلحـوت :

هذا التناسق الذي تحدث عنه راضي ، الم تلمسوه خلال بعض اللقطات ، والتي كانت بتقديري عكس ما اراد المخرج وعكس ما ورد في النص ، مثلا قضية الطوبرجي عندما تكلم مع جورج انه لا يتحدث مع مسيحي او يهودي ،ثم قال اسم جورج هذا مش عربـي .

عبيـــر : لم يقل ذلك ، بل تساءل " عربي !؟؟"

جميـل السلحـوت :

هل هي نوع من النكتة او نظرة طائفية ، وان وجدت لدينا بعض النظرات الطائفية ، وهي قليلة في بلادنا ، فانه يجب ان تشاهد على خشبة المسرح لتحارب وليس من اجل ان تضحك الجمهـور .

وسيـم : بهذا نكون قد انتقلنا الى موضوع آخـر .

Digitized by Birzeit University Library

نضال الخطيب :

بخصوص الكلام الذى يقوله ناصر مطر في دور الطوبرجي نرى من خلاله الشخصيّة، اولا هي شخصيّة ساذجة، موجودة في واقعنا بشكل كبير، ولا اتفق مع جميل السلحوت في كون هذه الشخصية غير موجودة، هي موجودة ويجب ان نطرحها ونناقشها في اكثر من مسرحيّة، يوجد متدينون وصل بهم تشجهم لان يطرحوا قضية دفع الجزية : هذا الطرح موجود ويجب محاربته .

وسيم :

انا لا انكر وجود مثل ذلك، ولكنّها ليست النظرة السائدة في مجتمعنا .

ابراهيم :

الموضوع حساس اذا اردنا ان نحارب هذه النظرة ليس فقط من خلال المسرح، كان ذكرها في المسرحيّة مجرّد تلميح، غمزة لا اكثر .

راضي :

ممكن من خلالها، ان اربط، الموضوع بالمبنى العام، الكلمة التي تستعملها والشكل الذي ننهجه ليس منزّلا حتى في يوم العرض. ونحن دائما نؤمن بضرورة ان نجتمع بعد العرض مباشرة ونتبادل الاراء ووجهات النظر، ومن خلالها نقيّم عمليّة التمازج الجديدة التي حصلت، بناء على ردّ فعل الجمهور، ونحن نثق برصيد الجمهور .

جميل السلحوت :

وحسب اعتقادك هل تجاوب الجمهور مع هذا الموضوع ؟

راضي :

في هذا الموضوع لم يتجاوب الجمهور، لذلك اعدنا دراسة الموضوع، ونحن نأخذ باستمرار رد فعل الجمهور .

وسيم :

اي ان الجمهور هو الحكم، هو الذى يكشف عيوب العمل المسرحي، ومن ثم يعتمد مدى نجاح الهدف فيما اذا استفادت الفرقة من اراء الجمهور .

راضي :

بالضبط، وهذا ليس مقصورا على مسرح الارتجال بل في كل المسارح، مدى استفادة الفرقة من اراء وملاحظات الجمهور .

ابراهيم :

نحن على استعداد لتفهم ملاحظات ولخوض نقاشات، والاستماع الى اراء، لكن لدينا القناعة بأن الجمهور لا يوجّه عملنا .

راضي :

انا اضرب لك مثلا، في مسرحية محمد بكري " المتشائل" استعمل بعض الالفاظ

Digitized by Birzeit University Library

البذيئة، وعندما وجد ان استعمال هذه الالفاظ قد يؤدّي الى خروج افراد من العرض قام باستبدالها، لانّه درس الامر وقال لنفسه، هل انا معني بأن اخسر مشاهد، اليس من الضروري تغيير اسلوبي في هذا الموضوع، لاضمن تأثيرا ايجابيا على المشاهد وليس تأثيرا سلبيا .

وسيـــم :

ولكن هذه الامور طارئة في العمل المسرحي. ما اشار لها جميل السلحوت، كانت مفصلا اساسيا في العمل، تغيير موضوعة النهاية، كان تغييرا شبه جذري إذا لم يكن جذريـــاً .

راضـــي :

لم يكن جذريا على الاطلاق، كان توضيحا افضل لفكرة العمـل .

جميـل السلحـوت :

وبخصوص اسم " ابو جلده" هل كان عفويا ام مقصودا، لانه في تاريخ شعبنا يوجد شخصية باسم " ابو جلده" ويمثّل ظاهرة ايجابية في تاريخ شعبنا بغضّ النظر عن كافة الاتهامات التي وجّهت اليه .

راضـــي :

في الحقيقة جرى لفت نظرنا الى هذا الموضوع، ونحن بصدد تغيير الاسم كي لا نقع في متاهات .

خالـــد :

أنا سؤالي بهذا الصدد يتمحور، هل رأيتم انتم في هذا العمل شخصيات متكاملة، هل رأيتم في ابو قلم وابو جلده شخصيات متكاملة مثلا .

جميـل السلحـوت :

في تقديري كمشاهد، كانت شخصية ابو قلم مكتملة، لشخص مارس العمل وان كان من خارج طبقة العمال ان جاز لي التعبير على اعتبار انه من المثقّفين الذين وجدوا انفسهم مضطّرين للعمل اليدوي، ثم خان طبقته وهذا مع الاسف الشديد موجود في بعض النقابات لدينا هنا في الارض المحتلة، حيث استغلّت بعض النوعيات العمل النقابي لمصالحها الذاتية الضيّقة .

خالـــد :

وما رأي ابو قلم " جميل الحوساني" في الموضوع ؟ .

جميل الحوسانـــي :

انا اتّفق مع ما قاله جميل السلحوت، ومن المحتمل انه لكوني عشت في الساحة النقابية، لمست مثل هذه النوعيّة، شئنا نحن ام ابينا، سواء كان ذلك في شخصية كانت انتهازي متسلّق، ام نقابي، يراهن ويخون طبقتـــه .

خالـــد : في المقابل لينين ابو قلم وماركس ابو قلم وغيرهم .

Digitized by Birzeit University Library

جميل الحوساني :

انا اتفهّم ذلك، يقول قائل لماذا لم تطرحوا الشخصية الايجابية، سؤال مشروع، انا نفسي افخر بالعديد من النقابيين الذين تتلمذت على ايديهم، ولا يمكنني في يوم من الايام ان اتجاهل النقابي الشريف، ولكنني في المسرحيّة لم اكن معنيّا بابراز النقابي الشريف، والنقابة المخلصة لانها موجودة اصلا وتثبت نفسها بنفسها يوما بعد يوم، من منّا ينسى الاضرابات الشهيرة والتي قادتها نقابات ونقابيون حريصون، اضراب عمال شركة الكهرباء، اضراب السان جورج وغيرها.

برز الخوف من ما يسمى " بالدكاكين النقابية" ، والتي يجب ان نعرّيها ونقوم بتحجيمها، وهذه المهمّة هي مهمّة للجميع.

وظهر في عملنا المسرحي الحتميّة التاريخية، لانتصار قضية الطبقة العاملة، من خلال تحجيم دور ابو قلم، والدعوة الان مطروحة في الساحة النقابية في الارض المحتلة لتحجيم دور " ابو قلم" غير الوفي لمصالح الطبقة العاملة.

جميل السلحوت :

ولكن قبل التعديل الاخير في المشهد الاخير من المسرحية لم يكن موقف العمال حاسما تجاه ابو قلم، ومن هنا كان موضع الاحتجاج الشديد على المسرحية، كونها لم تعكس حقيقة ان العمال هم الذين يلفظون المرتزقة ولا يتأخّرون في ذلك.

لماذا وجدت شخصية ابو قلم، في تقديري لمعالجة موضوع تكالب البرجوازية في ادعائها بتمثيل الطبقة العاملة.

خالد :

اود ان اضيف هنا، ان الطبقة العاملة الفلسطينية، طبقة معروفة ولها تاريخ نضالي طبقي وقومي عريقين، ولا يستطيع احد انكاره مطلقا او طمسه او تصغيره، من منا لا يعرف بنضالات طبقتنا العاملة واضراباتها الشهيرة منذ بداية الانتداب البريطاني، اضراب عمال سكّة الحديد، اضراب الريفاياري ـ مصفاة النفط ـ من منّا ينكر دور الطبقة العمالية ومؤتمر العمال العرب وعصبة التحرر الوطني وموقف الطبقة العاملة وطليعتها السياسية من قرار التقسيم، ومن مثالا يعلم ان جريدة الاتحاد هي جريدة العمال، وجميعنا نعلم انه بعد احتلال عام ٦٧ نما دور الطبقة العاملة في الارض المحتلة، وتبنّت العديد من الاطر واجيال الشباب فكر الطبقة العاملة، وذلك بعد قناعة راسخة بفشل الايديولوجية القومية في حل القضية الفلسطينية، وبالتالي في خضم هذه العملية، من الطبيعي جدا، ان تظهر عناصر متذبذبة، برجوازيّة تدّعي تمثيل الطبقة العاملة، في الجانب الاخر هذا لا يغضّ نظرنا عن رؤية الجانب المشرق المتجسد في الاتحاد العام لنقابات العمال، والنقابات المنضوية تحت لوائه، أرغب في الانتقال الى الجوانب الفنيّة.

راضي :

وأنا ارغب في ذلك ايضا، في البداية اود القول ان كل منّا يتأثر في عمله بالتجارب السابقة، المسرحيّة من ناحية مكانيّة، قد يتبادر لذهن احدهم سؤال، ما الذي جمع عمال مختلفي المهنة مع بعضهم البعض، هذا

Digitized by Birzeit University Library

اسلوب يتتبّع كثيرا حتى في الافلام، فيلم يصوّر طائرة تقع بركّابها ، هذا النوع، نوع السرد القصصي موجود، يقع بضعة افراد في واقع معيّن، ثم يتم رصد كل تحرّكاتهم وردّات فعلهم ونمط تفكيرهم ، حاولنا ان نعتمد اسلوب اللعبة، وكما رأيتم في هذه المسرحيّة، تناقضنا مع اعمالنا المسرحية السابقة، حاولنا فيها الاستغناء عن بعض العناصر وتقوية عناصر اخرى، وهي الاستغناء عن عناصر الاضاءة والديكور المبهرجَيْن .واستخدام بدلا منها وسائل بسيطة، حاولنا ان نجعل عنصر الفرجة عند المشاهد موجود ،عن طريق تقوية عنصر اللعبة ،والذي لا يتأتّى عن طريق التلاعب بالاضاءة او الديكور، وانما عن طريق العناصر (الممثّلين) ،هذا اوحى للبعض انه يوجد في شخصيّات المسرحيّة سذاجة وبراءة، هناك شعرة صغيرة تفصل بين السلبي والايجابي. حاولنا ان نطوّر قضيّة اللعبة في عملنا المسرحي، ان نعمل على تقوية الاداء وتقوية عنصر الفرجة .

محمد البطراوي

ارغب في الحديث عن بنية المسرحية، كما اوضح راضي المسرحية مجموعة عمال تقوم باللعب، هذا الشكل اعتبره مضيئا في المسرحية، اللعب هو شكل تجريدي جيد، صور على المسرح بشكل حركة متناسقة ، لكن مثل هذاالتناغم الذي وجد في الشكل التجريدي، حبذا لو وجد شبيهه في الحركة الداخلية، حركة العمل نفسه، لو استطعنا ان نصل الى نفس الاسلوب في الايحاء لخرجنا بشكل ابداعي متميز، في حركة الممثلين على المسرح كان في العمل المسرحي جوّان ،جو متحرك تجريدي جيّد، الكرسي تارة اداة وتارة ديكور، لكن الخلفية الاخرى لم تكن متناغمة مع المقدمة، لذلك لاحظنا في بعض المواقع بطئاً في الايقاع، وفي مواقع اخرى سرعة في الايقاع، حبذا لو كانت الحركة الخلفية خالية من تجسيد، مثلا "السيارة" دون الحاجة للانبطاح على الارض لتصليح السيارة، لو استبدلت السقّالة مثلا بخازوق او ما شابه .

راضـــــي :

ارغب في الاستفسار، هل وجدت اللوحة الخلفية واقعية ام تجريدية ؟.

محمـد البطـراوي :

رأيت فيها كثيرا من الواقعية، ولم المس هذا التناغم ما بينها وبين الحركة في الجزء الامامي من المسرح ، ايضا من ضمن عملية التناغم ، مثل هذه الحركة، لم تنعكس تماما على حركة الممثل، تصرفاته، طريقة التفكير ، سرعة اللعب بخصوص الاضاءة ، ربما فرض عليكم الظرف عدم استخدام الاضاءة، والتي لمست انها مسطّحة طوال الوقت تقريبا بتصوّري ان الاضاءة عمل خطير جدا في العمل المسرحي، فهي جزء ، جسم في العمل المسرحي ، وبتصوري انه كان بالامكان استغلال الاضاءة بشكل اكثر وافضل في الخلفية وليس في المقدمة .

وبخصوص الغناء ، انا من مؤيّدي المسرح المغناة، الذي يهدف الى احضار او استرجاع تراث معيّن، مسرحنا بطبيعته غنائي، والموسيقى العربيةمتطوّرة بمراحل عن الموسيقى الغربية، حبذا لو ساعدت الاغنية على خلق الجو الدرامي لديكم ، للاسف كانت تقطع احيانا مكانها مبتورة بتراً، ولم يجر

Digitized by Birzeit University Library

استغلال واسع للموسيقى، وانا اؤمن ان العمل المسرحي يكتب بلغتين، لغة الكلام ولغة الموسيقى، وحيثما يعجز الكلام عن ايصال مضمون معين للمشاهد، تقوم الموسيقى بتبليغه إيّاه، والعكس صحيح ايضا .

ملاحظة اخرى، لم المس تدريباً كافياً للصوت، مخارج الكلمات والحروف، كثير من الكلمات لم نكن نفهمها، اطلب من المخرج راضي، ان يولي هذا الموضوع اهتماما خاصا. ايضا، هناك قول مأثور يقول " اذا جُرّدت المسرحيّة من كل شيء في النواحي الفنية يجب ان يبقى في النهاية قصة، هذه القصة يجب ان تكون لها "معقوليّة" معينة، والتي اطالب بها، حيث ان المسرح اكثر مسؤولية من الحياة، يجب ان يَكوّن الممثل الذي يتحرك على المسرح نمطا معروفا وليس حالة شاذة، ويجب ايضا ان احترم الشخصية التي اقوم بوصفها على المسرح، وان لا اجعله مضحكا كونه اعرج او اعور، بل ما يبعث على الضحك هو الفعل وليس المظهر الخارجي .

خالـــد :

اود ان اشير الى لفتات جيدة في العمل المسرحي تغريب العبيد تجلّى في هذه الوجوه الجديدة والتي تعبر عن قدرات بحاجة الى صقل، وايضا التجاوب مع الحضور في تعليقاتهم وتعقيبهم، وبتصوّري اننا نستطيع القول انه من ناحية الشكل وجدت اسقاطات معيّنة بحاجة الى تفاديها، ليس فقط في هذه المسرحية وانما في مسرحنا بشكل عام، وجيد ان يدعى بعض المهتمين الى بروفات وتدريبات الفرق. وفي الجانب الاخر ذُكر ان تغريب العبيد" هي المسرحية التي اثارت جدلا كبيرا في الصحف والمجلات، وذلك لكون الموضوع الذى طرقته المسرحية موضوع حساس جدا، موضوع طبقة عاملة تحتاج لربط اكثر . ومن ناحيتي ادعو لان تكون هناك علاقة متينة بين كاتب المسرحيّة وطاقم التمثيل . للكاتب ابداعه، وفي الوقت نفسه يجب ان يكون ملتصقا بالمسرح ليطّلع على امكانات وقدراته، لا ان يكتب مسرحيته وهو جالس في منأى عن المسرح والمسرحيين. والحقيقة انني ارغب في سماع اراء وتعليقات باقي الطاقم الفنّيّ، اريد ان اسمع الانطباعات الشخصية .

نضـــــال :

ارغب في التأكيد على احساس تولّد لدي، إنه يمكن للمسرح ان يعبر عن اية شخصية كانت عن طريق الارتجال اي يمكن نقلها وتوصيلها عبر المسرح عبر قضيتين، الاولى: وجود موضوع نرغب في ايصاله للجمهور، والثانية: مراقبة العمل من خلال وجود المخرج .

جميـل السلحـوت :

لدي سؤال خاص لك، هل لو أُعطيت دورا غير دور الفران لكنت قادرا على القيام به ؟.

نضـال :

استطيع ان اقوم به ولكن ليس بهذا العطاء، كما في دور الفران .

بالنسبة لي مثلي مثل غيري، اول تجربة لي كانت تغريب العبيد وقد وصلت الى اكثر من نتيجة من خلال هذا العمل، احدى هذه النتائج انني استطيع ان اقف على خشبة

Digitized by Birzeit University Library

المسرح امام متفرّج واحد او اكثر ، واستطيع ان العب دوراً لشخصية بعيدة كل البعد عن شخصيتي الذاتية ، ايضا وصلتفي داخلي الى قناعة انني على استعداد لان اسمع اكثر من انتقاد وبكل روح جادة بهدف الاستفادة وارى ان هذا الاستعداد موجود لدى باقي اعضاء الفرقة، ايضا هناك قضيّة ، اننا هواه، وعملنا هو العمل الاول الا اننا تطرّقنا الى موضوع حساس جدا في عملنا الاول ، ورغم طول فترة التدريب والجهد الكبير المبذول ، الا انني ارى انه كان من المفروض ان نبذل مجهودا اكبر، وان يشاهد تدريباتنا عدد اكبر من المهتمين .

جميـل الحوسانـــي :

في بداية التدريبات ،كنت اخشى من امرين ،الاول :ان ذاكرتي سيّئة وبالذات في حفظ الجمل والعبارات ، والامر الثاني انني لم اكن من هواة من يقف على خشبة المسرح. وعندما عهد لي بدور،وجدت ان هذا الدور هو الذي يناقض شخصيتي تماما ، ويتزامن مع وجود العديد من امثال"ابو قلم" في ايامنا الحاليـــة .

الان ، بعد هذه التجربة عندي تصميم ان اتابع المسرح لانني اكتشفت بعد العروض وجود امور كثيرةكنت ارغب ان اقولها في القصّة، استطعت تجسيدها على خشبة المسرح، وجدت ان علاقة المسرح بالجمهور اقوى من الكلمة المكتوبة .

عبـــد الســـلام :

استفدت من التجربة ، اولا تعرفي على زملاء واصدقاء جدد ، زميلة من عكا وزميل من الخليل وهكذا استطعنا في هذه التجربة ان نتفهم بعضنا البعض ، وبخصوص شخصيتي في العمل "أبو العبد" تتناقض كليا مع شخصيتي الذاتيّة ،وبالذات في الفارق الزمني الكبير ، وايضا قضيّة جيدة ، لقد حافظنا جميعا على لهجتنـــا .

وسيـــم : هذه نقطة ليست في صالحكم على الاطلاق .

عبيـــر :

بشكل شخصي في المجتمع الذى اعيش وجدت صعوبات من جانب ، والاهل قابلوا بتشجيعي من جانب آخر، وجدت صعوبات كبيرة في حضوري هنا ، المجتمع هنا يختلف عن مجتمعنا ، ايضا مشاكل في قضايا ايجاد مسرح وما شابه ،ولكنني مع ذلك كنت محرّة على العمل في المسرح ، ايضا لمست هنا ان الاهتمام بالمسرح ليس محصورا في جيل معين ،حيث شاهدت المتفرج الطفل ، والشاب والكهل ، شاهدت الفتاة والشاب ، ومن خلال الدور الذى قمت به استطعت التعرف على ردّة فعل المشاهد ، استطعت ان ارى النقد الموضوعي الجاد والنقد غير الجاد واستطعت ان استفيد من الانتقادات الجادة .

نضـــال :

البداية كانت قبل هذا العمل في مؤسسات ونوادي شباب انضممت لدورة في التمثيل الصامت مع فاتح عزام ، وكانت فرصة ممتازة لي ان اعمل مع طاقم تغريب العبيد، الفرقةالتي تجمع من الجليل والخليل ، وهذا ما يبعث في نفوسنا الامل في كوننا شعب واحد اصحاب قضيّة واحدة وشعرت انني انسجمت

Digitized by Birzeit University Library

مع شخصية مسعود ، وايضا استفدت منها .

وجانب اخر، احبطني ، جانب الانتقادات غيرالبنّاءة والتي وجهها العديد من النقاد وباسلوب بعيد كل البعد عن النقد البناء الهادف والحريص على المسيرة المسرحية .

ابراهيـــم :

في تصوّري بخصوص موضوع النقد . كل ناقد كان موضوعيّا فيما يتعلق بروءيته الخاصة.

خالـــد :

دعونا نسمع ماذا يقول على الحجاوي الذي بقي صامتا طوال هذه الندوة .

علـــي :

في الحقيقة كنت اريد ان استمع لما يقوله زملائي ، تجربتنا في تغريب العبيد ،كانت ناجحة الى حد ما ، وجّهت انظار الجميع الينا ،سواء كانت تعليقاتهم ايجابية ام سلبية، بالنسبة لي لم تكن هذه تجربتي الاولى في المسرح ، ولكنها كانت ذا طابع خاص بعـــد ابتعادي مدة طويلة عن المسرح ، التجربـــة جددت لدي قضايا كثيرة داخلية كانت مجمدة وبخصوص الدور الذى لعبته " ابو العلا ـ الميكانيكي" انسجمت معه ، شخصية موجودة تعمل لديها ،رب عمل اسمه "ابوجلدة" وعلـى رأى " ابو العلا" هو وطني، وقد اسيء فهم هذا الموضوع وعلى لسان ابو جلده " ان الحل لا يأتي من الخارج بل من الداخل" ، حيث نشرها احد الاخوة النقاد على راحته عندما قال:إن " علي الحجّاوي يطالب بفصل القيادة عن الجماهير في الداخل" ، هذه الترجمة الخاطئة لتفسير المقولة يعني عدم وضوح روءية لدى الاخ الناقد ، وبخصوص المسرحية أرى انها واضحة ، لا يوجد فيها لبس" خاصة واننا أخذنا بعين الاعتبار كافة الملاحظات اثناء فترة التدريب واثناء العرض ، والذي لا يغلط لم يتعلم مطلقا ، وانا على استعداد لان أحدث أية تغييرات بناء على ملاحظات اخرى جديدة وجادّة .

جميـل الحوسانـــي :

تعقيبا على الموضوع ، انا اتبنّى في حياتي مقولتين او فكرتين او فلسفتين في عالم النقد ، ما بين الناقد والعمل الفني ، الاولى لكاتب فرنسي يقول: " من حقّك ان تقول، ومن حقك عليّ ان أسمع ماتقول ،ولكن ليس من حقّك ان تفرض عليّ ما تقول "، في الوقت نفسه يقول المثل الشعبي " خلاف الرأي لا يُفسد المرء قضيّته" ، هاتين النقطتين هامتّين في تعاملنا مع النقّاد .

وســـيـــم :

اعتقد انه آن الاوان لان نسمع راضي في كلمة آخيرة .

راضـــي :

ارغب في النهاية ان اعبّر عن احساس بالفارق الشاسع والجوهري في مستوى الندوة اليوم عن الندوة التي اجريت معنا قبل ايام وذلك من خلال جوّ الندّوة، حيث اننا اليوم استفدنا كثيرا ، واعتقد ان جوّنا اليوم ، حوارنا

Digitized by Birzeit University Library

اليوم هو الحوار الخلاق المفيد ، انا اليوم استفدت كثيرا .

وبتصوري ان وجود امثالكم اليوم ، اناس يقدّرون ، يقيمّون بعلمية وبرؤية واقعية ، وباسلوب بعيد كل البعد عن الخبث ، وبطريقة الحبّ والحرص الذي تحدّث عنه ابوخالد ، وجود امثالكم يؤكّد ان اوضاعنا المسرحية بخير وبأيدى امينة .

قضية اخرى جرى الحديث عن تجربتي كمخرج مع هواة يظهرون على خشبة المسرح لاول مرّة ، تقولون انها مغامرة صحيح ، كان امامي خيارين ، الاوّل اصل الى الجمهور بمسرحيّة قويّة مع ممثّلين ذوي تجارب في هذا المضمار ، والثاني أن أطرق مواضيع حسّاسة في قلب كل مشاهد ويقدّمها ممثلون هواة يساعدون فيوضع تصوّرات عن طريق الاسلوب الارتجالـــي .

وانا شخصيا فخور جدا بالطاقم الذي نفّذ " تغريب العبيد " .

وســـم :

نشكركم ، ونتمنى ان نلقاكم في عمل مسرحي آخر ، ونتمنى لكم ولجميع المسرحيين كل تقدم وازدهـــار .

Digitized by Birzeit University Library

العاجزون والقادرون
في قبل الظهيرة وبعد المساء
إضاءات في قصص قصيرة جداً
للحرب الرشيقة قبل أن تنام

بقلم : وضاح السعد

ان الاستاذ محمود شقير وقصه القصيرةجداللحرب الرشيقة قبل ان تنام والتي نشرت في مجلة " الكاتب" العدد "٨٤" لسنة ١٩٧٨ م، وضعنا امام عمل ادبي جديد وصعب للغاية مكرس في الاساس للحديث عن الحرب، لكن كل قصة فيه تحمل في طياتها مفاهيم انسانية عظيمة لن نستطيع ابرازها الا اذا تناولنا بالتحليل كل قصة والتي تليها لنجد المفقود ولنظهر التناقض الذى اراد منا ان نحس به .

انك عندما تقرأ " عرس" و" امومة" تلمس من العنوان ان الامومة مكملة للعرس ومن خلال كلمات " عرس " البسيطة وجملها القصيرة تحس بوحشية الحرب واستمراريتها لتشعر بمرارة الموت المفاجئ الذى جاء في ذروة الفرح . وفي الوقت نفسه فانك تسمع صوتا قويا مدويا يدعوك الى الصمود والتحدى ومتابعة النضال .

فما اعظم ان يندلع الغناء من جديد . انك حتما ستغني مع اهل المخيم حتى لو كنت لا تجيد الغناء من قبل .

فأنت ايقنت الان ان استمرارك في الغناء بالرغم من المصيبة سيجعل القناص عاجزا عن تحقيق هدفه في ايقاف عجلة الحياة في المخيم .

Digitized by Birzeit University Library

وفي " امومة " تجد تفسك امام عدو هو الاخر لا يريد لك الحياة . انه " الضابط الشرس" انه الاحتلال البشع الذى يتحين الفرص للقضاء عليك. لكن لا بأس استمر في الغناء وستجد ملايين البشر من محبي الحرية والاشتراكية يتضامنون معك . انه التضامن الاممي الضرورى لتحقيق حرية الشعوب نراه وقد تجسد في شخصية المحامية الشيوعية التي استطاعت برفضها وتصميمها وحبها للانسان ان تحمي الولد من تحقيق شهوة القتل عند الضابط الشرس .

واستطاعت ان تعيد له الامومة التي فقدتها والى الابد " عروس" ماتت من طلقة القناص .

فيا له من تناقض حاد نعيشه . تناقض بين دور قناص مسلم شيعي ودور محامية يهودية شيوعية .

ان الاحساس ببشاعة الحرب وقسوة الاحتلال ينتابك مرة ثانية عندما تقرأ قصة " لا احد" و"ارغفة " وتبرز امامك صورة توقف الحياة المفاجئ ، وحالة الذعر والفزع التي تنتاب الشيوخ والنساء والاطفال . فكل شيء في المدينة اصبح غريبا وحيدا .. جامدا .. تنتاب الشيوخ والنساء والاطفال . فكل شيء في المدينة اصبح غريبا وحيدا .. جامدا .. عاجزا عن ان ينطق . فلا داعي للنطق .. كل شيء يحكي عن نفسه .. انها الحرب اللعينة التي يواجه مخلفاتها انسان ضعيف هرب في يوم ما تلافيا لويلاتها ومن ثم عاد الى المدينة ليجد نفسه عاجزا عن مساعدة احد بشيء .. لا يقوى لسانه ان ينطق ولو بكلمة احتجاج واحدة ضد الحرب ولانه ضعيف وجبان انتابته موجة من الحزن والكآبة فظل يبكي حتى الموت .

وبنفس القدر من الخوف والرعب والوحدة وعدم الاستقرار ينتقل بنا الكاتب الى زنزانة ضيقة يسودها الصمت المحير . استطاع بكل ذكاء استنطاق اشياءها العاجزة في الحقيقة عن الكلام فافهمنا بذلك انها كانت في الماضي كما هي في الحاضر والمستقبل مسرحا للاستمرار والموت الدموى .

فالموت اذا كان الموضوع الاساسي لهاتين القصتين لكنه في "ارغفة" كان ايجابيا ومشرقا لان المناضل السجين مات رافضا العيش بذل .انه التناقض بين شخصية الانسان الصغير الهارب العاجز عن مواجهة الصعاب وشخصية المناضل المتحدى لها .

وفي قصة " افتقاد " و " رحيل " جاء الافتقاد قبل الرحيل مع ان العكس هو الصحيح فهل اراد الكاتب ان يقول لنا بأن معرفتنا المسبقة بحتمية وقوع المصيبة يعتبر امرا مخزيا ؟ وهل هذا ما يحدث لاى انسان كان عندما يفكر بانه سيموت في يوم ما ؟ وهل هذا ما يحدث عادة اثناء الحروب عندما لا يجد العاشق بدا من التوجه الى الجبهة لتبقى حبيبته تعيش على امل ان يعود سالما ؟.

نعم هذا ما اراد . ان يقوله الكاتب في " افتقاد" لكنه في " رحيل" والتي هي الاخرى لا تخلو من الافتقاد يقول لنا شيئا آخر . لقد اراد ان يقول :

" انه لمن الحماقة ان تعشق او تحب انسانا او شيئاما وتدرك انك ستفتقده قبل الاوان وتقف عاجزا تتمنى عدم فقدانه ولا تعمل من اجل ذلـــك ".

فالتمني ان تكون المدينة بلا مبنى والتعاهد على اللقاء بعد انتهاء الحروب

Digitized by Birzeit University Library

غباءا ومخالفا للواقع ، واقع ان الحرب ليست هي الاخيرة وواقع ان الحرب في كل يوم تزداد تعقيدا ولا احد يستطيع بالتمني ان يحدد مجراها .

وعندما تقرأ قصة " انفصال " و " ديمومة" نجد ان الديمومة تقيض الانفصال كما هو الحال بالنسبة للحرب والسلام . وديمومة علاقات الود والمحبة بين البشر او عدمها تعتبر امورا يتحكم فيها البشر انفسهم وكذلك بالنسبة لوقوع الحرب او احلال السلام هي الاخرى امور يتحكم فيها البشر . والتفكير بالسلام يظهر اثناء الحرب او حين ظهور تهديد بوقوعها . فكل من المرأة والرجل في "انفصال" " فكر مبادلة الاخر الكلام ، لكن المصالحة لم تتم . لقد حالت دون ذلك منغصات ومعوقات جاءت على غير ميعاد انها الحرب ثانية التي تسببت في انهمارالدموع .

وفي "ديمومة" يبين لنا الكاتب سبب استمرار الحروب الناتج عن وجود اناس في عالمنا لم يذوقوا ويلات الحروب اناس انانيون غير مستعدين للتفكير ولو للحظة في مصائر الشعوب . انها الامبريالية الامريكية التي لم تسقط على اراضيها ولو قنبلة واحدة .

وفي قصة " جنازة " و" شقق" يحتقر الاستاذ محمود الانسان العاجز عن رؤية ما يدور حوله الرافض للانخراط الفعال في شتى جوانب الحياة بافراحها واتراحها . فالكهل النحيف ذو العنق الطويلة المضحكة الذى عاش طوال حياته في اجواء مفرحة مبتذلا بذلك اى حياة اخرى مات وحيدا كئيبا . وذهبت حياته التي اعتقد انه عاشها حتى الثمالة ضحية لهذا الابتذال . فتخلف الراقصات عن حضور جنازته كان انتقام الكاتب من انانية وذاتية الكهل .

وبعد ان وضح لنا مصير الانسان الذى يبتذل الحياة ينقلنا من خلال قصة " شقق" الى ابتذال الحكومات لارادة شعوبها مبينا مأساة هذه الحكومات الكامنة في تشبثها بتوافه الحياة . فبالرغم من الصورة الجميلة المرتبة التي رسمها للشقق العشرين حيث الدفء والطمأنينة استطاع ان يكشف لنا من بينها عفن الابتذال الذى نلحص في تمنيات نسوة الشقق العشرين " الا تقع الحرب التي يتحدثون عنها في الاذاعات قبل ان يعود ازواجهن من مكاتبهم الوتيرة " .

والكاتب لم ينتقم من هذا الابتذال كما حدث ذلك في قصة " جناز) " فمصير الابتذال واحد ولا حاجة للتكرار لكنه سخر من اعتقاد النسوة بان قماش الستائر المذهب قادر على صد الحرب ومنعها من الدخول. دون استئذان وهذا يعني ان الحرب لا بد ستطولهم وتدمر حياتهم والافضل لهم ان يفكروا بأمور اكثر واقعية قادرة على صد الحرب وتحقيق السلام

وها هي قصة " انسجام " وبطلها سيد البيت الانسان الاناني والعجوز البرم الذابل الناقم على الحياة بعمل هو ومساعدوه على اثارة الحروب وقهر الشعوب تراه يبحث عن زوجته في البيت الفسيح فيجدها بعد ان فتش كل الاماكن التي تدل على قدر كبير من الرقاد والرخاء . لكنه بعد ان عثر عليها يصطدم بواقع انها تفيض بالحياة . فيقف عاجزا امام هذه الحياة لا يراها ولا يفقه شيئا منها فيحبرها بقراره في القضاء على الحياة في امريكا الوسطى والشرق الاوسط لكن وبالرغم من قراره هذا الا ان الحياة ستستمر ليس في امريكا

Digitized by Birzeit University Library

الوسطى والشرق الاوسط وحسب وانما في العالم كله .

ومن بين كل هذه الكتلة السوداء من الحقد على الحياةوعلى الذين يعرفون معانيها تبدأ الرحلة القاسية من خلال قصة " رحلة" حيث تمضي امرأة فقيرة اعتادت منذ سنوات على قطع نفس الطريق حيث البطالة والفقر والجوع ، امرأة بالرغم من صعوبة الحياة لم تعرف عيناها الدموع تتصدى للريح القاسية في الطرقات الوعرة بما لديها من مقومات بسيطة وارادة قوية مصممة على التخلص من كل المعوقات التي تحد من قدرتها على متابعة المسيرة الى رغيف الخبز الى الحياة الافضل .

انها الدعوة الصادقة الى النضال المرير القاسي ضد قوى الشر الحاقدة ضد الحروب والفقر والجوع ومن اجل بناء الحياة الافضل ومن اجل سعادة الشعوب .

انها رمز الشعوب المضطهدة القادرة بارادتها على تحقيق حريتها وبناء حياتها الافضل .

وبعد فان القارئ لقصص محمود شقير هذه ، لا بد وان يسمع من خلالها نداءا هادئ ودعوة صادقة صادرة من اعماق قلب الكاتب الكبير ، موجهة الى عقول الناس السعيدة النظر بمواقفهم وليغيروا ما بانفسهم وليتذكروا دوما حاجتهم الماسة للعيش على الارض بسلام لتحقيق حياة افضل .

وهذا لن يتم ولن يتحقق الا اذا فهم كل فرد في هذا الكون معنى الحرب واحتويلاتها وعمل دون كلل او ملل مع كل المناضلين من اجل وقف الحروب وتحقيق مبدأ التعايش السلمي القائم على العدل والحرية لجميع الشعوب . فهذه حتمية يؤمن بها ويناضل من اجلها ملايين البشر ولا بد للحرب الرشيقة من ان تنام .

الفهم الفلسفي للقصص
قبل الظهيرة .. بعد المساء

اذا كان الصباح من الناحية الزمنية يسبق الظهيرة والليل يتبع المساء فلا بد ان الصباح يأتي بعد الليل والوضوح يأتي بعد الظلام .

ان تاريخ العلوم يدلل على ان معرفة جوهر الاشياء مستحيل دون الاخذ بالحسبان تحليل الاشكال المختلفة لظواهره . وفي الوقت ذاته فان الاشكال المختلفة لظواهر الجوهر لا يمكن فهمها فهما صحيحا دون الغوص في " اعماق " الجوهر .

هذا المفهوم الفلسفي وهذه الحقيقة العلمية اوردها الكاتب في قصة " طعنة " و "رعب" من خيال ضمير المتكلم " انا " ومن خلال امرأة تعرف عليها عن طريق الصدفة واخرى اعجب بها .

فنجده بسبب اعتماده على ظاهرة واحدة من تصرفات مارثا شبهها بالعصفورة الرقيقة التي تستحق كل اهتمام ، ولكن بعد ان بادلها الحديث وغاص في اعماق افكاره اكتشف انها

Digitized by Birzeit University Library

تكره القطاع العام ، تحب الملوك، تكره الناس، تكذب ، معادية، لا وطنية ، عنصرية، متعنتة ، حاقدة ، مجرمة. فكانت هذه الصفات كل ظواهر جوهرها الذى تستر وراء قناع محافظتها على التقاليـــد .

ولنفس السبب نراه مرة اخرى يتصاع لخواطره التي التمعت في رأسه واصدر حكمه على المرأة في قصة " رعب " بأنها عميلة في جهاز المخابرات . ومع نهاية القصة نفهم ان حكمه هذا كان خاطئا فهي الاخرى في حالة رعب من المخابرات . الامر الذى كان بامكانه التعرف عليه لو انه استطاع معرفة سبب توغلها في الاكل لكن هلوساته وسيطرة ارهاب المخابرات على تفكيره حال دون ذلك .

ان الاستاذ محمود شقير بطريقته الادبية الفريدة من نوعها والتي تشبه الى حد بعيد طريقة الكاتب الروسي العظيم " تشيخوف" يتوجه الى عقول الناس وليس لافئدتهم يطلب منا بكل ادب واحترام ضرورة ان نفرق بين واقع الاشياء وبين ما نعتقد انها تمثل .

فمن خلال هاتين القصتين نلمس ان حركة المعرفة عند الانسان تسير من ظواهر الاشياء الى جواهرها ،مبتدئين بذلك من تحديد الصفات الخارجية ومن ثم تحليلها والربط بينها . فمن خلال ظاهرة واحدة او صفة واحدة لا يمكننا التعرف التام على الجوهر الذى قد يظهر في عدد كبير من الصفات والظواهر . كذلك فان الجوهر من خلال الظواهر لا يمكنه الظهور فقط وانما التستر ايضا ــ مارثا لاول وهلة كانت رقيقة مثل عصفورة لكنها في الواقع لم تكن كذلك فالظاهرةهنا لم تدلنا على الجوهر الحقيقي .

وهذا كثير الحدوث في عملية المعرفة الحسية عندما نصطدم بواقع ان الظاهرة تبدو لنا ليس كما هي في الواقع .

ومن هنا يأتي الاعتقاد الخاطئ الذى يظهر نتيجة تأثر الانسان بعلاقات معينة ووقوعه في ظروف موضوعية خاصة وهو بذلك لا يعتبر نتاجا للتفكير العلمي الصحيح ــ ظهور فكرة ان المرأة عميلة في جهاز المخابرات التمعت برأسه فجأة ليس بدون سبب فقد عانى الامرين من بطش المخابرات ولا بد انه يعيش في بلد يسوده القمع والاضطهاد ومن المستحيل ان تلتمع مثل هذه الفكرة عند انسان آخر يعيش في مكان آخر يخلو من القمع والاضطهـــاد .

وبعد ان اضاء لنا الطريق وبين ضرورة التسلح بهذا المفهوم الفلسفي انتقل لتبيان الاثار السلبية والمدمرة والتي تمس الصالح العام في حال عدم استعماله .

فمن خلال قصة " فراغ" والتحليل الفكرى لابطالها نجد التناقض الحاد بين شخصية " العجوز الصماء " التي عبرت بكل صدق عن جوهرها الطيب بحبها اللامحدود " للقط المشرد" ورغبتها الاكيدة على مساعدة الرجل والقط الشريدين : وشخصية " المرأة التي يطفح جسدها وبفيض من تحت البنطال " تلك الشخصية التي تعبر عن القوة والسيادة والتخمة حاملة في الوقت نفسه كل احتقار السادة للضعفاء المشردين .

وبينهما يقف " الرجل الذى اعياه التشرد بعيدا عن وطنه " لا يعي شيئا من لواعج العجوز ولانه عاجز عن فهم جوهرها نراه يعتقد ان نهاية تشرده سيكون عند المرأة

Digitized by Birzeit University Library

القوية ، فيدعوها الى كأس من البيرة ليتلقى صفعة قوية من عدم استجابتها فيحس بغتة انه ريشة تذروها الرياح او كلب ضال .

انها نهاية الذين لا يفهمون مايدور حولهم من ظواهرواحداث ولا يجدون سببا لظهورها .

انها نهاية نظرة البرجوازية الفلسطينية الكبيرة في المهجر المستعدة للدخول في مساومات مع الامبريالية الامريكية واسرائيل والانظمة الرجعية العربية على حساب اهداف النضال الفلسطيني .تلك النظرة التي برزت نتيجة لظروف ذاتية واخرى موضوعية صعبة . ظروف الفراغ والوحدة والتعامل مع الظاهر دون الباطن .

وفي قصة " قطة" يقول لنا الكاتب ان التخلي عن الثوابت ارضاءا لرغبات آخريـن لا يوجد لديهم في الواقع اى نية في مد يد العون والمساعدة لنا يعتبر حماقة ما بعدها حماقة .

فالمرأة الوحيدة التي تعيش مع القطـة والتي بحاجة الى رجل كأى امرأة اخرى جاءها الرجل بعد طول انتظار رابطا امكانية بقائه في البيت بتخليها عن القطة التياحبتها .

والمرأة تنصاع لرغباته هذه وتتخلى عن القطة في سبيل ان لاتغضبه فتشعر بالذنب وتكتشف ان الرجل يغادر بيتها نهائيا لتبقى وحيدة من جديد .

ان هذه القصة جاءت لتعبر عن فترة زمنية محدودة من تاريخ النضال الفلسطيني .. فترة الليل الذى تبعه الصباح . جاءت قبل الظهيرة .. بعد المساء . تلك الفترة التي احتدم فيها الصراع حول قبول او عدم قبول قرار مجلس الامن "٢٤٢" وقرار الجمعية العمومية " ٣٨٣" كأساس لحل القضية الفلسطينية الامر الذى حاولت كل من الامبريالية الامريكية واسرائيل والرجعية العربية جعله شرطا مسبقا لاى محادثات لحل القضية الفلسطينية .

فهل حقيقة ان الولايات المتحدة الامريكية التي " يطفح جسدها ويفيض من تحت البنطال " ستعمل من اجل حقوق الشعب الفلسطيني اذا ما وافقت م.ت.ف. على القرارين ٢٤٢ و ٣٨٣ ؟.

الجواب تجده عند المرأة التي بقيت بدون قطة وبدون رجل .

Digitized by Birzeit University Library

شتاء

اشرف غيطان ـ الاردن

خارج الغرفة يهطل المطر، بل ينهمر كما من صنبور ماء فتح على اتساعه . طوال الليل كان ينهمر ولم يتركني انام ، وها هو الان يحبسني في الغرفة. ينهمر كرشاش حمام ، احس بحباته الكبيرة تضرب على رأسي بنقرات قوية مؤلمة، بل انها تنقر على قلبي، احس بالالم ، المطر ينهمر بكثافة على قلبي يجعلني اختنق . الساعة الان الثالثة بعد الظهر، والمطر ما زال ينهمر . لا ارى شيئا ، اسمع فقط اصوات المطر ينقر على السطح كالحصى، اسمع صوت سقوطه على السطح واصطفاقه بالبلاط، اسمعه يلطم الزجاج كطائر ، اصطدم به ولا اميزه . اسمع كل شيء ولا ارى شيئا ، بالاحرى لا اريد ان ارى . فانا اغرس رأسي في الوسادة واسمع نفسي" عليك اللعنة يا سلطان " ، تتجاوب الدعوة في تجويف رأسي فيعلو صداها ، وكأن احدا يصيح باعلى صوته في اذني مباشرة، فأدفن رأسي في الغطاء ، احتمى من الصراخ حتى يتلاشى . ارفع الغطاء من جديد، اسمع اصواتا .. انها قريبة، انها هنا تحت النافذة . اصيخ السمع مجرفة تحفر في الطين ، ماء يصطفق بالارض الصلبة ، رجال يتحدثون ...

ـ انا لا اذكر في حياتي شتاء مثل هذا . تصور اننا اصبحنا على البئر، ممتلئة الى خرزتها x . انظر الى المزاريب، انها لا تستوعب الماء . انه يفيض من على حافة السطـــح .

ـ انظر ، انظر، ما انظف الماء . لقد غسلت هذه الشتوة كل الشوارع ، كل اوساخ البلد ، لقد اراحت البلدية . انظر كيف اغتسلت دار سعد الموسى وعادت تضحك مثل العروس . يا رجل، والله كان منظرها مثل الكلبة الجربة .. ضحك ... صوت ضحك .. صوت مجرفة واصطفاقها بالطين .. صوت مطر .. صوت المزراب يقذف الماء على البلاط .

ـ الماء يغسل الوسخ الظاهر، لكن ماذا سيغسل وسخ الناس الذي بداخلهم .

ـ السمكرى . خذهم على السمكرى، ينفخ

x خرزة البئر، حلقة من الحجر او الباطون تسد فوهة البئر وتثبت بها الغطاء .

Digitized by Birzeit University Library

في احدهم ، يجعل رأسه يهدر هدرا .

ضحـــك ....

صوت ضحك ، صوت مجرفة ، صوت مطر .. خرير مـــاء .

– لكن اين سينفخ فيهم ... فالثقوب كثيرة؟

اصوات من هذه ؟ اللعنة .. انهم جيراننا . بالتأكيد هم يسخرون مني اوسخ .. راس لا يعمل ... فليقولوا المزيد ، نعم انني استحق ذلك . رأسي خراب ، قلبي عفن .

بل من الافضل ان اغلق اذني ، لا اريد سماع صوت المطر اللعين ، لا اريد سماع اصوات الناس .وهل علي ان اسمع صوت مزاحهم الثقيل ؟.اللعنة على المطر والفرح ، اللعنة على الانسان ، على كل الناس ..

وادفن رأسي من جديد .

صوت شاحنة يتوقف قرب الرجال المطر على صفيح الالية اصوات رشاشات اوه .. اللعنة على الحرب ، انها كانت السبب اشتغلنا في البداية ، كان المدفع جيدا ، فجأة يتوقف كل شيء .

– ماذا تعمل يا منظور ؟.

– مثل ما ترى عينك ، ساحة الدار اصبحت بحرة ، اريد ان اصرفها الى الشارع .

– الوادي الكبير مد واخذ بقرة دار صالح العلي .

– دعها تأخذ صالح العلي بحاله، ولتأخذ نصف البلد.. السيء ، مقابل ان تسقينا ، تطعمنا .

– وما الفائدة؟ تأكل وتشرب سنة ، وتعطش وتجوع عشر سنين .

– وما رأيك ، هل نحتج على الله ؟.

" انني جائع .. جائع . على من احتج يا رسميـــة ...".

اطفال " يمرحون ، اسمعهم يخبطون الماء الذى تجمع في ساحة الدار بأرجلهم وهم يضحكون ، يتراشقون بماء المزاريب .. اسمعهم ، اسمع كل شيء ، وهمهمة الشاحنة في الشارع .. اللعنة على الشاحنات ! هل يتشرب الحديد والكاوتشوك الماء ؟ هل يمكن ان تزرع فيه شجرة زيتون ؟.

الله يجازيك يلي كنت السبب ، هل كان حلما ؟ لا ، غير معقول . انني جائع : يا رسمية ..."

لحد الان لا استوعب كيف جرت اللعبة ، لقد رأيت الفلوس بعيني ، عددتها بيدي ، فركتها وشممتها ، عضضتها بأسناني ، كانت فلوس حقيقية ، كانت كثيرة ، لم افكر بالتخلي عن الارض مطلقا . قلت اشترى الشاحنة ، الارض كثيرة ، الناس تبيع ، عندما تثل الشاحنة اعود فأشترى الارض .

يا الهي ، لم اكن افكر بالتخلي عن الارض مطلقا . كانت الفلوس تملأ جيوبي ويدي ، في المرة الاولى قلت : سأبني بيتا جديدا ، وبعد ذلك اعود واشترى الارض . وفي المرة الثانية قلت أأثث البيت وبعد ذلك اشترى الارض، المرة الثالثة قالت رسمية، نزوج الصبي ونشترى الارض، في المرة الرابعة .. لم تكن المرة الرابعة، فكم مرة يمكن للانسان ان يؤجل قضيتـــه ؟.

صحوت من حلم ، لا بل دخلت الى حلم اين الارض ؟ بعتها ،اين الفلوس ؟ صرفتها ، اين الشاحنة؟ استردها صاحب الشركة بعد عجزي عن تسديد الاقساط، اين البيت ؟ اخذه البنك بعد عجزي عن تسديد الاقساط، الفلوس كانت تجري بين يدي ، اين هي الان ؟ اين الان ؟ .. مستلق في غرفة باردة كئيبة

Digitized by Birzeit University Library

كالكلب الشريد اتضور جوعـــا .

انني جائـــع ... جائـــع .

ـ يا رسميـــة ...

اسمع صوت رسمية تلاحق الصغار وتلعنهم ،وتولول على حظها . اسمع خطواتها وخفقان الماء في الحذاء المطاطي . لعنة الله على النساء . هن السبب .. رسمية كانت السبب فيما وصلت اليه ، كل ذلك كان يرضيها لتتبجح امام النساء .

لماذا فجأة توقف عمل الشاحنات ؟ لحد الان لا افهم شيئ . هنا سرالموضوع ، لو لم يتوقف عمل الشاحنات لكانت حالي فوق الريح الريح ... البـــرد .

ـ اغلقي الباب بسرعة يا رسمية .

ماذا عندك للاكل ؟

= من اين لي الاكل وانت مرتم هنا مثل تيس عاهرة .

منصور ما زال يحفر، لماذا لا تتجمع المياه في ساحتي انا ، انها تنصرف ، كل شيء ينصرف من عندي بسهولة : الارض الوف الدنانير ، الاصدقاء ، العقل ..

ممن ستدين هذه المرة ؟ عليك اللعنة يا رسمية ، الم يكن بامكانك ان تتدبرى الامر؟ تراكتور يمر ويتوقف عند منصور .

ـ العوافي يا منصور .

" انه محسن ، صوته اعرفه. اشترى تراكتورا ولم يبع ارضا . عليك اللعنة يا سلطان ، كل الناس افلح منك ".

ـ شمس يوم واحد ، سترى القمح ، يا منصور ، صار مليد الله على الفريكة هذا العام ٠١

" لماذا يفرح الناس، يحلمون باشياء جميلة؟ ما الذى نجده مفرحا في هذه الحياة يا محسن وانت تقضي حياتك كلها شقاء بشقاء ما الذى يفرحه وهو لا يملك بقدر راحة الكف من الارض ؟ ، فليتوقف المطر .. عليه اللعنة .. في ارض من سينبت القمح، من سيأكل الفريكة ، من سيأكل القمح ؟ .. اريد ان اكل ، انني اتضور جوعا .. انني اتضور جوعا " .

أخرج من البيت ، اسمع صوت رسمية تصيح خلفي ان آخذ شيئا اغطي به رأسي ، اسير في الشارع لا الوى على شيء ،يبلل المطر رأسي ،يسيل الى داخلي، جاكيتي يبتل، ينفذ الماء الى القميص، احس الرطوبة على جلدى تلتصق ملابسي بجسمي .. كلي مبتل. لا صوت لاحد يسير في الشارع ، اسمع خرير الماء التي شكلت سيلا في الشارع ، صرير الصفيح هنا وهناك . تغوص قدماى في الماء .. تغوصان في الوحل "عتمة المساء تنتشر على امتداد الطريق ، بدأت اشعر بالرجفة .. اين انا الان ؟.

افيق بسمعي ، لا صوت مطر، نحيب ، اصوات كثيرة ، اسمع كلاما ، اسمع همسا .

ـ ربنا يكون بعونه، المصائب لا تأتي الا دفعة واحدة .

ـ ربنا يعلم ان كان سيقوم من هذه الواقعة.

ـ رأسه كما لو كانت نار .

اتذكر السمكرى و "بريموس" منصور الذى بحاجة الى نفخ، ابتسم .

ـ انظرى ، انه يحلم ، يبتسم ، يبدو انه يودع .

اسمع صوت رسمية منهارا مكدودا .

ـ يا ولداه، انا السبب، عليك اللعنة يا رسمية. الاولاد الشياطين كانوا يستحمون تحت المزراب ولم يمرضوا ، لماذا مرض هو لماذا مرض هو ؟

Digitized by Birzeit University Library

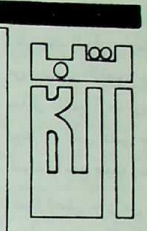

قصتان

خطوة إلى الأمام ...

بقلم : ناجي ظاهر

بدأت الحكاية في اللحظة التي احس فيها القط بالدفء في ان احس القط بدفء البيت الضيق. في الداخل، حتى بذل مجهودا شاقا في الدخول اليه، بأى ثمن . تطرده من هنا، يأتي اليك من هناك، دائما يستطيع ويجد الفرصة المناسبة، ليدخل الى البيت ، في خلال لحظات، تعقدت المشكلة ووصلت جدا اوشك ان يجعلها مشكلة — المشاكـــل .

تعقدت الحكاية اكثر واكثر ، حينما اقبل المساء ، فالبيت الصغير الجميل، لا يتسع لغير صاحبه، وزوجته وابنائه بيد ان اصرار الجميع على اخراج القط من البيت ، جعلهم يخرجونه بالفعل ١١ سهل الامر عليهم، صغر مساحة البيت.. غرفتان، تقوم احداهما بداخل الاخرى ، لهما باب ونافذة واحدة فقط . وبدون ان يتساءلوا : ماذا نفعل، لو عاد؟ كانت عيونهم تقول : لا يمكن ان يبقى القط الغريب في البيت ١١.

قال الاب لاحد ابنائه، حينما رآه يتململ في فراشه :

— نم .. الا تريد ان تنام ؟.

كأنما هذه الكلمات، جعلت الجميع يشعرون بالقلق يعود الى البيت . كأنما اكد القلق .. نهض الطفل من فراشه وقال :

— اريد ان اخرج.

فتح الاب — الباب، وخرج الابن. في هذه اللحظة عاد القط وتسلل بسرعة البرق الى الغرفة الداخلية. لم يشعر احد بتسلل القط الى داخل البيت ، لكن الطفل الذى عاد من الخارج . لم ينم . وتحرك طفل آخر نهض الاب متوترا ، وقال :

— اين هـو ؟ .

خرجت الكلمة من فمه جافة، قاسية، وجلة . تقلت احساسا ما، بان الليلة لن تمر على خير .

حمل الاب " خيزرانة" خبأها في احد اركان البيت لوقت الحاجة، حينما يفصر احد

Digitized by Birzeit University Library

الابناء في الدروس. وراح يهوى بها فوق اماكن ارجعت صدى الضرب. لم يخرج القط وفجأة قال الطفل الذى خرج منذ قليل :

ـ ها هو هنا بين الكتب والمدفأة .

تقدم الاب من مدفأة الكاز، هوى بالخيزرانة فوقها ، لكن القط لم يخرج نحس الاب القط . نزل القط من مكانه فوق المدفأة كان القط مخططا بالاسود والابيض، وبدلا من ان يخرج من الباب الذى فتحه الابن الصغير آنذاك، راح يغرس عينيه في عيني الاب ، لم يكن امام الاب غير ان يغرس عينيه في عيني القط . وراح القط بدوره يقوم باستعراض جسدى . شد جسمه. وارخاه وعاد شده وارخاه وشده من جديد . كان، في تلك اللحظة، اشبه بأسد يشد جسده للانقضاض على فريسته .. احست الزوجة والابناء بخطورة الموقف . وقفوا الى جانب الاب . وتقدم الاب خطوة الى الامام .

الافـــــق البعيـــــد

جذبت مقعدا ووضعته الى جانب مقعدها ، جاء بدون ان تدعوه وجلس عليه ، مال بجسده حتى لامس جسدها . وارسل نظره عبر سطوح المدينة . رأى رقطتين تطيران من احد السطوح وتحطان فوق سطح آخر . احس بحزن خفي ، لم يدر مصدره، وراح يتابع الرقطتين للتين راحتا تطيران هنا وتحطان هناك .

نظرت اليه وقالت في نفسها : لقد بدأت تكبر .. حقا بدأ يكبر . اصبح في الخامسة والثلاثين ... قبل عشرة اعوام ، حينما تزوجا ، كان يكبرها بعشرة أعوام ايضا ، لكنها لم تر آنذاك هذا الفارق في العمر بينهما .. الان تحولت الاعوام العشرة التي تبعدهما عن تلك اللحظة. والتي تشكل فارقا في عمريهما ، الى ثغرات بيضاء اخذت تتسلل ، في غفلة منهما ، الى رأســـه .

أمس قال لها : اذهبي الى والديك .. يجب ان يبتعد كل منا عن الاخر بضعة ايام .. لم يقل لها انه يريد ان يمتحن عواطفه .. هي ايضا لم تقل له شيئا مع انها فهمته الى النهاية، كما دائما . وذهبت الى والديها . في المساء لحق بها. وها هما يجلسان في هذا الصباح الجميل .

انتقل والداها ، منذ مدة للسكن في حارة السوق، ومنذ رحيلهما وهي تزورهما، كل اسبوع مرة على الاقل، كانت تقول له قبل ان تغادر البيت : عليك ان تأكل .. يوجد بيض وزبتون ولبنة .. حينما كانت تلتقي به عائدا الى البيت اثناء مغادرتها له ، كانت ترجوه ان يأكل فهي تعرف مدى كسله في هذه الامور امس قالت له : لقد وضعت لك طعاما في .. البراد .. وذهبت الى والديها ، بناء على طلبه . لكنه نسي الطعام والبراد ، وفي المساء لحق بها . ناما ليلتهما وها هما يجلسان في هذا الصباح الجميل . نسي، انه كان يقول لها :ان حي السوق ، شاخ، وان اصحابه اخذوا يغادرونه .. ويبنون بيوتا لهم خارج المدينة . نسي افكاره عن شيخوخة المكان. وراح يراقب الرقطتين كلما حطتا او طارتا .

لم يقل انه لم يستطع ان يبتعد عنها ، هي ايضا كانت تشعر بما كان يشعر به هو نفسه، لكنها لم تقل شيئا . عيناهما فقط قالتا كل شيء . قالتا ، ان احدنا لا يستطيع ان يعيش بدون الاخر . وراحت عيناهما تتابعان الرقطتين ، كلما طارتا من سطح وحطتا فوق آخر ... الى ان طارت الرقطتان وحلقتا في الافق البعيـــد .

Digitized by Birzeit University Library

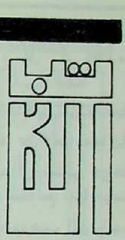

أنا .. وأنت .. وهذا المستنقع اللزج

بقلم : عطاالله قطوش ـ بتير

اكون مطر
اذا عانق الخصب فأسك
اذا كنت ثوب التلال .. وعاصمة العنفوان

xxxx

أكون شجر
اذا لم تسافر على فرس من صخر
اذا كنت ملقى على وجع الارض كيسا من الملح
او منذرا بخطر

xxxx

اكون قمر
اذا انتحر الليل
وقلبي ... وقلبك ...
وردة ... وردتام لاحلى جديلة
وروحي .... وروحك
شمعة ... شمعتان
تحرسان الفرح
تحرسان البراعم في ارضنا
في الليالي الثقيلة

xxxx

أكون وتر
ساعة الانهيار المعلب في خاطرى
وانهيارك نجما على كتب الشوق
او بلسما للجراح النبيلة

xxxxx

أكون ظفر
اذا كنت خارج هذا الخروج عن الوعي
خارج هذا الدخول الحرام
وكنت جنونا .. لهذا الجنون المشاع
وعقلا يحركه القادمون الى الجنة
لا اصبع النفط
لا بوصيلات الصفيح المهيج
لا ارتفاع الى القاع

Digitized by Birzeit University Library

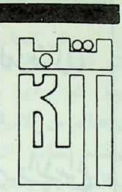

رفيق الخريف

محمد شريم

وجهي ووجهك يا رفيقي
منذ التقينا توأمان ...
لا تبرح القلب المصدع
منذ ان صعد الخريف
على الخريف ....
حتى ولو في غفلة من الزمان !
قدري وقدرك في الحقيقة
فلقتان .
أبشر رفيقي !!
كانوا كتلة عابثين ، تلهو على ضوء القمر ..
قالوا كجوقة منشدين ، تحت الصواعق والمطر :
هي يا مؤزر غيمة صيفية ، صبرا جميلا !
هي يا مؤزر ليلة وستنجلي ،
بل زلة قلم تنمحي ...
حلمك .. حلمك حتى تجرى الساقية
بهذى الصحراء ورغم المحل طويلا ..
يا أخي .. حلما ضئيلا !!
عشرون سنبلة رماها الصيف
منذ كان الوعد ،

منذ كان المجد مرمى الرمح ،
منذ كان الضوء مهزوما هزيلا ..
وجهي بوجهك يا رفيقي
أينما زفر الزمان ...
بكل درب سرت فيه محادرا ،
بكل مفارق الطرق ،
حتى بنسمة الشطآن ..
قالقت طلعتك القريبة ، رفيق ..
ورهبت بسمتك الرهيبة كالحريق ...
وأنا الغريق ،
أنا الغريق ...
أطفو على سطح القساوة
دون قش او بريق ...
لكن نجمي كلما اشتد الظلام
يزيد فيه تألقا ،
وكما رأيت غرزت كل اظافري
بجدار معبدك المقدس ...
فلقد كسرت الانتظار ،
ركلت قارعة الطريق ...

Digitized by Birzeit University Library

بمناسبة الذكرى العشرين للاحتلال
لقاء في تل أبيب
ضد الاحتلال ومن أجل حرية التعبير والإبداع

بدعوة من اللجنة ضد الاحتلال ، والتي تشكلت حديثا من عدد من الكتاب الاسرائيليين والفنانيين، نظم لقاء حاشد في قاعة مسرح نفي تسيدك بتل ابيب يوم ١٩٨٧/٦/١٣، بحضور اكثر من ٤٠٠ من الاسرائيليين ، بضمنهم كتاب وفنانون وسينمائيون ، بالاضافة الى عدد كبير من الكتاب والفنانيين العرب وكذلك بحضور اكثر من خمسين من الكتاب الفلسطينيين اعضاء اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة وكذلك عدد من الفنانين اعضاء رابطة الفنانيين التشكيليين

وعلى مدار ثلاث ساعات امتدت من الساعة الرابعة وحتى السابعة ناقش الفنانون والكتاب السبل المختلفة للتضامن مع الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة، ورفع المعاناة عنهم والتي يسببها استمرار الاحتلال الاسرائيلي، حيث توزع الحضور في ثلاث حلقات رئيسية، ومن ثم بدأ الحفل الرئيسي في تمام السابعة والنصف ، حيث غصت القاعة بالحضور، وضاقت بهم ، وقدم في الاحتفال فقرات مختلفة، حيث القيت كلمات عبرت عن تضامن الكتاب والفنانين الاسرائيليين اعضاء اللجنة ضد الاحتلال مع زملائهم الفنانيين والكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة، وكان من بين المتحدثين يورام كانيوك ، سامي ميخائيل ، اميل حبيبي ، كما القيت بعض القصائد العبرية، وقدمت الفنانة امل مرقس وصلة غنائية جميلة .

وكان الفنانون اثروا لقاءهم بنقاش جاد وهام ، حول اهم القضايا التي تمثل الصدارة اليوم والتي يجب التركيز عليها في العمل والنضال من اجل انهاء الاحتلال والسعي الى الوصول للهدف الرئيسي، المتمثل باقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، وعليه فقد رأى العديد من الفنانيين وكذلك الكتاب، ان عليهم تسخير فنهم وأدبهم ، من اجل هذا الهدف السامي، ورغم تساؤل البعض عن جدوى هذه اللقاءات ، الا ان الرأى القائل

Digitized by Birzeit University Library

بأهميتها كان اكثر واقعية وفهما ، حيث رأى معظم الحضور، ان على الجانب الفلسطيني رفع صوته اكثر فاكثر، والمطالبة بحقه في الحياة الكريمة كما رأى بعض الكتاب والفنانيين ان هناك من الاسرائيليين من لا يشاركون حكومتهم سياسة القمع والاذلال والتنكر للشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة ، الامر الذى يتطلب السعي الى الوصول اليهم واشراكهم في النضال من اجل القضية الاساسية المتمثلة بالسلام ، السلام العادل والثابت والمقيم والذى لن يتحقق الا بانسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة ، وتمكين الشعب العربي الفلسطيني من تقرير مصيره ، واختيار حياته بنفسه .

وقد برز من الشماركين في النقاش والمتحدثين .

* الدكتور شمعون بلاص كاتب ومحاضر في قسم الادب العربي في جامعة حيفا .
* غدالية بيسر – مخرج وممثل ومدير فني لمسرح حيفا البلدى .
* يعقوب بيسر – شاعر ورئيس تحرير مجلة " عيتون ٧٧ " .
* يئير غربوز – رسام .
* اميل حبيبي – كاتب ورئيس تحرير جريدة الاتحاد
* سلمان ناطور – كاتب .
* دان كيدار – رسام .
* يورام كانيوك – كاتب وروائي
* د. نسيم كلدرون – ناقد ومحاضر في قسم الادب العبرى الحديث في جامعة تل ابيب .
* دالية رابيكوفيتش – شاعرة .
* يعقوب شاين – مدير مسرح نفي تسيدك .
* يتسحاق غورن – مسرحي .
* شموئيل عتصموت – مسرحي .
* اديب جهشان – ممثل مسرحي .
* محمد بكرى – ممثل .
* شلومو ارنسي – فنان .
* مكرم خورى – ممثل .
* رام ليفي – فنان .
* يعقوب حيمان – فنان .
* دافيد افيدان – شاعر .
* محمد حمزة غنايم – رئيس تحرير مجلة لقاء .
* نعيم عرابدى – شاعر .
* نزيه خير – شاعر .
* سيناى بيتر – فنان .

ومن المناطق المحتلة ،شارك عدد من الكتاب والفنانين في النقاش، برز منهم أسعد الاسعد رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين في المناطق المحتلة، ويوسف حامد عضو الهيئة الادارية، وكذلك جمال بنورة،خليل توما ، نبيل الجولاني، كريم دباح رئيس الهيئة الادارية لرابطة الفنانيين التشكيليين، وفرانسوا ابو سالم ومحمد البطراوى ، محمد صبيح، جميل السلحوت عضو الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب ، وآخرين

وكان اتحاد الكتاب الفلسطينيين، وزع كراسا باللغتين العربية والانجليزية ، تضمن نماذج من القمع والاضطهاد الثقافي الذى تمارسه السلطات الاسرائيلية في المناطق المحتلة، والذى اصدره الاتحاد بمناسبة الذكرى العشرين للاحتلال الاسرائيلي .

وفي نهاية الاحتفال ، القى اسعد الاسعد رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، كلمة باسم الكتاب الفلسطينيين ، اثنى فيها على الحضور

Digitized by Birzeit University Library

الذين جاءوا للتضامن مع الشعب الفلسطيني، ومع كتاب وفنانين، ودعا في كلمته الى تجنيد المزيد من الكتاب والفنانين الاسرائيليين للوقوف الى جانب الشعب الفلسطيني وكتابه وفنانيه ضد الاحتلال ـ انظر كلمة الاتحاد ـ الجدير بالذكر ان زهاء خمسين كاتبا وفنانا حضروا من المناطق المحتلة . للمشاركة في اللقاء من اوسع التظاهرات التي جرت للتضامن مع الكتاب والفنانين الفلسطينيين، وتميزت بالحضورالواسع والكبير من جانب الكتاب والفنانيين الاسرائيليين . هذا وافادت مصادر " لجنة كتاب ضد الاحتلال" والتي بادرت الى عقد اللقاء، بان لقاء آخر يتم الاعداد له في احدى الجامعات الفلسطينية بالضفة الغربية خلال هذا الصيف .

كلمة اتحاد الكتاب الفلسطينيين

" ان شعبا يضطهد شعبا آخر، لا يمكن ان يكون هو نفسه حـــرا ".

==========

تلك حقيقةيجب الاعتراف بها، وعدم التغاضي عنها، ونحن على يقين من ان هناك من يقربهذه الحقيقة من الاسرائيليين، ولا شك ان من يشاركون اليوم في هذا النشاط بمناسبة الذكرى العشرين لاحتلال الاراضي العربية عام ١٩٦٧، يقرون بهذه الحقيقة، ومشاركتهم تعبير عن عدم تغاضيهم عنها .

ونحن بدورنا، نعترف لكم، بأن تضامنكم معنا، ووقوفكم الى جانب نضالنا من اجل انهاء الاحتلال، ورفع المعاناة عن شعبنا الفلسطيني، سوف يمهد الطريق الى رفع المعاناة عنكم، والتي يسببها الاحساس الدائم بالمسؤولية الملقاة على عاتقكم في تحقيق العدالة والسلم الدائم والمقيم، ذلك اننا ندرك، ان النضال من اجل السلام، ليس مسؤولية الشعب المضطهد والواقع تحت الاحتلال، بل هي بهذا القدر او ذاك، مسؤولية القوى الديموقراطية في اسرائيل نفسها ... التي يجب ان تسعى الى تنظيم صفوفها من اجل حركة مناهضة للسياسة التي تنتهجها حكومات اسرائيل المتعاقبة ضد الشعب العربي الفلسطيني، وحقوقه الوطنية والشرعية وعلى رأسها حقه في تقرير مصيره، واقامة دولته الوطنية المستقلة ،اذ ان التغاضي عن هذه السياسة، سوف يوقع الضرر بالمصالح الاساسية والحقيقية لليهود انفسهم، والتي تكمن في حاجتهم الدائمةبالاحساس بالامان والسلام، والعيش بطمأنينة في هذه البقعة من العالم، وفي يقيننا ان هذا لن يتحقق، الا بتوفير مقوماته الاساسية،اذ اننا لا يمكن ان نطلب السلام والامن والطمأنينة لانفسنا ونحرمها على الاخرين، وحتى اكون منطقيا ومقنعا، علي ان ارضى لنفسي ما ارضاه للاخرين، اما ان افصل للاخرين ثوبا وافرض عليهم ان يلبسوه، فهذا ما لا يمكن ان يقبله بشر، وهذا شأننا ايضا، فلن نقبل بثوب يفرضه علينا الاخرون .

أيهـا الاصدقاء :

باسم الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة اتقدم اليكم بالتقدير والاحترام، ونحن على يقين، من ان مبادرتكم هذه، سوف يكون لها بالغ الاثر في نفوس ابناء شعبنا الفلسطيني، الذي يجد فيكم الوجه الاخر والمختلف تماما عن الوجه الذي يتعامل معه يوميا في المناطق المحتلة،

Digitized by Birzeit University Library

وثقتنا كبيرة، بأن هذه الخطوة سوف تشكل نقطة هامة نحو تأسيس حركة اسرائيلية مناهضة للاحتلال، تسهم في خلق مفاهيم جديدة، وليسجل التاريخ ان جمهرة طيبة من الكتاب والفنانين الاسرائيليين، كانوا في الصفوف الاولى لحركة ناضلت من اجل رفع المعاناة عن الشعب الفلسطيني وانهاء الاحتلال، وارساء سلام عادل وثابت ومقيم في هذه البلاد

ومن هنا فاننا في الارض المحتلة، نثمن عاليا جهودكم العظيمة هذه، وندعوكم الى عقد مثل هذا اللقاء في الضفة الغربية او قطاع غزة المحتلين، وسوف نقدم كل ما نستطيع من اجل حركتكم وتقدمها، ضمن امكانياتنا المتواضعة.

ان الحديث عن الاحتلال، يدفعنا الى الحديث عن ممارساته، ولعل ايراد بعض الارقام سوف يساعد على فهم معاناتنا، وادراك المخاطر المترتبة على استمرار الاحتلال، واستمرار سياسة التنكر لحقوق شعبنا الفلسطيني، في العيش بسلام وامن وطمأنينة شأنه شأن بقية شعوب الارض، فلقد تم حتى الان مصادرة ٥٢٪ من اراضي الضفة الغربية وقطاع غزة واقيمت عليها اكثر من ١٣٠ مستوطنة، كما تم هدم اكثر من ٢١ الف بيت، وابعاد ٢٨٩٢ شخصا خارج المناطق المحتلة، وهناك حوالي خمسة الاف معتقل في سجون الاحتلال المختلفة، ولا تزال تطبق سياسة الاعتقال القبضة الحديدية، حيث يتعرض المواطنون للاعتقال الادارى والاقامات الاجبارية والابعاد، ويمنع الالاف من السفر عبر الجسور، ويفرض نظام منع التجول على المخيمات والاحياء السكنية، وهناك الاف الكتب الممنوعة من التداول وتداهم المكتبات وتغلق وتصادر الكتب واللوحات الفنية، وتحول الرقابة العسكرية دون حرية التعبير والنشر والابداع، وتغلق المسارح والاندية والصحف والمجلات. وتتعرض الجامعات ودور العلم للاغلاق، وتوضع العراقيل امام التقدم الصناعي والزراعي والاقتصادي.

تلك اشارات مختصرة، يحول ضيق الوقت دون تفصيلها، تقف على رأس مهام النضال من اجل وقفها

نحن ندرك صعوبة مهمتكم، لكننا ندرك اكثر، ان رحلة الالف ميل تبدأ بخطوة، وها هي خطوتكم الاولى، فالى الامام، ولكم منا كل محبة وتقدير واحترام.

Digitized by Birzeit University Library

المهرجان الوطني الثالث للادب الفلسطيني في الارض المحتلة
" الادب الفلسطيني بعد عشرين عاما من الاحتلال "
١٣ – ١٥ – آب ١٩٨٧

يعلن اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة، انه تقرر عقد المهرجان الوطني الثالث للادب الفلسطيني في الارض المحتلة، في الفترة مابين ٣ – ١٥ آب ١٩٨٧ ، في قاعة النزهة الحكواتي – القدس .

وعليه، فان الهيئة الادارية للاتحاد ،تدعو كافة الزملاء الكتاب في الضفة الغربية وقطاع غزة، للمشاركة بتقديم موادهم الادبية، من شعروقصة قصيرة وبحث ادبي ومسرح وذلك في موعد اقصاه ١٩٨٧/٧/٣١ . على ان يتم ارسال او تسليم المواد الى العناوين التالية :

- القدس ص.ب ٢٠٤٨٩ .
- مجلة الكاتب – بيت حنينا .
- مكتب الحياة للاعلام والنشر – القدس .
- اعضاء الهيئة الادارية للاتحاد

الهيئة الادارية
لاتحاد الكتاب الفلسطينيين
في الضفةالغربية وقطاع غزة

الفنون الشعبية

ضمن احتفالات فرقة الفنون الشعبية بيوم التراث الفلسطيني اصدرت الفرقة مجلة غير دورية تحوى مجموعة من المقالات شاركت فيها الفرقة والباحث عبد العزيز ابو هدبا والشاعر علي الخليلي والكاتب جميل السلحوت والشاعر موسى علوش والشاعر الشعبي سعود الاسدى، كما احتوى العدد على مقابلة مع الدكتور شريف كناعنة .

كما اقامت الفرقة حفلا فنيا في مسرح الحكواتي يوم ٨٧/٧/٣ .

طبعة جديدة من رائعة جون ريد : "عشرة ايام هزت العالم"

صدرت عن دار "التقدم" – موسكو الطبعة الجديدة من رائعة الكاتب جون ريد " عشرة ايام هزت العالم " . وجون ريد (١٨٨٧ – ١٩٢٠) هو احد مؤسسي الحزب الشيوعي الامريكي ، كاتب سياسي وصدر كتابه هذا في امريكا سنة ١٩١٩ وفي الاتحاد السوفييتي سنة ١٩٢٣ وتحتوى الطبعة على مقدمتين للبنين وكروبسكايا . وهذا المؤلف هو اول انتاج في الادب العالمي ينقل الحقيقة عن الثورة الاشتراكية التي دشنت عصرا جديدا في تاريخ البشرية . اطلبوا الكتاب من المكتبة

Digitized by Birzeit University Library

الشعبية في الناصرة .

" ذاكرة للنسيان "
لمحمود درويش

هذه هي الطبعة الاولى لكتاب الشاعر محمود درويش "ذاكرة للنسيان ـ الزمان : بيروت ، المكان : آب" وكان قد نشره كاملا في مجلة " الكرمل ". ومحمود درويش شاعر في نشره ايضا .

الفلسطينيون ـ الماضي والحاضر " كتاب جديد لهانس لبرخت

صدر بالعبرية كتاب "الفلسطينيون ـ الماضي والحاضر " تاليف هانس لبرخت ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي . وكان الكتاب قد صدر بالالمانية في فرانكفورت عام ١٩٨٢ وفي المانيا الديموقراطية عام ١٩٨٤ ثم ترجم الى التشيكية ويتألف الكتاب من عشرين فصلا ويقع في ٣٤٠ صفحة من القطع المتوسط .

كتب جديدة في المكتبة الشعبية

وصل الى شركة المكتبة الشعبية ـ بيت الصداقة ، ص.ب ١٧٠ الناصرة تلفون ٥٥٦٣٧٩ مجموعة جديدة من الكتب السوفييتية المترجمة الى العربية ومنها :

xx " الاشباح" رواية بلاتونوف هذه الرواية للكاتب اندري بلاتونوف (١٨٩٩ ـ ١٩٥١) ترجمها الى العربية د . ابو بكر يوسف بالاضافة الى ست قصص قصيرة .واما مقدمة الرواية فقد كتبها يفتيني يفتوشينكو وترجمها خيري الضامن .

" الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية لعمال الضفة الغربية وقطاع غزة في اسرائيل" بقلم الدكتور عبد الفتاح ابو شكر

صدر عن دار منشورات مركز التوثيق والمخطوطات والنشر في جامعة النجاح الوطنية في نابلس المحتلة كتاب " الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية لعمال الضفة الغربية وقطاع غزة في اسرائيل بقلم الدكتور عبد الفتاح ابو شكر ويقع الكتاب في ٢٨٦ صفحة وتسعة فصول وملخص باللغة الانجليزية .

" الفتى النهر والجنرال" ـ مجموعة شعرية لابراهيم نصرالله

صدرت في عمان مؤخرا عن دار الشروق مجموعة شعرية جديدة للشاعر الفلسطيني ابراهيم نصرالله بعنوان " الفتى النهر والجنرال ـ الحواريات ". تحتوي المجموعة على احدى عشرة قصيدة هي : " حوارية المرحلة ، اغنية الحياة ، حوارية الصديقين ، اغنية للبحر ، حوارية الغريب ،

Digitized by Birzeit University Library

الطائر، اغنية للبتراء، الحوار الاخير قبل مقتل العصفور بدقائق، الذئب، القبر، الفتى النهر .. والجنرال ".

تقع المجموعة في ٣٠٥ صفحات، وكان بعض قصائدها قد صدر في مجموعات منفصلة

" عود النعنع " مجموعة قصصية لفاتح المدرس

هذه المجموعة تحتوى على خمس قصص قصيرة للكاتب السورى فاتح مدرس وظهرت طبعتها الاولى عام ١٩٨١ وكتب مقدمتها الكاتب السورى سعيد حورانية . وفاتح مدرس قاصورسام .

"ابحاث جديدة للمستعربين السوفييت"

هذا الكتاب يحتوى على مجموعة ابحاث لعلماء الاستشراق اللينينغراديين الذين حققوا نجاحات مرموقة في هذا الميدان وتحتوى على احدث الدراسات حول المخطوطات العربية المحفوظة في المؤسسات الاكاديمية في موسكو ولينينغراد وطشقند وباكو .

يتناول مؤلفا الكتاب اللاخفيرودفا وسولوفيتشيك بعض خصائص التربية للفترة الحرجة المعروفة بس المراهقة

" دراسات نقدية" للكاتب عادل الاسطة

صدر عن مكتب " اليسار المثلث" كتاب دراسات نقدية للكاتب عادل الاسطة تناول فيه اعمالا ادبية لغسان كنفاني وسميح القاسم ومعين بسيسو ومحمود درويش واكرم هنية وجمال بنورة وسامي الكيلاني وصبحي الشحروري وعبد اللطيف عقل .

" نبهان" رواية لايليا حاوى

صدرت عن دار" الجيل" رواية "نبهان" للكاتب اللبناني ايليا حاوى الذى عرفناه ناقدا شعريا . والرواية ليست ناريخية، كما يقول المؤلف، ولكنها تتغذى الاحداث التاريخية في زمن الحرب الكبرى . وتقع في ٦٦٢ صفحةمن القطع الكبير .

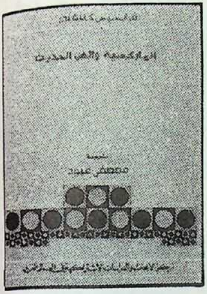

" الماركسية والفن الحديث"

صدرت عن مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي دراسة فرانسيس كلينفندر " الماركسية والفن الحديث" ترجمة المرحوم مصطفى عبود .

" عذراء الغروب " رواية لمجيد طوبيا

عن دار " الشروق" في القاهرة صدرت رواية جديدة للكاتب المصرى مجيد طوبيا بعنوان " عذراء الغروب" . وتدور حول حياة الفلاحين في صعيد مصر، ويكشف الكاتب من خلالها انماطا من العلاقات

Digitized by Birzeit University Library

المأساوية في بيئة محافظة، وقد احتوت الطبعة الجديدة على رواية قديمة لطوبيا وهي رواية " دوائر عدم الامكان" ويذكر ان مجيد طوبيا من الاسماء القصصية اللامعة في مصر .

"قضايا الساعـــة "

صدر عن المركز العربي للدراسات والنشر نشرة لمرة واحدة بعنوان " موقف" قضايا الساعة" وتحتوى على مقالات سياسية وأدبية وتقع في ١٤٠ صفحـــة .

الكتاب الفلسطينيون في المناطق المحتلة يستنكرون اغلاق رابطة الكتاب الاردنيين

==========

القدس ـ استنكر اتحاد الكتاب الفلسطينيين في المناطق المحتلة، في بيان اصدره مؤخرا، قرار السلطات الاردنية باغلاق مكاتب وفروع رابعة الكتاب الاردنيين وطالبوا بالغاء القرار التعسفي، الذى يحول بالغاء القرار التعسفي، الذى يحول دون قيام الكتاب الاردنيين بممارسة حقهم الطبيعي في التعبير والابداع، والسعي الى تطوير امكاناتهم من خلال تنظيم انفسهم في رابطة الكتاب والتي كانت من اكثر الاطر النقابية احلاما لمهنتها، وتطلعات الفئات الوطنية المختلفة

وجاء في البيان : " ان اغلاق رابطة الكتاب الاردنيين، وحرمان الكتاب في الاردن من حقوقهم الاساسية، يصب في نفس الاهداف التي تسعى الحكومة الاردنية الى تحقيقها في هذا الوقت بالذات، والتي تتزامن مع تحرك الاطراف الضالعة في التآمر على الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، والالتفاف على مسيرته ونضاله ".

ويتوجه الاتحاد ، الى القوى الوطنية والديموقراطية ، العربية والاجنبية، واتحادات الكتاب ومنظماتهم، للوقوف الى جانب الكتاب الاردنيين، والتضامن معهم، ومن اجل عودة الكتاب الاردنيين الى ممارسة حقهم في التعبير والابداع والتنظيم

معرض للكتاب الفلسطيني
في نطاق المؤتمر العالمي للتراث الشعبي الفلسطيني

توجهت لجنة معرض الكتاب الفلسطيني ، المنبثقة عن اللجنة التحضيرية لمؤتمر التراث الشعبي الفلسطيني ، الى جميع الكتاب والشعراء والادباء والباحثين ، تدعوهم الى تقديم نسخة من كل كتاب نشروه ، مع نبذ عن حياتهم لتوضع الى جانب معروضاتهم.

وتوجهت الى ذوى المؤلفين المتوفين الى تقديم نسخ عن انتاجهم.

كما ناشدت اللجنة جميع دور النشر التي صدرت عنها مؤلفات فلسطينية لتعرض منشوراتها باسعار خاصة في المؤتمر.

وحددت اللجنة اخر موعد لتسلم المعروضات في ١٩٨٧/٨/١٠ ، في قصر اسعاف النشاشيبي ـ القدس ـ الشيخ جراح ـ هاتف ٢/٨٢٨٩٦٢.

Digitized by Birzeit University Library

عن منشورات " وكالة ابو عرفة للصحافة والنشر" ـ القدس، صدر الجزء الاول من رواية " اسماعيل"، للدكتور احمد حرب .

ورواية " اسماعيل" ، هي الرواية الثانية للدكتور حرب، حيث صدر له عام ١٩٨١ رواية " حكاية عائد" عن منشورات " دار الكاتب " في مدينة القدس .

والدكتور حرب، عاد قبل عام من الولايات المتحدة، حيث حصل على شهادة الدكتوراة في الادب الانجليزى من جامعة ايوا ، ويدرس الادب الانجليزى في جامعة بيرزيت .

كما نشر العديد من الدراسات والمقالات في النقد الادبي ، في المجلات والصحف المحلية والعربية، وهو عضو اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة

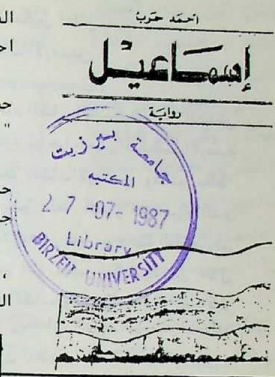

القضاء العشائرى
لجميل السلحوت

عن منشورات الاسوار في عكا صدر كتاب " القضاء العشائرى" للكاتب جميل السلحوت عضو الهيئةالادارية لاتحاد الكتاب الفلسطينيين في الاراضي المحتلة يقع الكتاب في ١٠٣ صفحات من الحجم المتوسط وقد قدم له الشاعر علي الخليلي وصمم غلافه الفنان قاسم منصور

وهذا البحث التراثي سجل ورصد لمختلف القضايا المعاشة وموقف القانون العشائرى منها .

جدير بالذكر ان القانون العشائرى هو اقدم قانون عرفه العرب .

مهرجان التراث الشعبي في عكا

عكا ـ يقام في عكا ، يوم الخميس القادم ٢/٢ مهرجان للتراث الشعبي ، وذلك تمام الساعة السابعة مساءا، في قاعة الاوديتوريوم ، في عكا الجديدة ، بمبادرة من ثلاث مؤسسات ثقافية وفنية ، هي مؤسسة الثقافة الفلسطينية ـ الاسوار، مركز احياء التراث العربي، والمؤسسة الشعبية للفنون، ويشمل برنامج المهرجان :

محاضرتين ، برنامج تراث شعبي، زجل، دبكة ، اغاني وعـــزف .

" الصحفي الفلسطيني "

صدرت عن رابطة الصحفيين العرب، في الاراضي المحتلة نشرة" الصحفي الفلسطيني" باللغتين العربية والانكليزية. وخصصت النشرة معظم موادها عن القمع الاحتلالي للصحافة والحريات الديموقراطية .

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

2 / 04 / 1987
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

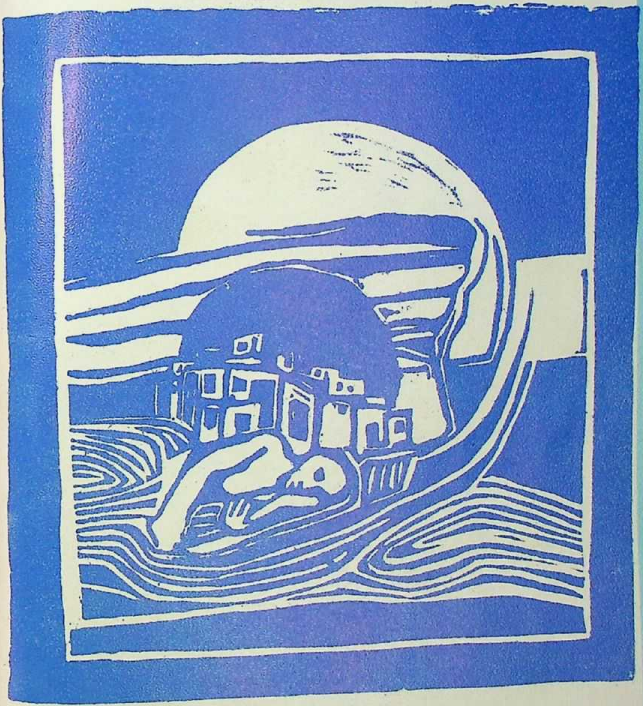

خالد جازي 84

AL-KATEB
For human culture

Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem

931

87

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library